جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مجلة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية فصلية محكمة

- الوجود العثماني في تونس في الفترة ما بين ١٢٤٦-١٢٩٨هـ/ ١٨٣٠-١٨٨١م
  د. تركي بن عجلان الحارثي
- بعض التغيرات البنيوية للأسرة السعودية: دراسة ميدانية لعينة من الأسر في محافظة الخرج بمنطقة الرياض
  د. عبدالعزيز بن علي الغريب
- صورة المملكة العربية السعودية في العالم: دراسة مسحية على عينة من الأكاديميين الإعلاميين في المملكة العربية السعودية
  د. علي بن شويل القرني
- دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بُعْد من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين
  د. عبدالمحسن بن عبدالرزاق الغديان
- " Arabic " ANY
  د. عبد الله بن سعد الضبيعان

العدد الرابع
رجب ١٤٢٨هـ

www.imamu.edu.sa
E.mail : journal@imamu.edu.sa

مجلة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الرابع
رجب ١٤٢٨هـ

www.imamu.edu.sa
E.mail : journal@imamu.edu.sa

رقم الإيداع ١٤٢٧/٤٨٨٨ بتاريخ ١٤٢٧/٩/٧هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٣١١٦- ١٦٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المشرف العام

معالي الأستاذ الدكتور/ سليمان بن عبدالله أبا الخيل

مدير الجامعة

نائب المشرف العام

الدكتور/ عبدالله بن حمد الخلف

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور/ فهد بن عبدالعزيز العسكر

عميد البحث العلمي

أعضاء هيئة التحرير

- **أ.د. فهد بن محمد السدحان**

  الأستاذ بقسم أصول الفقه ـ كلية الشريعة

- **أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري**

  الأستاذ بقسم القرآن وعلومه ـ كلية أصول الدين

- **أ.د. عبدالرحمن بن محمد العمار**

  الأستاذ بقسم النحو والصرف وفقه اللغة ـ كلية اللغة العربية

- **أ.د. إبراهيم بن سليمان الأحيدب**

  الأستاذ بقسم الجغرافيا ـ كلية العلوم الاجتماعية

- **د. عبدالله بن صالح الحقيل**

  الأستاذ المشارك بقسم الإعلام ـ كلية الدعوة والإعلام

- **د. أحمد بن عبدالله البنيان**

  الأستاذ المشارك بقسم اللغة الإنجليزية ـ كلية اللغات والترجمة

- **د. خالد بن سعد المقرن**

  الأستاذ المشارك بقسم الاقتصاد ـ كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم الإنسانية والاجتماعية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .

٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .

٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .

٥- ألا يكون قد سبق نشره .

٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أوكتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .

٢- ألا تزيد صفحات البحث عن (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .

٣- أن يكون بنط المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش بنط (١٣) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .

٤- يقدم الباحث ثلاث نسخ مطبوعة من البحث، مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .

خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً : تُحكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سابعاً : تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .

ثامناً : لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

تاسعاً : يُعطى الباحث خمس نسخ من المجلة، وعشر مستلات من بحثه .

عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم عميد البحث العلمي

الرياض ١١٤١٥- ص ب ١٨٠١١

هاتف : ٢٥٨٢٢٣٠ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www. imamu.edu.sa

E.mail: journal@imamu.edu.sa

المحتوى

الموضوع **الصفحة**

١- **الوجود العثماني في تونس في الفترة ما بين ١٢٤٦ـ ١٢٩٨هـ/ ١٨٣٠ـ ١٨٨١م .** ١٣

د. تركي بن عجلان الحارثي .....

٢- **بعض التغيرات البنيوية للأسرة السعودية : دراسة ميدانية لعينة من الأسر في محافظة الخرج بمنطقة الرياض.** ١١١

د. عبدالعزيز بن علي الغريب.....

٣- **صورة المملكة العربية السعودية في العالم : دراسة مسحية على عينة من الأكاديميين الإعلاميين في المملكة العربية السعودية.** ١٧٥

د. علي بن شويل القرني .....

٤- **دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بُعْد من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين .** ٢١٩

د. عبدالمحسن بن عبدالرزاق الغديان .....

٥- **Arabic "ANY"** ١

د. عبدالله بن سعد الضبيعان.....

الوجود العثماني في تونس في الفترة ما بين ١٢٤٦-١٢٩٨هـ/ ١٨٣٠-١٨٨١م

د. تركي بن عجلان الحارثي
قسم التاريخ والحضارة ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبدالعزيز

ملخص البحث :

تعرض الوجود العثماني في تونس منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر وحتى سقوط تونس تحت الحماية الفرنسية للكثير من الظروف والتشابكات الداخلية والخارجية التي أضعفته وجعلته يتلاشى سنة بعد أخرى . تلك الظروف منها ما هو خاص بتونس، ومنها ما له علاقة بالدولة العثمانية، ومنها ما هو مفروض من قوى لها أطماعها الاستعمارية. أما ما له علاقة بالدولة العثمانية فيتركز في سياسة الباب العالي في التعامل مع تونس بعد الغزو الفرنسي للجزائر حيث حاولت إعادة نفوذها المباشر على تونس كما فعلت في طرابلس ، وبتلك السياسة خلقت فجوة بينها وبين البايات دفعتهم إلى التعاون مع فرنسا . وإلى جانب تلك السياسة التي أضعفت الوجود العثماني في تونس كان للحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد قوى أوروبية . وكان للقوى الاستعمارية الدور الرئيس في إضعاف الوجود العثماني ، فالسياسة الفرنسية كانت تهدف إلى إخراج تونس من دائرة الارتباط العثماني . بل إنها ذهبت إلى أبعد من ذلك عندما شجع القناصل الفرنسيون بايات تونس على الاستقلال عن الدولة العثمانية لكي يقوموا بتنفيذ مخططات بلادهم الاستعمارية .

مقدمة تاريخية :

تعد الدولة العثمانية واحدة من أهم الدول الإسلامية التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ الإسلامي ،وتمثل هذا الدور في تبنيها لحركة المد الإسلامي في أوروبا والتي استطاعت من خلاله أن تنشر الإسلام في دول البلقان حيث تقدمت الجيوش العثمانية في القرن الثامن الهجري (القرن الرابع عشر الميلادي) محققة انتصارات حاسمة على الممالك الأوروبية لتصل إلى أسوار فيينا، عاصمة النمسا التي كانت تعد من أقوى الدول الأوروبية في تلك الفترة .ولم يكن هذا النجاح الوحيد الذي حققته الدولة العثمانية للإسلام في أوروبا بل إنها استطاعت أن تحقق ما عجزت عنه دول إسلامية أخرى سبقتها،فلقد تمكن السلطان محمد الفاتح من فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ(١٤٥٣م) ، وتحققت بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال: " لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الجيش جيشها ولنعم القائد قائدها" (١).

وكان لتلك الانتصارات التي حققتها الدولة العثمانية في أوروبا الأثر الكبير في بناء إستراتيجيات جديدة تمثلت في المحافظة على تلك المكاسب ، والتوسع في العالم العربي بشقيه الشرقي والغربي، ودفع الدولة العثمانية إلى ذلك عوامل عدة كان من أهمها اعتقاد السلاطين العثمانيين بأنهم أدوا رسالتهم في أوروبا وذلك بفتحهم للعديد من البلدان الأوروبية وأنهم يجب أن يقوموا بدور آخر في خدمتهم للإسلام ، وهذا

---

(١) د/علي حسون. الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية.دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م.ص ص ٢٢.٣٤.

د/سالم الرشيدي.محمد الفاتح.بيروت: دار العلم للملايين.١٩٦٩.ص٧٦ وما بعدها ؛ورد هذا الحديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل وهو مروي عن عبد الله بن محمد بن أبي شيبة عن زيد بن الحباب عن الوليد ابن المغيرة المعافري عن عبد الله بن بشرالخثعمي عن أبيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم، انظر موسوعة الحديث الشريف ، حديث رقم ١٨١٨٩.

الدور هو توحيد معظم البلاد الإسلامية في دولة واحدة. أما العامل الثاني فهو الأحداث التي كانت تدور في الجناح الشرقي للعالم الإسلامي حيث إن الدولة الصفوية ذات المذهب الشيعي كانت في أوج قوتها وكانت أطماعها واضحة في المشرق العربي ذات الأغلبية السنية، لذلك قررت الدولة العثمانية ذات المذهب السني ضمه قبل الاستيلاء عليه من قبل الدولة الصفوية ،أما العامل الثالث فتمثل في الخطر الإسباني والبرتغالي الذي وصل إلى مداه عندما قامـــت هاتان الدولتان بالاستيلاء على أجزاء كبيرة من المـغرب العربي ، بل إن اكتشاف البرتغاليين لرأس الرجاء الصالح ووصولهم إلى البحر الأحمر وتهديدهم للأماكن المقدسة كان من الأسباب الرئيسة التي جعلت العثمانيين يفكرون بجدية لإيقاف ذلك المد.(١)

وخلال العقد الثالث من القرن العاشر(العقد الثاني من القرن السادس عشر الميلادي) بدأ العثمانيون بعملياتهم الحربية ضد الإسبان والبرتغاليين في المغرب العربي والمماليك والصفويين في المشرق. ففي المغرب العربي شجع السلطان سليم الأول أمراء البحر وخاصة عروج وأخاه خير الدين اللذين اتخذا من جزيرة جربة التونسية في عام ٩١٨هـ (١٥١٢م) مركزاً حربياً يشنان منها عملياتهما الجهادية وأمدهما بالمال والسفن والسلاح. وخلال السنوات الأول من العمليات الجهادية في البحر الأبيض المتوسط نجح أمراء البحر في تحقيق انتصارات ضد الإسبان والبرتغاليين واستطاعوا كسب تعاطف أهالي المغرب ودعم الأسر الحاكمة في المغرب العربي كالحفصيين والزيانيين. وكان نتيجة لذلك التعاون أن نجح عروج وأخوه خير الدين في ضم الجزائر عام ٩٢٤هـ(١٥١٨م) وتونس في عام ٩٤٠هـ(١٥٣٤م) ولكن تعاون بعض الأمراء الحفصيين مع شارل الخامس ملك إسبانيا لم يمكن الدولة العثمانية من إعادة سيطرتها على ذلك القطر إلا

(١) د/ محمد أنيس.الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤- ١٩١٤. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.د.ت.ص ص ١٠٢- ١٠٤.

في عام ٩٨٠هـ(١٥٧٣ م) .أما ليبيا فقد نجح العثمانيون في السيطرة عليها في عام ٩٥٨هـ(١٥٥١م) ،وبذلك أصبحت جميع بلدان المغرب العربي تحت الحكم العثماني ماعـدا المغرب الأقصى .[١]

ولم تقتصر العمليات العثمانية الجهادية ضد البرتغاليين والإسبان في غرب البحر الأبيض المتوسط ، بل أخذ العثمانيون في التصدي للبرتغاليين في البحر الأحمر وبحر العرب وذلك بعد أن نجحوا في القضاء على المماليك في العقد الثاني من القرن السادس عشر عندما ألحقوا بهم هزيمة في معركة مرج دابق في عام ٩٢٢هـ(١٥١٦م) والريدانية في عام ٩٢٣هـ(١٥١٧م) فدخلت الشام ومصر والحجاز واليمن وغيرها من أجزاء المشرق العربي تحت الحكم العثماني.[٢] وحقق العثمانيون نجاحاً آخراً بتصديهم بفعالية للخطر البرتغالي الذي توارى نتيجة للهزائم التي تلقاها البرتغاليين الذين أقصوا من مراكزهم التجارية الواقعة عل سواحل بحر العرب وعلى مداخل الخليج العربي في هرمز.[٣] وبذلك حمى العثمانيون العالم العربي بشقية المغرب العربي والمشرق العربي من هجمة صليبية قادها كل من الإسبان والبرتغاليين ،واستطاعوا توحيد معظم أرجاء العالم الإسلامي في دولة واحدة، وبذلك أصبحت الدولة العثمانية دولة الخلافة التي تهيمن على العالم الإسلامي والمنوط بها حماية أراضـــيه ومقدساته.

وظلت تونس كأحد نيابات المغرب العربي تحكم حكماً مباشراً من قبل الدولة العثمانية منذ سيطرتها عليها سيطرة كاملة في عام٩٨١ هـ (١٥٧٤م) وحتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي حيث قام مراد بك بالانفصال عن الدولة العثمانية تدريجياً ،

---

(١) شوقي عطا الله الجمل .المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي حتى الوقت الحاضر (ليبيا- تونس – الجزائر- المغرب الأقصى.القاهرة: المكتب المصري، ١٩٩٧م ، ص ص ٨٣- ٨٥.

(٢) د/ محمد أنيس.مرجع سابق.ص ص١٠٨- ١١٢.

(٣) أحمد عزت .دراسات في تاريخ العرب الحديث.بيروت: دار النهضة العربية الحديثة .١٩٧٠م ص ص ١٩- ٢١.

و برز ذلك الانفصال في توريثه منصبه لأبنائه الذين توارثوا الحكم من بعده حتى مطلع القرن الثامن عشر، ومع ذلك ظلت الفرمانات تصل من الدولة العثمانية كالعادة عند اعتلاء أفراد الأسرة المرادية الحكم . وعندما أخذت الجزائر في التدخل في الشؤون التونسية بمباركة بعض أفراد الأسرة المرادية، ونتيجة لذلك رفض الشعب التونسي تلك التدخلات وقام العلماء باختيار حسين بن علي كحاكم على البلاد ،وبذلك تأسست الأسرة الحسينية والتي حكمت البلاد من سنة ١١١٦هـ (١٧٠٥ م) وحتى عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٧م) .[١]

ومنذ تأسيس تلك الأسرة ظلت تونس تتمتع بحكم ذاتي عن الدولة العثمانية حيث أصبح الحكم وراثياً في أسرة حسين بن علي الذي حاول هو وابناؤه فصل تونس عن الدولة العثمانية رويداً رويداً حتى أصبح النفوذ العثماني يكاد يكون عديم الوجود .[٢] وأصبح ذلك النفوذ مقتصراً على الدعاء للسلطان على المنابر في خطبة الجمعة وعلى الفرمان الذي يرسل من الباب العالي إلى البايات الحسينيين عند توليهم السلطة ، والذي في واقع الأمر كان لا يغير شيئاً في القرار التونسي ، فقرار تولية السلطة في البلاد بعد تمكن أمراء الأسرة الحسينية من الحكم كان بأيدي حكامها. فعلى سبيل المثال ،بعد تولي حسين بن علي الحكم في البلاد قرر اختيار ابن أخيه علي بن محمد وريثاً للحكم بسبب عدم وجود أولاد له ،ولكن عندما رزقه الله بأولاد فيما بعد قرر تنحية ابن أخيه وتنصيب ابنه محمد وريثاً له في الحكم بعد استشارته لبعض رجال دولته، وهذا يعطي دلالة واضحة على أن الدولة العثمانية لم يكن لها نفوذ في صنع القرار في الشأن

---

(١) صلاح العقاد.المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر.تونس .المغرب الأقصى.القاهرة: مكتبةالأنجلو المصرية.١٩٩٣م ص ص ٣٠- ٣٢، وانظر عبد العزيز السعود.حول التواجد العثماني بالمغرب .المجلة التاريخية المغاربية.العدد٦٣- ٦٤.جويلية١٩٩١.ص ٣١٩ .

(٢) د.الحبيب ثامر .هذه تونس .بيروت : دار الغرب الإسلامي.١٩٨٨م، ص.٥٥.

الداخلي لتونس.[١] وعندما اندلعت الحرب الأهلية بين حسين بن علي وابن أخيه علي لم تتدخل الدولة العثمانية في ذلك النزاع الذي انتصر فيه علي باشا ولكن أبناء عمه ثاروا عليه مما جعلهم يستردون السلطة مرة أخرى وظل منصب الباي في نسل حسين بن علي الذي أصبح أبناؤه وأحفاده يتناقلون السلطة وراثياً.[٢]

وظلت تونس طيلة القرن الثامن عشر وخلال العقود الأولى من القرن التاسع عشر ترتبط بالدولة العثمانية بروابط تكاد تسير على وتيرة واحدة إذ أن الدولة العثمانية كانت تنظر إلى تونس بأنها أحد ولاياتها بينما في حقيقة الأمر نجد أن تونس كانت تتمتع بحكم ذاتي حيث إن الباي يصل إلى الحكم دون الرجوع إلى السلاطين العثمانيين. ومع ذلك حاول السلاطين العثمانيون التأكيد على تلك التبعية بإرسال الفرمانات التي تضفي صفة الشرعية على وصول البايات إلى الحكم من وجهة النظر العثمانية بينما في واقع الأمر أن وجود هذه الفرمانات أو عدمه كان لا يقدم ولا يؤخر في الأمر شيئاً. ورغم ذلك حاول بعض البايات وخاصة في بداية تكوين الأسرة الحسينية استخدام الفرمانات السلطانية كأداة لتدعيم موقف الباي في اتخاذ قرارات هامة ولها علاقة بالسلطة. فعلى سبيل المثال عندما قام حسين بن علي بتنحية ابن أخيه عن ولاية العهد وتعيين ابنه ولياً للعهد واستند على ذلك القرار بالفرمان الذي استصدره من السلطان العثماني.[٣]

والمتتبع للروابط العثمانية مع بلدان المغرب العربي منذ مطلع القرن الثامن عشر، وبالذات النيابات التابعة للدولة العثمانية والتي تمثل تونس إحداها يلاحظ فتور العلاقات بين الجانبين والسبب يعود إلى بروز الروح الاستقلالية بين المغاربة ، وما قامت

---

(١) أحمد بن أبي الضياف .إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان. الجزء الثاني تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، :الدار العربية للكتاب، ١٩٩٩م ص ص ٩٨، ١٠٥-١٠٦ .

(٢) شوقي عطا الله الجمل .مرجع سلبق. ص ص ١٠٨- ١٠٩.

(٣) أحمد بن أبي الضياف. مصدر سابق لجزء الثاني .ص ١٠٦.

به الأسرة الحسينية في تونس إلا حلقة من الحلقات الاستقلالية الأخرى في المغرب العربي والتي تزعمتها في طرابلس الأسرة القرمانلية وفي الجزائر الدايات حيث أصبحت هذه الولايات تقوم بتصريف شوؤنها الداخلية دون الرجوع إلى الدولة العثمانية صاحبة السيادة.(١) أما السبب الآخر فهو انشغال الدولة العثمانية بحروبها مع روسيا والنمسا في الفترة المشار إليها آنفاً والتي جعل جل اهتمامها منصب على تلك الحروب وبالذات في أواخر الثلاثينيات من القرن الثامن عشر ، وعندما تحقق النصر للدولة على أعدائها أرسل الديوان الهمايوني إلى أمراء نيابات المغرب العربي يخبرهم بذلك وطلب منهم تناسي الخلافات فيما بينهم ورفع العلم الإسلامي عالياً ،والتأكيد على ضرورة الالتزام بتمسكهم بتبعية الدولة العثمانية التي تعد دولة الخلافة ،وأرادت الدولة العثمانية أن تستميل إبراهيم باشا داي الجزائر لكي يعيد هيبتها في المغرب العربي بعد أن أعطته الوعد بأن يصبح أمير الأمراء.(٢)

ومع أن الدولة العثمانية كانت تحرص كل الحرص على الإبقاء على نفوذها في نيابات المغرب العربي مستخدمة سياسة الترغيب والترهيب إلا أن تلك السياسة لم تؤتي أكلها خاصة وأن النزعة الاستقلالية قد أصبحت واقعاً لا يمكن التراجع عنه من قبل الأسر الحاكمة التي أصبحت تمارس شؤونها الداخلية بعيداً عن أنظار السلاطين العثمانيين ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أخذت تلك النيابات في عقد معاهدات منفردة مع الدول الأجنبية دون الرجوع إلى الدولة العثمانية التي كانت في السابق تقوم بهذا الدور على اعتبار أن تلك النيابات تُعد من الأراضي التابعة للدولة العلية ،فعلى سبيل المثال وقع باي تونس حمودة باشا عدداً من المعاهدات مع كل من إسبانيا وهولندا

(١) صلاح العقاد، مرجع سابق، ص. ٣٤.

(٢) عزيز سامح ،الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر ،بيروت : دار النهضة العربية ١٩٨٩م ،ص.ص.٤٨٨_٤٨٩.

والولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر والتي نظمت العلاقات التـجارية بين تونس وتلك الدول.(١)

وعلى الرغم من ذلك التوجه لدى حكام المغرب العربي تجاه الدولة العثمانية إلا أن السلاطين العثمانيين ظلوا لا يعترفون بالأمر الواقع ،وحاولوا التأكيد على أن الروابط التي تربط بين الطرفين يجب أن لا تنفصم عراها ، وعندما نشب الخلاف بين تونس والجزائر في مطلع القرن التاسع عشر حول المناطق الحدودية والذي تطور إلى حرب بين الطرفين أرسل السلطان العثماني محمود الثاني العديد من الفرمانات التي تأمر الطرفين بضبط النفس والوصول إلى حلول سلمية وإنهاء تلك الحرب التي تخالف الشرع وتتعارض مع المصلحة الإسلامية العليا، ومع ذلك تجاهل الطرفان تلك النداءات رغم أن تلك الفرمانات كانت تذكر كل من التونسيين والجزائريين أن تلك الحرب سوف تضعف الطرفين وأنه من الأجدى محاربة التوسع الأوروبي في البحر الأبيض المتوسط الذي يهدد المصالح الإسلامية.(٢) واستمر النزاع بين الطرفين خلال العقد الثاني من القرن التاسع عشر يخبو سنة ويتأجج سنة أخرى ، وهذا بالطبع زاد تلك النيابات ضعفاً.

وفي حقيقة الأمر أن الدولة العثمانية كانت محقة في انتقاداتها لنيابات المغرب العربي التي كان من الأولى توحيد صفوفها خاصة وأن الدول الأوربية بدأت تمارس ضغوطها بقوة على تلك النيابات وتحد من نشاطها البحري وهـذا ما ظهر بارزاً في الحروب التي تعرضت لها الجزائر والتي انـتهت باحتلالها في ١٨٣٠م .(٣)

ونتيجة للتطورات العسكرية دخلت تونس في مرحلة جديدة من التنافس الدولي عليها، وكان لابد أن تتخذ سياسة تتلائم مع التغيرات السياسية والعسكرية الجديدة .

---

(١) شوقي الجمل، مرجع سابق، ص.١١٠. وانظر

Magali Morsy, North Africa 1800_1900: A Survey From The Nile Valley To The Atlantic, London and New york : Longman ,1984, P.71.

(٢) عزيز سامح ، مصدر سابق، ص .٥٩٢.

(٣) المصدر السابق، ص ص.٥٩٨.٦٠٣.

استقلالية تونس في خطر :

يعتبر احتلال فرنسا للجزائر في عام ١٢٤٦هـ(١٨٣٠م) نقطة تحول في العلاقات المغربية الأوروبية من جهة والعلاقات المغربية العثمانية من جهة أخرى ، فالعلاقات الأوروبية المغربية خلال الثلاثة القرون التي سبقت ذلك الاحتلال كانت تتمحور على الندية بين الطرفين خاصة عندما نجحت الدولة العثمانية بمساعدة أمراء البحر في طرد الإسبان من الثغور التي يسيطرون عليها في المغربين الأدنى والأوسط ، ونجحت الدولتان السعدية والعلوية في إجلاء البرتغاليين من الثغور والمناطق التي كانوا يسيطرون عليها في المغرب الأقصى . وظل المغاربة يقودون الجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط ضد الدول الأوروبية التي أخذت في السيطرة على الطرق والأسواق العالمية ونتيجة لتلك العمليات الجهادية نجح المغاربة في الحفاظ على بعض مصالحهم الاقتصادية خاصة عندما عقدوا بعض المعاهدات التجارية التي كانت تخولهم الحصول على إتاوات سنوية من تلك الدول. ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادي أخذت الدول الأوروبية تعمل مجتمعة في سبيل القضاء على تلك العمليات الجهادية ،وبالفعل اتفق الأوربيون في مؤتمر أكس لاشابيل في عام ١٨١٨م على محاربة المغاربة وتخلت معظم الدول الأوروبية عن الالتزام بمعاهداتها مع دول المغرب العربي ونتج عن ذلك حروب قادت إحدى تلك الدول لفقد استقلالها ألا وهي الجزائر.[١]

أما العلاقات بين دول المغرب العربي وبين الدولة العثمانية فقد أخذت في التحسن نتيجة لشعور تلك الدول بالخطر من التوسع الأوروبي ،وكان احتلال الجزائر فرصة سانحة للدولة العثمانية لاستعادة مكانتها في تلك الدول التي كانت تخضع للنفوذ

---

(١) جلال يحيى، المغرب الكبير : العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، . الجزء الثالث ،بيروت: دار النهضة الحديثة ١٩٨١ م ،ص.ص .٩٣.٩٥.وانظر

Philip Curtin and others .African History. Boston Little Brown ,1978, p.p.343-344.

العثماني وأخذت في تأليب الشعور الديني لدى المغاربة الذين أدركوا مدى الخطر الذي ينتظرهم من الهجمة الاستعمارية الجديدة والتي أصبح العثمانيون عاجزين عن التعامل معها في تلك الفترة كما فعل أسلافهم قبل أكثر من قرنين من الزمن . ويبدو أن الدولة العثمانية أحست بالخطر ليس فقط على دول المغرب العربي التي تعدها جزءاً من أملاكها وإنما على المناطق التي كانت تسيطر عليها فعلياً في جنوب شرق أوروبا والتي كانت روسيا تطمع في الاستيلاء عليها أو مساندة القوميات التي بدأت تحاول الاستقلال عن الدولة العثمانية وهذا ما دفع الروس إلى تأييد الفرنسيين في حملتهم على الجزائر.[١]

أما الموقف التونسي من حصار الفرنسيين للجزائر واحتلالها فلقد كان سلبياً ، من وجهة النظر الجزائرية، والسبب يعود للخلافات الحدودية بين التونسيين والجزائريين والتي حاولت الدولة العثمانية إصلاحها بين الطرفين كما أُشير من قبل. وعندما حاصرت فرنسا الجزائر لم تحرك تونس ساكناً ويبدو أن حكام تونس قدموا المصلحة الخاصة وهي عدم رضاهم عن الدايات وما سببوه من تدخلات في شؤون تونس على المصلحة العامة وهي الوقوف صفاً واحداً ضد المستعمر الذي سوف يوسع أطماعه الاستعمارية في جميع بلدان المغرب العربي الواحدة تلو الأخرى .إضافة إلى ذلك ما قام به الفرنسيون من تهديد حسين باي ،حاكم تونس بعدم التدخل في النزاع بين فرنسا والجزائر وورد ذلك التهديد في خطاب وجه إلى الباي ورد فيه" ...إن أردت الأمان على بلادك فكن في هذه النازلة حبيباً للفريقين ،وإن أعنت الجزائر من البر تكن حرباً(حريباً) لنا مثلها... "[٢].

ونتيجة لذلك رفض الباي حسين تقديم المعونة للقبطان العثماني وجنوده الذين وصلوا إلى تونس والذين كانوا يرغبون في الوصول للجزائر عن طريق تونس حتى يقدموا المساعدة للجزائريين ،وأبدى أسباباً واهية لم تكن تقنع القبطان ولا جنوده ولا

(١) عزيز سامح، مصدر سابق، ص.١١٧.

(٢) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق،الجزء الثالث،ص ١٦٦.

الدولة العثمانية التي كانت تدرك الخطر الذي كان ينتظر المغرب العربي ولكن يبدو أنها عاجزة عن فعل شيء له ذو أهميه يمكنها من خلاله إنقاذ الجزائر ولا حتى تونس فيما بعد عندما أصبحت تمر بالموقف الذي مرت به الجزائر.[1]

ولم تكتف فرنسا بالتهديدات التي وجهتها ضد التونسيين بل إنها بعد احتلالها للجزائر في ١٤ محرم ١٢٤٦هـ الموافق ٥ يوليو سنة ١٨٣٠م أجبرت تونس على قبول معاهدة حاولت فيها التركيز على المصالح الفرنسية، وبالطبع في تلك المعاهدة لم تغفل المتغيرات الجديدة التي أعطت للفرنسيين الأحقية في إملاء شروطهم. ففي الثامن من صفر ١٢٤٦هـ الثامن من أغسطس ١٨٣٠م وقع القنصل العام الفرنسي في تونس السيد دولسبس نيابة عن ملك فرنسا شارل العاشر معاهدة مع باي تونس حسين باي من ثمانية بنود اشتملت على إلغاء القرصنة من وجهة النظر الفرنسية وعدم أسر أي رعايا فرنسيين أو نصارى وفك الأسرى سواء كانوا فرنسيين أو أوروبيين وتأمين التجارة بين البلدين والحفاظ على مصالح الفرنسيين داخل تونس من تقديم التسهيلات للمستثمرين الفرنسيين وبالذات في صيد المرجان وإعادة الأبنية التي صودرت من بعض الرعايا الفرنسيين في أواخر القرن الثامن عشر في طبرقة وعدم احتكار أي سلعة من قبل الحكومة التونسية بل تصبح التجارة مشروعة للجميع، وركزت المعاهدة أيضاً على الحفاظ على المصالح الفرنسية التي أشارت إليها المعاهدات السابقة بين الطرفين وخاصة فيما يتعلق بالخدمات الملاحية التي تقدم للسفن الفرنسية وغيرها من السفن الأوروبية ، وأكدت المعاهدة على إلغاء ما يؤخذ من الأوربيين من هدايا وأعطيات عندما تعقد المعاهدات بين تونس وتلك لدول أو عندما يعين القناصل الأوربيون ويصلون إلى تونس كما جرت

(١) المصدر السابق، ص ص ١٦٦-١٦٧.

بـــــه العادة. [١] ونتيجة لتلك المعاهدة ظهر واضحاً أن البايات في تونس عزموا على التعايش مع الوضع الجديد باستخدام أسلوب المهادنة وعدم الاصطدام مع الفرنسيين الذين لن يتوانوا في استخدام القوة ضد من يقف ضد أطماعهم في المغرب العربي التي أخذت تتنامى يوماً بعد آخر .

إضافة إلى عقد تلك المعاهدة فلقد ذهب الباي حسين باشا إلى أبعد من ذلك عندما قبل بفكرة اقتراح فرنسي يقضي بتمكينه من حكم قسطنطينة ووهران بعد أشهر قليلة من سيطرة فرنسا على الجزائر ، والذي مرره إليه القنصل الفرنسي بتونس دولسبس De Lesseps الذي كان له دور هام في إقناع الباي بقبول ذلك الاقتراح. ولم يتردد الباي في إرسال بعثة إلى الجزائر لتناقش مع الجنرال كلوزيل Clauzel ، الحاكم العام الفرنسي في الجزائر ذلك المشروع ، والذي قدم لتلك البعثة وعوداً تتلخص في فسح المجال لتونس بالسيطرة على وهران وقسطنطينة كمرحلة من سيطرة تونس على بقية الجزائر في فتـرة لا تتجاوز العامين ، ولقد أكد الجنرال على ذلك في قوله : "...دولـة الفرنسيس ما صنعت هذا الأمر مع دولة (تونس) ومكنتها من قسطنطينة وعمالتها إلا مرادها أنها بعد الاتفاق بينهم على ما يتراضوا (كذا) به ، واسمع مني يقيناً وصدق به أنه أثناء العامين من هذا الوقت لا بد أن تكون جميع عمالة الجزائر في قبضة ملك تونس لما بينهم وبيـن دولة الفرانسيس من المودة. [٢]

ويتضح من هذه المقولة أن فرنسا كانت تسعى إلى عقد اتفاق تدفع فيه تونس لفرنسا مبلغاً مالياً مقابل تمكينها من السيطرة على منطقة قسطنطينة التي على الحدود التونسية

---

(١) معاهدة أبرمت بين حسين باي وملك فرنسا شارل العاشر ممثلا في شخص السيد دو لسبس ،القنصل العام في تونس ، في٨/٨/١٨٣٠م ، وزارة الأمور الخارجية رقم الملف ٦٤ ، رقم الصندوق ٢٠٩ ، السلسلة التاريخية ، الأرشيف الوطني التونسي .

(٢) عبد الجليل التميمي ، مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة ١٨٣١م ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد ، ٥ (يناير١٩٧٦م) ص ٥ .

الجزائرية والتي كانت مثار نزاع بين الطرفين .ولم يكتف دولسبس بهذه الوعود التي قطعها لتونس بل إنه ذهب أبعد من ذلك عندما أعطى وعوداً للباي بتمكينه من السيطرة على الجزائر في غضون عامين مذكراً إياه أن تلك الوعود هي مكافأة لتونس على صداقتها تجاه فرنسا. وفي واقع الأمر أن تلك الوعود التي أُعطيت للباي كانت تدل دلالة واضحة عل غموض السياسة الفرنسية في الجزائر خلال العامين الأوليين لاحتلالها للجزائر. وكان السبب الرئيس وراء عدم وضوح السياسة الفرنسية هو محاولة استطلاع الموقف الأوروبي من غزو فرنسا للجزائر والتعرف عن كثب على ردة الفعل الجزائرية خاصة وأن هناك مناطق مثل قسطنطينة ووهران وغيرها من عمالات الجزائر التي لم تدخل تحت النفوذ الفرنسي .

ومع أن الباي أبدى تردده من قبول ذلك الاقتراح في بداية الأمر، نظراً لوجود معارضة لذلك التوجه داخل الحكومة التونسية ،إلا أنه أخيراً قبل به بعد إلحاح من القنصل الفرنسي الذي طالب برد الباي في أسرع وقت، لكي يتسنى للإدارة الفرنسية في الجزائر عمل الترتيبات اللازمة لتلك الوضعية . وبالفعل قبل الباي بذلك وأرسل وفداً إلى الجزائر يناقش تلك الترتيبات وضم الوفد كلاً من الوزير أبي النخبة مصطفى صاحب الطابع والكاتب الفقيه أبي الربيع سليمان المحجوب وتوصل الوفد مع الحاكم العام الفرنسي في الجزائر إلى توقيع اتفاقية في ١٨ ديسمبر ١٨٣١م تلتزم فيها تونس بدفع مبلغ مالي يقدر بحوالي ٨٠٠ ألف فرنك سنوياً على أن تصبح وهران تابعة لها،واشتملت المعاهدة على امتيازات جمركية وتسهيلات خدمية للرعايا الأوروبيين والسماح لفرنسا باستخدامها مرسى وهران. وبعد توقيع الاتفاقية أرسل الباي حسين باي إلى كلوز يل يؤكد قبوله ما تم في تلك الاتفاقية وذلك بقوله "... بأننا قبلنا ولاية وهران لابن أخينا وابننا السيد أحمد باي بانشراح قلب وزيادة مودة وحب .... ونحن متحققون مودة الدولة الفرنساوية فينا ومرادنا أن تكون قلوبنا متعاضدة وأنفاسنا متواردة

ومحبتنا دائماً متزايدة ، وبعد أيام نوجه رجلا من كبار دولتنا بمائتي نفر للجزائر ... خليفة عن حاكم وهران ومن الجزائر يتوجه إلى وهرا ن ونوجه له ا لف عسكري من بلادنا ، ولما يخبرنا الخليفة باستقرار الأمر واستقامة الأحوال يتوجه ابننا السيد أحمد باى الحاكم بألف عسكري أخرى لأن محبتنا في الفرنسيس ثابتة الأركان وثيقة البنيان فأحببنا أن نظهر سر ذلك للعيان..." (١).

أما قسطنطينة فعلى الرغم من وعود فرنسا للباي بأن تصبح تابعة له إلا أن فرنسا لم تستطع السيطرة على ذلك الإقليم بسبب مقاومة الحاج أحمد باي ، حاكم المدينة ، الذي نجح في عرقلة فرنسا من السيطرة عليها.ونتيجة لذلك أوعز الفرنسيون إلى حسين باي بالضغط على أهل الحل والعقد وبالذات العلماء في قسطنطينة للانضمام إلى تونس لكي يستكمل المشروع الفرنسي القاضي بجعل قسطنطينة من الأقاليم الجزائرية التابعة لتونس . ولم يتوان الأخير في توظيف الدين لخدمة أغراضه السياسية حيث اتضح ذلك في خطابه الذي وجهه إلى علماء قسطنطينة والذي قال فيه"... إن الجزائر لما حل بها ما حل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، أصبحتم فوضى ، وعرضة لكل ذي حد أمضى ، لا تأمنون نزاعاً ، ولا تستطيعون دفاعاً. وبقاؤكم على هذه الحالة يفضي إلى تشتيت الكلمة ، واستئصال أمة مسلمة. وأن الجيش الفرنساوي لا قبل لكم به ولا طاقة ، فالواجب أن تنضموا إلينا وتتركوا القتال ، لأنه إلقاء باليد إلى التهلكة في هذه الحال ، والمؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ..." (٢) وعندما وصل الخطاب إلى أهل الحل والعقد قوبل بالرفض وأجاب عليه الحاج أحمد باي الذي استنكر ما ورد في خطاب الباي وقرر الاستمرار في الجهاد دون طلب العون من حسين باي الذي كان فحوى خطابه يدل على مهادنة الفرنسيين بل والاستسلام لهم (٣) .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ص ٨.٧.

(٢) أحمد بن أبي الضياف ، مصدر سابق ، الجزءالثالث ، ص ١٧٦.

(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

ويبدو أن الرد الذي وصل إلى باي تونس من الحاج أحمد لم يكن متوقعاً ،ونتيجة لذلك بدأ الباي يتهمه بإثارة المشكلات على الحدود التونسية الجزائرية ،وهو في واقع الأمر يريد التغطية على الاتفاقيات السرية بينه وبين الحاكم الفرنسي في الجزائر . فما كان من الباي إلا أن قام بمراسلة الصدر الأعظم يخبره بالوضع على الحدود التونسية الجزائرية بعد احتلال فرنسا للجزائر وأن القبائل التي تقطن تلك المناطق لم تدخل تحت الحماية الفرنسية ، وأصبحت تقوم بالاعتداء على القبائل التونسية وهذا يستدعي من تونس القيام بتأديب تلك القبائل ،ولكن الإقدام على ذلك العمل ربما يثير مشاكل بين فرنسا والدولة العثمانية ، وطالب الباي من الصدر الأعظم توجيهاته حول ما يمكن عمله حول هذه المسألة.(١) ومن خلال فحوى الخطاب يتضح أن الباي كان يريد استصدار موافقة من الدولة العثمانية حتى لا يتهم بأنه متعاون مع الفرنسيين .

أما إقليم وهران فلقد التزم كل من الباي والحاكم الفرنسي في الجزائر بتلك الاتفاقية ،ونتيجة لذلك قرر الباي إرسال بعثة عسكرية بقيادة خير الدين آغا وبرفقته مائتين وخمسين جندياً لدراسة أوضاع الإقليم ووضع الترتيبات لقدوم أحمد باي ، وبالفعل وصلت البعثة في ٢٦ شعبان ١٢٤٦هـ الموافق ٩ فبراير ١٨٣١م إلى وهران والتي وجدتها تعاني من تدهور اقتصادي نتيجة لمغادرة السكان إلى تلمسان ، ومن تدهور أمني نتيجة لضعف موقف حاكم المدينة حسن باي، ومع أن خير الدين حاول إعادة الأمن إلى المدينة إلا أن الظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها الأقاليم الجزائرية عامة ووهران خاصة جعلت من المستحيل على التونسيين البقاء في تلك المدينة فالحكومة الفرنسية بدأت تتنصل من الاتفاقية التي عقدتها مع الحكومة التونسية ، والنشاط العسكري الفرنسي بدأ ينشط في غرب الجزائر وفي إقليم تلمسان بالذات.إضافة إلى أن الالتزامات المالية التي ألتزم بها التونسيون أصبح من الصعب الالتزام بها خاصة وأن

(١) الخط الهمايوني ،رقم الوثيقة A ١٨٦٣٨ ،الأرشيف العثماني .

العوائد المالية التي كان يجبيها خير الدين من أهالي وهران لا تغطي القسط المالي الذي أشترطه الفرنسيون على الحكومة التونسية ، إذ إن الحكومة التونسية كان من المفترض أن تدفع ٨٠٠ ألف فرنك بينما المداخيل التي جبتها الإدارة الفرنسية في وهران كانت لا تتجاوز ٥٤١٣٣ ريالاً خلال ستة أشهر [١] .

ومن خلال الموقف التونسي من الاحتلال الفرنسي للجزائر يلاحظ أن الحكومة التونسية حاولت أن تضع إستراتيجية جديدة لسياستها الخارجية ، إذ أنها عقدت اتفاقيات تعاون تجاري وتحالف عسكري مع الفرنسيين، وهذا يتعارض مع السياسية التقليدية التي شكلت العلاقات بين دول المغرب العربي وبين الدول الأوروبية طيلة الثلاثة قرون تقريباً التي سبقت ذلك الحدث ، ويعطي دلالة أخرى وهي استقلالية تونس عن الدولة العثمانية إذ إنها تجاهلت الحكومة العثمانية في تقاربها مع الفرنسيين ، وهذا التجاهل بالطبع أغضب العثمانيين الذين عدوا تحالف التونسيين مع الفرنسيين خروجاً عن الأمة الإسلامية ، ويجب محاربة أولئك الخارجين. وعندما سمع الباي بتلك التهديدات أرسل وفداً إلى إستنبول ضم أحمد بن أبي الضياف ومصطفى البهلوان ليوضح للحكومة العثمانية وجهة النظر التونسية والتي تتلخص في أن قبول الباي بحكم وهران وتعاونه مع الفرنسيين الهدف منه حقن دماء المسلمين، وبالفعل نجح الوفد في إقناع الحكومة العثمانية بحسن نوايا الباي ، وأن تلك السياسة إذا كانت يترتب عليها ضرر للأمة الإسلامية ، فإنها مستندة على القاعدة الفقهية "الضرورات تبيح المحذورات " .

وأيضاً كان من مهام الوفد طلب السماح من السلطان باستحداث بعض الترتيبات العسكرية وإحضار لباس التشريف للباي لكي يدعم موقفه داخلياً خاصة وأن هناك بعض المعارضين لسياسته من الجند والذين يعودون إلى أصول تركية ، وعند عودة الوفد إلى تونس ألبس الزي العسكري النظامي وأرسل معه رسول بالشعار الملكي النظامي

(١) عبد الجليل التميمي ، مغامرة الحماية التونسية في وهران، ص ص ١٠-١٨.

لكي يتقلده الباي كما جرت العادة بذلك ، وعند وصول الوفد قام الوزير بتقليد الباي الشعار في محفل كبير في الديوان الملكي ، وهذا دلالة على عودة الأمور إلى مجاريها بين الدولة العثمانية وبين تونس.(١)

أما موقف الدولة العثمانية من غزو فرنسا للجزائر والآثار التي ترتبت عليه فلقد تمثل في استنكارها للنشاط العسكري الفرنسي أمام السواحل الجزائرية وحاولت أن تقطع على فرنسا فرصة احتلالها للبلاد، إذ أنها كانت تعد الجزائر ولاية من الولايات العثمانية التي تدير شؤونها بعيداً عن الحكم العثماني المباشر. ونتيجة لذلك أرسلت فرقة عسكريةً بقيادة القبطان طاهر باشا قبيل احتلال فرنسا للجزائر كان مهمتها تنحية الداي حسين عن إدارة البلاد خاصة وأن سياسته تجاه فرنسا كانت السبب الرئيس في مقدم الحملة الفرنسية وبتنحيته تعدل فرنسا عن غزو البلاد . وعندما وصلت الفرقة العثمانية إلى تونس والتي كانت تنوي النزول في تونس والتوجه إلى الجزائر عن طريق البر لم يسمح لها الباي بالنزول واعتقد أن مساعدة طاهر باشا سوف يضر بصداقته مع فرنسا وربما يعرض تونس للخطر خاصة بعد التحذيرات الفرنسية ضد الحكومة التونسية بعدم تدخلها في الحرب.(٢)

ومع أن حسين باي حاول التحالف مع الفرنسيين حتى لا يعرض بلاده لغزو محتمل من قبل الفرنسيين إلا أنه أيضاً تنبه إلى أن سياسته تلك سوف تضر بصلات تونس مع الدولة العثمانية ، لذلك حاول أن يزود الوفد التونسي الذي توجه إلى إستنبول برسائل حوت تهنئة للسلطان على التنظيمات التي استحدثت في الجيش العثماني والتي تتلخص في إلغاء الوجاقات الإنكشارية ، ويطلب من السلطان السماح لتونس بتطبيق ذلك

(١) وثيقة رقم B ١٨٦٨٨ ،الخط الهمايوني، الأرشيف العثماني ، أحمد بن أبي الضياف ،مصدر سابق ص.ص.١٧٨- ١٧٩.

(٢) أرجمند كوران.السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر. نقله عن التركية د. عبد الجليل التميمي، تونس ١٩٧٤ ص.ص.٣٤- ٣٨.

النظام . [1] ويبدو أن تلك التوجهات التي أقدم عليها الباي حسين أذابت الجليد بين الدولة العثمانية وبين تونس ،وأوحت أن الباي لازال يدرك أن علاقته مع الدولة العثمانية علاقة مبنية على تاريخ مشترك وتبعية فرضتها الروابط الدينية والتاريخية رغم ما اعترض الأخيرة من فتور وخاصة بعد استئثار الأسرة الحسينية بنوع من الاستقلالية عن الدولة العثمانية .

وبعد احتلال الجزائر احتج السلطان العثماني محمود الثاني على الاحتلال الفرنسي للجزائر باعتبارها من ممتلكات الدولة العثمانية ، وحاول في بداية الأمر مفاوضة الفرنسيين للحصول على مكاسب سياسية وذلك بإقناع الفرنسيين بأن الدولة العثمانية سوف تتكفل بجميع المطالب الفرنسية وبالذات ما يتعلق بتأمين التجارة الفرنسية ،ولكن تلك المحاولات فشلت . ونتيجة لسلبية الموقف الفرنسي فكر السلطان في استخدام القوة ضد الفرنسيين ولكن يبدو أن الإمكانيات العسكرية لم تكن تسمح للدولة العثمانية بمجابهة الفرنسيين ،الذين كانوا يملكون من القوة ما يمكنهم من السيطرة على نيابات المغرب العربي جميعها، لذلك قررت العدول عن التدخل في الجزائر وبدأت تخطط في الحفاظ على كل من تونس وطرابلس من الوقوع تحت السيطرة الفرنسية [2].

ولكي يؤكد السلطان العثماني على تبعية تونس للدولة العثمانية أعطى إشارة للفرنسيين بأن تونس جزء لا يتجزأ من أملاك دولته ،وأنه يهتم بأمورها الداخلية وذلك بإصداره فرمان لوالي تونس حسين باي يجدد فيه تعيينه كوالي على تونس كما اعتاد السلاطين العثمانيون على ذلك، ويشكره على القيام بالمهام الموكلة إليه ،ويطلب منه

---

(١) رسالة من حسين باشا إلى السلطان محمود ٧ ذي الحجة ١٢٤٦ هـ (٨ يونيو ١٨٣١ م) الخط الهمايوني رقم الوثيقة ١٨٧٤٨ الأرشيف العثماني.

(٢) عبد الرحمن تشايجي .المسألة التونسية والسياسة العثمانية ١٨٨١-١٩١٣. ترجمة عبد الجليل التميمي. تونس: دار الكتب الشرقية، ١٩٧٣، ص ٣٤.

تسيير أمور الرعية متبعاً الأوامر العلية التي تصل إليه بما يقتضيه الشرع الشريف. ولقد ورد في ذلك الفرمان ما نصه"...عند وصول التوقيع الهمايوني الرفيع يكون المعلوم أنك أنت الباشا المومى إليه من صادق خدمة دولتي العلية الأبدية القرار ومن شعار الحمية اتباع سلطنتي السنية السرمدية الاستمرار، وأن ما بذلته من الهمة وما أجريته من الحزم والصداقة إلى الآن فيما فوض إلى لياقتك بأوامري العلية الملوكانية ، وفيما أحيل إلى عهدتك مما أنت أهل له من مهام سلطنتي السنية جميع ذلك لدى ذاتي الشاهانية ظاهر ومعلوم وأن ظهور وحسن الخدمة أيضاً منك مأمول ومجزوم ، وقد اقتضت عواطفي العلية الملوكانية وعوارفي البهية السلطانية هذه المرة بإبقاء الأيالة المذكورة وتقريرها في عهدتك كما كانت بموجب المقرون بالشوكة خطي الهمايوني الصادر بمزيد الشرف فلازم أن تكون سيرتك وأطوارك على قسطاس الشرع الشريف مطابقة وإلى يمن رضاي العالي مناسبة وموافقة وقد أمرتك بنظر وتسديد كافة مهام أمور ووظيفة ولايتك على الأيالة التونسية وجميع متفرعاتها ..." [1].

ولم تقف جهود الدولة العثمانية على التأكيد على تبعية تونس لها والاهتمام بشؤونها الداخلية بل إنها حاولت التقرب من الحكومة التونسية وذلك باستخدام سياسة مشابهة للسياسة التي سلكتها فرنسا في تعاملها مع باي تونس حسين باشا عندما أعطته وعود بحكم وهران وقسطنطينة. ففي عـام ١٢٤٩هـ (١٨٣٤م) فكرت الدولة العثمانية بإلحاق طرابلس بتونس ويبدو أن هناك حيثيات تاريخية ومشاكل داخلية في طرابلس وظروف عسكرية واعتبارات سياسية جعلت الدولة العثمانية تقدم على ذلك العمل . فتونس من الناحية التاريخية لعبت دوراً هاماً في مساعدة الأسرة القرمانلية التي التجأت إليها عندما استولى على الحكم علي برغل في عام١٢٠٧هـ(١٧٩٣م)، وبعد عامين من

---

(١) فرمان سلطاني من السلطان محمد بن عبد الحميد إلى حسين باشا، باي تونس في ١ شوال ١٢٤٦هـ(١٤ أبريل ١٨٣١م)صندوق ٢٢١ ،ملف٣٦١ ، السلسلة التاريخية الأرشيف التونسي ، تونس.

حكم الأخير استطاع باي تونس حمودة باشا من إرسال حملة إلى طرابلس نجحت في تثبيت حكـم تلك الأسرة على البلاد .[١]

أما المشاكل الداخلية في طرابلس فلقد تركزت في الديون المتراكمة على يوسف باشا القرمانلي وتدخل القناصل في شؤون البلاد وقيام الثورات ضد حكم الأسرة القرمانلية مما اضطر يوسف باشا للتنازل عن الحكم لابنه وولي عهده علي باشا في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.[٢] ورغم تلك التنازلات من يوسف باشا القرمانلي إلا أن الثورة ضد الحاكم الجديد ظلت مستمرة وزادت الأمور سوءاً عندما انضم إلى الثوار محمد بك أخو علي باشا ،وظهر واضحاً خطورة الثورة التي تحولت إلى حرب أهلية بين أفراد الأسرة القرمانلية خاصة عندما أصبحت قوى وأطراف خارجية مثل فرنسا وبريطانيا والدولة العثمانية وتونس تتدخل في تلك الصراعات. وكان لاستنجاد بعض الأهالي بالدولة العثمانية وبحسين باي الأثر الكبير في عزم الدولة العثمانية على اتخاذ قرار بشأن الوضع المتدهور في البلاد ، فبعد أن كانت فكرة الاستعانة بحسين باشا في إلحاق طرابلس بتونس من الخيارات المطروحة أمام الحكومة العثمانية خاصة وأن باي تونس كان له أطماع توسعية في المنطقة وكان يتظاهر بتبعيته للدولة العثمانية في أداء تلك المهمة إلا أن الدولة العثمانية قررت القيام بتلك المهمة بنفسها حيث أرسلت حملة عسكرية من ٦٠٠٠جندي في الخامس والعشرين من شهر فبراير ١٨٣٥م استطاعت من خلالها استعادة نفوذها في طرابلس والقضاء على الأسرة القرمانلية.[٣]

---

(١) شوقي عطا الله الجمل. مرجع سابق .ص.١١٠ .

(٢) محمد سعيد الطويل ، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي ١٧٩٥-١٨٣٢ بنغازي : دار الكتب الوطنية ٢٠٠١م ،ص.ص. ٣٤٧-٣٤٨.

(٣) أحمد بن أبي الضياف ، مرجع سابق ،الجزء الثالث ،ص.١٩١ ، وانظر عبدالجليل التميمي ، مسألة إلحاق طرابلس الغرب إلى تونس سنة ١٨٣٤م ، المجلة التاريخية المغربية ،عدد٤ (١٩٧٥م)ص .ص .٧٥-٨٠ ، وانظر محمد سعيد الطويل ، مرجع سابق ،ص.٣٤٩.

ورغم قيام الدولة العثمانية بمهمة إنهاء الصراع القائم في طرابلس وعدم إعطاء تونس الفرصة للقيام بذلك إلا أن باي تونس الجديد مصطفى باي الذي خلف أخاه حسين باي في الأول من محرم سنة ألف ومائتين وإحدى وخمسين(٢٠مايو ١٨٣٥م.) حاول التقرب من الدولة العثمانية فأرسل بعثة إلى إستنبول لطلب الفرمان من السلطان العثماني وإضفاء صفة الشرعية على حكمه للبلاد. وبالفعل عاد الوفد التونسي بالفرمان من السلطان العثماني محمود الثاني والذي حمل الوفد رسالة للباي للالتزام بدفع مبلغ مالي سنوي للدولة العثمانية يحدد فيما بعد. وعندما وصل الوفد تدارس الباي ورجال حكومته الطلب العثماني وكان رأي الباي هو دفع المبلغ المالي للحفاظ على العلاقة مع دولة الخلافة الدولة العثمانية على أن لا يكون ذلك المبلغ يضر بمالية الدولة ،ولكن كان رأي رجال دولته مخالفاً لرأيه لاعتقادهم أن ذلك سوف يلحق الضرر بتونس اقتصادياً وسياسياً.ونتيجة لذلك استقر الرأي على مكاتبة السلطان العثماني والاعتذار عن دفع المبلغ المالي المقترح نظراً لفقر البلاد والتي هي بحاجة لمساعدة الدولة العثمانية خاصة وأن البلاد كانت تمر بظروف اقتصادية صعبة .[1]

ولقد كان لبسط الدولة العثمانية حكمها المباشر على طرابلس الأثر الكبير على الوضع الذي لا يزال متأزماً في الجزائر ،وبالذات على الحدود التونسية الجزائرية حيث مقاومة أحمد باي، باي قسطنطينة، للفرنسيين.ونتيجة لذلك أشيع أن الدولة العثمانية تعد العدة للقيام بحملة على تونس لتضمها إلى حكمها المباشر ومن ثم تجنيد عربان تونس لمحاربة الفرنسيين في الجزائر. وعندما سمعت فرنسا بذلك وجهت أسطولها إلى سواحل تونس لعدم تمكين الأسطول العثماني من احتلال تونس ، وأصبحت الحكومة التونسية في موقف لا تحسد عليه، فوجود الأسطول الفرنسي على سواحل تونس

(١) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص.ص.١٩٩-٢٠٠.

يوحي بأن الباي استدعاه ليقوم بالدفاع عن بلاده، وفي نفس الوقت كان الباي يريد الحفاظ على علاقته مع الدولة العثمانية إذ أن ذلك الخبر ربما يكون مجرد إشاعة لا صحة لها، لذلك حاول الباي استرضاء الدولة العثمانية والحفاظ على الوضعية التي تتمتع بها تونس بعيداً عن الاحتلال الفرنسي أو التدخل العثماني ، فكتب إلى القنصل الفرنسي شوبيل يطلب منه مغادرة الأسطول الفرنسي لشواطئ تونس لأن ذلك سوف يضر بالعلاقة بين تونس والدولة العثمانية ،والتزم الباي بتقديم الخدمات الملاحية للسفن الفرنسية على شواطئ بلاده. ولقد أشار إلى ذلك بقوله"...أما بعد فإن جناب الدولة الفرنساوية وجهت أجفانها إلى مرسى عمالتنا على مقتضى المحبة والمودة، وقابلناهم بإكرام لأن شقوفنا* في مراسي الفرنسيين كأنها في مراسي عمالتنا، فكذلك شقوف الفرنسيين عندنا. وأما إقامة الأجفان في هذا الوقت بحلق الوادي، ودونالمة مولانا السلطان بقربنا، وفيها السيد قبطان باشا، ربما تنتج لنا مضر في الحال أو في المستقبل من جهة الدولة العثمانية أدام الله وجودها ، لأنها ربما تظن في جنابنا ظناً يضر بنا . ومعلوم أننا تحت طاعة مولانا السلطان في أمره، وباسمه نخطب في جوامعنا وعلى سكتنا ، فلا يخطر ببالنا أننا نعصيه أونخالف أمره،أو نعارضه بشيء. فالمراد أن تعرف الأميرال بـهذه المضرة التي نتوقعها..." (١).

وهنا يلاحظ وضوح السياسة التونسية تجاه التطورات في المغرب العربي فهي تريد الحفاظ على علاقاتها القديمة مع الدولة العثمانية كورقة رابحة تستخدمها ضد السياسة التوسعية ضد الفرنسيين والتي أخذت سياستهم تبدو أكثر وضوحاً في الجزائر خاصة عندما أخذوا في قمع المقاومات التي وقفت ضد التوسع الفرنسي في الجزائر. وفي نفس

* الشقوف والأجفان المتقدمة الذكر تعني السفن.

(١) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق،الجزء الثالث، ص. ٢٠٥.

الوقت تحاول الإبقاء على علاقتها معهم وعدم التورط في حرب ربما ستؤدي إلى فقد تونس لاستقلالها.

ولقد أجاب القنصل الفرنسي على تلك الرسالة بتحذير الحكومة التونسية من منع الأسطول الفرنسي من التواجد على السواحل التونسية ، وأن وجود الأسطول الفرنسي هدفه الحفاظ على المصالح الفرنسية في تونس خاصة عندما أصبحت معرضة للخطر من قبل الأسطول العثماني . وحذر الدولة العثمانية من بسط نفوذها على تونس لأن ذلك سوف يهدد الوجود الفرنسي في الجزائر خاصة وأن التعاطف الشعبي داخل تونس كان قوياً ، وربما يؤدي هذا التعاطف إلى مساندة مقاومة أحمد باي في قسطنطينة ، وفي نفس الوقت أشار القنصل إلى احترام فرنسا إلى العلاقة التاريخية التي تربط تونس بالدولة العثمانية ، ولقد ورد في أجابته ما نصه "...وصلنا المكتوب الذي تشرفنا به من عند السيادة وأعلمنا به الأميرال لالند... وجانبكم العلي بريء...وخارج من الاتفاق الذي اقتضاه نظر الدولة الفرنساوية في إرسال هذه الدونالمة إلى سواحل تونس وأنتم لا يمكن لكم أن تمنعوا دولة الفرنسيس من ذلك، وهو إرسال شقوفها إلى سواحل تونس. ولأجل ذلك لا يتوجه عليكم لوم ولا عتاب من جانب الدولة العثمانية، وحاشا جناب دولتنا أن ترضى بما يوجب لكم غياراً مع دولتكم، وإنما مراد الإمبراطور أن تبقى جناب دولتكم مع الدولة العثمانية على العهد القديم السابق ، من غير تبديل ولا تغيير.ولكن الدولة العثمانية لا يمكن لها أن تخترع أمراً جديداً تضر به مصلحة الفرنسيس في الناحية التي تحت يده في الأبركة* ...لأن قدوم دونالمة المسلمين إلى تونس يتقوى بها قلب باي قسطنطينة الذي عندنا معه في التاريخ مكالمة، وربما حرب بيننا فلأجل ذلك نعلم قبطان باشا أنه لا يقدم، ويرجع إلى المحل الذي جاء منه. فإن صمم وعزم على القدوم ،فإن الأميرال واجب عليه أن يصده ويمنعه بالمدافعة القهرية بالقوة " (١).

* الأبركة هنا تعني أفريقيا .

(١) نفس المصدر السابق ،الجزء الثالث ، ص.ص٢٠٥-٢٠٦.

ونتيجة لهذا التحذير الفرنسي لباي تونس بل وللدولة العثمانية اضطر الباي والدولة العثمانية للتعامل بحذر مع ذلك التحذير، فمصطفى باي كان يدرك أنه لا يستطيع الوقوف ضد الفرنسيين الذين بدؤوا في انتهاج سياسة جديدة في المغرب العربي تقوم على التوسع في الجزائر، ومن المحتمل أن تمتد تلك السياسة التوسعية لتشمل مناطق خارج الجزائر خاصة إذا هُددت المصالح الفرنسية كما أشار القنصل في رسالته، والأحداث التاريخية تؤكد أن من أهم الذرائع التي اختلقها الفرنسيون لاحتلالهم للجزائر هي تهديد المصالح الفرنسية من قبل الجزائريين. أما الدولة العثمانية فهي الأخرى كانت لا تريد التورط في حرب مع الفرنسيين لأن ليس لديها القدرة على القيام بذلك، وموقفها العسكري من احتلال الجزائر يكاد يكون سلبياً، إضافة إلى أن نجاحها في السيطرة الفعلية على طرابلس لازال محفوفاً بالمخاطر فالمعارضة الداخلية في داخل ولاية طرابلس بقيادة عبد الجليل سيف النصر وغومة المحمادي كانت قوية [1]. وبالطبع لم تكن الدولة العثمانية تدخل في حرب تبدو فيها خاسرة من الوهلة الأولى.

وعلى الرغم من مهادنة الدولة العثمانية لفرنسا إلا أنها كانت تراقب التطورات في المنطقة عن كثب، فبعد وفاة مصطفى باي تولى ابنه أحمد باي في العاشر من شهر رجب ١٢٥٣ هـ (العاشر من شهر أكتوبر ١٨٣٧م) حيث تلقى البيعة من أهل الحل والعقد في البلاد. وكالعادة قام السلطان محمود الثاني بإصدار فرمان عين فيه أحمد باشا والياً على تونس حيث كان من المتعارف عليه أن ولي العهد يخلف الوالي ، ولقد اتخذ السلطان هذا القرار بعد تقرير تلقاه من الصدر الأعظم والذي أشار فيه إلى وفاة مصطفى باشا في تونس ومكاتبة الأهالي له يلتمسون من السلطان تعيين أحمد باشا والياً عليهم . هذا الالتماس جعل السلطان يسرع في اتخاذ القرار حتى يضفي ذلك

(١) إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م ،تعريب خليفة محمد التليسي ، بيروت: دار الثقافة ١٩٧٤م ص.ص.٣٦٠- ٣٧٢ .

التعيين صفة الشرعية للوالي الجديد ويحافظ على الروابط الشرفية بين دولة الخلافة وبين تونس التي كانت مهددة من قبل الفرنسيين في الجزائر. [١] ويبدو أن الحكومة العثمانية كانت تسعى جاهدة على الحفاظ على وجودها السياسي في تونس ومحاولة عدم تمكين الفرنسيين من سياستهم التوسعية في المغرب العربي . وكانت أيضاً الحكومة التونسية تحاول أن لا تفرط في علاقتها التاريخية مع الدولة العثمانية والتي بالطبع كانت تريد أن تستخدمها عندما تكون في حاجتها.

هذا الشعور المتبادل بين الطرفين ترجم إلى عمل فعلي تمثل في استمرارية الدولة العثمانية في مساندة المقاومات ضد الفرنسيين في الجزائر وبالذات مقاومة أحمد باي في قسطنطينة ، بل والإيعاز إلى الحكومة التونسية بتقديم المساعدة لتلك المقاومة التي قرر الفرنسيون التفرغ لها بعد أن عقدوا صلح تافنا مع الأمير عبد القادر الجزائري في١٥ صفر ١٢٥٣هـ (٢٠ مايو ١٨٣٧ م). [٢] ولقد وضح ذلك التعاون من خلال الرسالة التي بعث بها أحمد باي، حاكم قسطنطينة، إلى الوزير الأكبر السيد أحمد قبطان باشا رداً على استفساره عن تعاون أحمد باي ، والي تونس ، مع مقاومة أهالي قسطنطينة ضد الفرنسيين وذلك بقوله"... أمل بعد نعم الملك الأكمل قد أتاني جوابكم الرفيع...وعلمنا ما فيه وكل شيء شرحتم فيه صار بالبال... ونخبركم نحن في هذه الساعة جانبين إلى حضرة أخانا المعظم الأرفع السيد أحمد باشا ، والي تونس وأنه رافع قدرنا شيء عظيم بالتي يرفع قدره عند الله تعالى وأنه فعل معنا خيراً كثيراً الله يجازيكم ويجازيه عنا خيراً لأنه سلطان عظيم القدر والشأن في غاية السياسة والرياسة والكياسة ،وإننا جميع ما نحتاجوه (هكذا) يفوز لنا بنقاية من تونس من غير تعطيل، وفتح لنا وللإسلام (هكذا) وللمسلمين الذين باتباعنا(هكذا) وطن إفريقية إلى الكيل ... ونحن جانبين إليه

(١) تقرير من الصدر الأعظم على السلطان ، الخط الهمايوني رقم الوثيقة A ٢٢٤٢٥ الأرشيف العثماني.

(٢) شوقي عطا الله الجمل ، مرجع سابق ص.٢٦٨.

نرجو في وعدكم وفضلكم الجزيل لأننا وجدناه في هذا الإقليم ركن الإسلام وما فعل معنا إلا الخير. الله يجازيه عنا خيراً والله ينصر الإسلام ويهدم الكفار..." (١) .

هذا التعاون من باي تونس يعطي دلالة واضحة على أن الحكومة التونسية بدأت في مراجعة سياستها مع فرنسا التي أخذت أطماعها التوسعية تتنامى في المغرب العربي .

ومع أن الحكومة التونسية وقفت موقفاً إيجابياً من مقاومة أحمد باي في قسطنطينة إلا أن الفرنسيين استطاعوا الاستيلاء على المدينة مما اضطر أحمد باي إلى الانسحاب منها .ونتيجة لذلك بسط الفرنسيون نفوذهم على المناطق القريبة من الحدود التونسية وبدت أطماعهم واضحة في إضافة أراضٍ جديدة تابعة لتونس . وعندما ناقش القنصل الفرنسي مع الحكومة التونسية رغبة فرنسا في ضم منطقة قبيلة نهد القريبة من باجة مع إعطاء تونس تعويضات في مناطق أخرى قوبل طلبه بالرفض . بل أن الحكومة التونسية عدت ذلك تعدياً على سيادتها التي تضرب بجذورها في عمق التاريخ ، والتي تستمد من روابطها الوثيقة مع الدولة العثمانية. ولقد ورد ذلك في الخطاب الذي وجه إلى القنصل حيث ذكر فيه"...أن هولاء نهد لم تنلهم رعاية الجزائر سابقاً ،ولا وقع من دولة الترك بالجزائر كلام مع تونس في شأنهم، مع ما كان بينهم من الحروب ،وإنما هم في رعاية تونس ، وملوكها يتداولون التصرف فيهم والخلاص منهم خلفاً عن سلف ، كما عرفناكم بذلك سابقاً. وحدود عمالتنا هي التي نتصرف فيها كما وجدنا من قبلنا ، لم نتجاوزها. وإما تجديد التحديد أو إبدال بعض العمالة بجزء من غيرها ، فمعلوم أننا نتوقف فيه على المشورة من جهة الدولة العثمانية ، وإن كان لنا التصرف العام في أيالة بما تقتضيه اجتهادنا من المصلحة. إما النقيض منها أو إبدال بعضها فلا يحسن منا بغير إعلام مولانا السلطان، وتقرير ما ينشأ لنا من المضرات بسبب ذلك لجانبه العالي ..."(٢)

من خلال هذا الرد يمكن استقراء العلاقة بين تونس والدولة العثمانية فالشؤون الداخلية كانت بيد أفراد الأسرة الحسينية ،أما الشؤون الخارجية فلا يمكن البت فيها إلا باستشارة

---

(١) الخط الهمايوني رقم الوثيقة ٦١. الأرشيف العثماني.

(٢) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء الرابع.، ص.١٧.

السلطان.هذه التوجهات التونسية لم تكن هي القاعدة في العلاقة بين الطرفين وإنما أملتها الظروف التوسعية للفرنسيين على الحدود التونسية ، فالحكومة التونسية في العادة تقوم بعقد الاتفاقيات وتسيير شؤونها الخارجية دون العودة إلى السلطان العثماني .

وبعد الاستيلاء على قسطنطينة أدرك الباي أحمد الخطر الذي ينتظر تونس خاصة وأن الفرنسيين ظهرت أطماعهم واضحة على حدود بلاده فكاتب الحكومة العثمانية يخبرها بالتطورات الأخيرة على الحدود التونسية الجزائرية. وفي المقابل وجدت الدولة العثمانية الفرصة سانحة لزيادة نفوذها في تونس ، فقامت بإرسال وفد إلى تونس برئاسة مصطفى البهلوان بهدايا ثمينة للباي كان من بينها نيشان وسيف مرصع بالذهب وعشرة مدافع بذخائرها ، وعند وصول الوفد إلى تونس استقبل استقبالا حافلاً لم تعهد البلاد مثله من قبل. وبهذا الاحتفال أعطت الحكومة التونسية إشارة للقنصل الفرنسي في تونس بعمق العلاقات التونسية العثمانية . ولكن هذا الوفد زود بتعليمات للحكومة التونسية يطلب منها دفع مبلغ سنوي للدولة العثمانية والذي قوبل بالاعتذار من الحكومة التونسية نظراً لضعف موارد الدولة والتي لا تكاد تكفي الأعباء المالية للدولة . ورغم اعتذار الباي للوفد بعدم استطاعة تونس دفع المبلغ السنوي المقترح من قبل الدولة العثمانية إلا أن الحكومة العثمانية لم تقتنع بالرد التونسي . ونتيجة لذلك أرسل الباي الشيخ إبراهيم الرياحي إلى إستنبول وحمله رسالة برر فيها عدم قدرة تونس على دفع أي مبلغ مالي لأن ما يجبى من البلاد لا يكاد يكفي أوجه الصرف على الأهالي ، ورغم ذلك أكد على الارتباط الوثيق بين تونس والدولة العثمانية ، وأن التونسيين ما هم إلا من رعايا السلطان الذين يجب أن يشملهم عطفه وعدم تحميلهم ما لا يطيقون . ولقد ورد في الرسالة هذا المقتطف"... تونس موضع شعائر الإسلام غريبة ببعدها عن استمطار أياديك الجسام ومساحة معمورها مسير نحو الستة أيام ، شأن أهلها التمعش(هكذا) من الزيت والبر ، والصوف والوبر ، يعانون في تحصيلها ألم الحر والقر ، هذا غالب ما يسد

لهم الخلة...فإن الدخل على قدر الإنفاق ...فالسلطان ظل الله في أرضه يأوي إليه كل مظلوم وهذا من الواضح المعلوم ...هذه ضراعة رعيتك المستمسكين بطاعتك، المستجيرين بحمايتك ، المرتجين لعنايتك وإعانتك، قمت بتبليغها بين سلطنتك الخاقانية، وهمتك العثمانية وتبليغها من الواجب في حقي ،وهو ثمرة طاعتي وصدقي...."[1].

وفي حقيقة الأمر نجح الشيخ إبراهيم الرياحي في سفارته وأقنع الحكومة العثمانية بالتخلي عن طلبها في ذلك الوقت حيث إن ذلك يقود إلى مضرة للعباد والبلاد، أما إذا كان هناك وفرة في المال فإن الباي لن يبخل عن الدولة العثمانية، دولة الخلافة، في أي مساعدة تحتاجها . وبالفعل حصل الرياحي على وعد من الحكومة العثمانية بعدم الإلحاح في الطلب على الحكومة التونسية ،وأن هذا الطلب يمكن تأجيله إلى وقت آخر،بل إن الحكومة العثمانية ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث التزمت للرياحي بأنها إذا أدركت أن ذلك المال سوف يؤدي إلى ضرر فإنها لن تطالب به.وعندما عاد الرياحي إلى تونس في أواسط رجب ١٢٥٤هـ(أوائل أكتوبر ١٨٣٨م) فرح الناس بالحلول التي توصل إليه الوفد التونسي مع الحكومة العثمانية .[2] وفي واقع الأمر إن ذلك النجاح يعتبر نصراً للدبلوماسية التونسية في محاولتها خلق توازن في علاقتها الخارجية وعدم التفريط في علاقتها مع الدولة العثمانية التي تربطها بها روابط تاريخية عميقة.

وعندما بلغ خبر وفاة السلطان محمود الثاني إلى الباي في التاسع من شهر رجب ١٢٥٥هـ (الثاني من يوليه ١٨٣٩م) وتولية السلطان عبد المجيد خان كتب إلى أقاليم تونس خطاباً ينعى فيه وفاة السلطان والدعاء للسلطان الجديد على المنابر . وانتدب الباي وفداً إلى السلطان لتعزيته في وفاة والده وتقديم التهنئة له على تولي الخلافة. وحمل

(١) نفس المصدر السابق ونفس الجزء ص.ص.١٩-٢١.

(٢) نفس المصدر السابق ونفس الجزء ص.٢٥.

الباي الوفد رسالة عزاء أوضح فيها استقبال تونس لخبر وفاة السلطان بالصبر وأنه لا راد لقضاء الله وسأل الله له الرحمة والغفران . وفي المقابل قام بتهنئة السلطان الجديد بكلمات رقيقة أشار فيها إلى الارتباط التاريخي بين تونس والدولة العثمانية وقدم فيها فروض الطاعة للسلطان حيث ذكر فيها"... وهذه المملكة التونسية، منبت طاعة السلطنة العثمانية ، أخذت من العزاء والهناء النصيب الأوفر والحظ الأكبر،على عادة طاعتها....والباب العالي زاده الله علواً، وإجلالاً،وسمواً يقبل بضاعتنا على قدر مقامها، ... اللهم أعنا على ما أوجبت لسلطاننا من فرض الطاعة، واحفظنا بعدله من أسباب الإضاعة وأدم السلطنة في سلسلته(هكذا) إلى قيام الساعة واحرس بشوكته السنة والجماعة..." (١).

ومن خلال الرسالة السابقة يتضح أنه رغم الاستقلالية الداخلية التي يتمتع بها الباي داخل بلاده وعقده المعاهدات مع بعض الدول الأوروبية إلا أن صلاته مع الدولة العثمانية قوية وراسخة يدعمها في ذلك الاتجاه طاعة السلطان " خليفة المسلمين" وما أوجب الله له من الطاعة، ويسندها تفهم الدولة العثمانية للوضع القائم في تونس وعدم فرض أي مطالب عليها يمكن من خلالها الدخول في انفصال "غير شرعي" بين الطرفين. ويفرض عليها الإبقاء على العلاقات الجيدة الوضع المتأزم على حدود البلاد الغربية. ونتيجة لذلك طلب الباي أحمد من السلطان عبد المجيد الإنعام عليه بلقب مشير* ، ولم يتردد السطان في ذلك حيث بعث إليه بفرمان لترقيته إلى رتبة مشير نتيجة لجهوده في القيام بالأعمال الموكلة إليه ولقد ورد في الفرمان ما نصه"...وبناء على ما ظهر لي من فريق تونس بكل وجه من الخدمات الحسنة في حق ذات اليمن سلطنتي السنية لما هو مودع فيه من جواهر الرشد والإدراك ومعادن الدراية والقابلية وعلى ما هو مقتضى ما هو مأمول في ظهور الغيرة والحمية والمآثر المرضية بتوجيه أنوار عواطف شاها نيتي

(١) نفس المصدر السابق ونفس الجزء ص.٣٣.

* رتبة عسكرية أعلى من مرتبة الفريق كما ورد في الوثيقة .

وفيوض مواهب ملوكيتي في حقه ، فمن عالي عواطف شاها نيتي وباهي عوارف ذات المواهب ملوكيتي صدور أمري الهمايوني المقرون بعناية ملوكيتي في اليوم التاسع من شهر جمادى الآخرة سنة ست وخمسين ومائتين وألف ... فإني قد تفضلت عليه أعطيت له رتبة المشيرية على الوجه المحرر بهذا المنشور الزايد السرور المشتمل على مباحث المنال ومواهب المآل ليكون المشار إليه من التاريخ المذكور فائق الأقران والأمثال برتبة المشيرية الرفيعة ، وعلى أن يبادر بأداء فرائض الشكر وبعدئذ يسعى بكل جد وجهد في إثبات دواعي الدراية والصداقة بحسن ضبط إدارة الأيالة المذكورة ويصرف الهمة في خصوص حماية الأهالي والتبعة وصيانة السكان والرعية والتحري في تسوية أهم أمور خدمات دولتي العلية على حســـب ما هو في عهدة المشيرية بما يوافق رضاي ومقتضى عدل شاها نيتي...." [1] .

ويبدو أن الباي أحمد باشا اختط سياسة تقوم على التوازن بين القوى الطامعة في بلاده والتي من وجهة نظره تمكنه على المدى البعيد من المحافظة على استقلاليتها . فحاول أن يوثق صلاته مع الدولة العثمانية وفي نفس الوقت حاول تجنب الاصطدام بالفرنسيين في الجزائر ومهادنتهم بقدر الإمكان . فعندما أرسل السلطان العثماني عبد المجيد رسولاً إلى تونس في محرم عام ١٢٥٦هـ(مارس ١٨٤٠م) يطلب من الحكومة التونسية استحداث التنظيمات الإصلاحية الجديدة في تونس والتي كان قد أعلن عنها في إستنبول عام ١٨٣٩ م لم يتردد الباي في الاستجابة لأمر السلطان حيث جمع أهل الحل والعقد وأخبرهم بما ورد من السلطان ، وبعد مداولات بين الباي وأعيان رجال دولته أجاب السلطان باستحسان تلك الإصلاحات وأشار إلى أنه سوف يمضي في القيام بها رغم الصعوبات التي ربما تعترضـــها وأشار إلى أنه "أمر لا محيص عنه ولابد منه" [2]

---

(١) فرمان صادر من السلطان عبد المجيد إلى والي تونس أحمد باي بتاريخ ٩ جمادى الآخرة ١٢٥٦هـ (٧ أغسطس ١٨٤٠م) صندوق رقم٢٢١ ، ملف ٣٦١ الأرشيف الوطني التونسي.

(٢) أحمد بن أبي الضياف ، مصدر سابق ، الجزء الرابع. ، ص.ص.٣٧.٣٨.

ولم تقتصر الصلات بين الدولة العثمانية وبين تونس على تفهم كل طرف للطرف الآخر بل وصلت إلى أبعد من ذلك خاصة عندما حاولت الدولة العثمانية تكريس وجودها في تونس وذلك من خلال الأوامر والمطالب التي تصل عن طريق البعثات والمكاتبات من وقت إلى آخر. فعلى سبيل المثال، إضافة إلى طلب السلطان باستحداث التنظيمات السابقة الذكر طلب محمد خسرو، الصدر الأعظم، في الدولة العثمانية من المشير أحمد باي إرسال خمسين من الغلمان الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشر ويكونون خالين من العيوب الخلقية للخدمة في قصر السلطان. وبالطبع لم يتردد المشير في تلبية طلب الصدر الأعظم.[1] ،وهذا يعطي دلالة واضحة على أن الدولة العثمانية كانت تريد الحفاظ على وضعيتها في تونس خاصة بعد الانتصارات التي حققها الفرنسيون على مقاومة باي قسطنطينة وبدؤوا يختلقون بعض المشاكل على الحدود الغربية للبلاد.

لقد كانت الاستجابة التونسية لتلك المطالب العثمانية هي بمثابة نجاح حقيقي للسياسة التونسية في ظل الظروف والمتغيرات التي كان تعيشها بلدان المغرب العربي وبالذات الجزائر وطرابلس . فتونس تريد المحافظة على صلاتها مع الدولة العثمانية للتلويح بها أمام الفرنسيين التي أصبحت سياستهم التوسعية تتضح يوماً بعد آخر ، وفي المقابل حاولت الحكومة التونسية عدم خلق أي مشكلات مع فرنسا حتى لا تعطيها الفرصة بتنفيذ مخططاتها الاستعمارية. ولقد ترجمت هذه السياسة في موقفها من المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين . فالانتصارات التي حققها الفرنسيون في الجزائر في أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر جعلت التونسيين يمضون في سياستهم القاضية بعدم

(١) العلاقات التونسية العثمانية مراسلات الصدر الأعظم ، ، صندوق ٢٢٠ ،ملف ٣٤٣ ، السلسلة التاريخية، الأرشيف التونسي .

معارضة الفرنسيين في سياستهم التوسعية في الجزائر وذلك لسببين هما: الاستمرار في السياسة التونسية والتي تقضي بعدم التعاون مع الجزائريين منذ محاصرة الأسطول الفرنسي للجزائر قبل الاحتلال وذلك نظراً للخلافات بين الطرفين مع بعض الاستثناءات البسيطة والتي تمثلت في تقديم العون لمقاومة أحمد باي في قسطنطينة نتيجة للضغوط العثمانية . وثانيهما هو محاولة حكام تونس عدم إثارة غضب الفرنسيين الذين يملكون من القوة ما تعجز تونس عن مجابهته.

ولقد تمثلت تلك السياسة السابقة الذكر، على سبيل المثال ، في موقف أحمد باي من مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري. فعندما كان الأمير عبد القادر الجزائري في حاجة السلاح في بداية الأربعينات من بعض الدول الأوروبية للاستمرار في مقاومته ضد الفرنسيين سهل مهمته تلك وكيل تونس بجبل طارق زاكي كرطوز والذي نسق بين مندوبي الأمير وتلك الدول للحصول على ما يحتاجونه من أسلحة. بل إنه قام ببعض المساعدات الأخرى والتي تمثلت في مساعدة بعض مواطني المغرب العربي غير التونسيين المناهضين لفرنسا ومنحهم وثائق مرور تونسية ويبدو أنه حدث ذلك خلال خلاف المغرب الأقصى مع فرنسا وتأييده للأمير عبد القادر. وعندما علم الباي بتلك المساعدات عنف الوكيل في المرة الأولى والثانية وكتب إليه بعدم القيام بأي تسهيلات للمعارضين لفرنسا لأن ذلك يتعارض مع سياسة تونس القائمة على التعاون والمحبة مع الفرنسيين . ولقد ورد ذلك في رسالة كتبها الباي لوكيله في طنجة حيث قال: " فإنه بلغنا أنك كتبت بصبرتات * لأناس من غير أيالتنا القائمين (كذا) على حكام الدولة المفخمة دولة المعظم سلطان الفرنسيس ،وكذلك بلغنا أن عندك خلطة مع عبد القادر بإعانته في بعض مهماته فتغيرنا من سماع لأن دولتنا مع دولة فرنسا في غاية المحبة والصفا (و) لا نعين القائم عليها بوجه مثل غيرها من أحبابنا الدول بمقتضى المحبة وشروط الوفاء وأنت من

* بصبرتات تعني جوازات سفر أو مرور.

أتباع دولتنا فالواجب أن لا تفعل ذلك ولا تقرب حماه بحيث لا يتطرق إليك وهم في أمثال هذه النوازل التي لا نرضاها ولا نمضيها ولابد أن تحرر لنا مكتوب في هذه النازلة..." [1] .

لقد حاول أحمد باي من خلال تحذيراته لوكيله في جبل طارق ومن خلال مهادنته للفرنسيين عدم إغضابهم لكي لا يجر بلاده إلى صراع كان يدرك كل الإدراك أنه خاسر فيه وأن الدولة العثمانية لن تدافع عن البلاد التونسية وسوف تتركها تعاني من قدرها مثل ما فعلت في تعاملها مع الاحتلال الفرنسي في الجزائر .

المحاولات العثمانية لإيقاف الوجود الأجنبي في تونس في منتصف القرن :

بعد مضي أكثر من عقد من الزمن على الاحتلال الفرنسي للجزائر اتضح أن هناك حقيقتين لم تغب عن الدولة العثمانية ألاوهما: وضوح سياسة فرنسا والتي تقوم على الاستقرار في الجزائر دون وجود أي معارضة من الدول الأوروبية الأخرى ، وخاصة بريطانيا . وثانيهما عجز الدولة العثمانية عن فرض حكمها المباشر على تونس كما فعلت في طرابلس بسبب اختلاف الظروف بين البلدين ، فطرابلس كانت تحكم من قبل الأسرة القرمانلية التي وصلت إلى طور الضعف مما ساعد الدولة العثمانية لإعادة سيطرتها على تلك البلاد ، أما تونس فموقف حكامها قوي إضافة إلى سياسة البايات الخارجية والتي لاقت هوى في نفوس الفرنسيين الذين كانوا يخفون أطماعهم تحت عباءة الصداقة . لذلك اختطت الدولة العثمانية سياسة تقوم على تأكيد تبعية تونس لها وذلك من خلال إلحاح الحكومة العثمانية على الباي بدفع مبلغ مالي كل سنة وباستحداث الإصلاحات ومطالبته بتنفيذ الأوامر من المطالب والتعليمات التي تصل إليه باعتباره تابعاً للدولة . فعلى سبيل المثال،أرسل كنعان القابي كاهيه إلى والي

(١) يحيى بو عزيز " موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر" الأصالة ،العدد٢٣ جانفي فيفري ١٩٧٥ ص.٣١.

تونس رسالة يستنكر فيها عدم دفع المبلغ السنوي والذي من المفترض أن يدفع دون تراخٍ.وذكر أن طلب مندوب أحمد باي الذي وصل إلى القسطنطينية لا يستطيع عرضه على السلطان بل أكد على دفع المبلغ كاملاً والذي حدده بثلاثة آلاف كيسة* في أسرع وقت ممكن وأنه لن يقبل أي عذر بتأجيل تلك المخصصات كما كان في السابق أو حتى في تخفيضها ولقد أشار إلى ذلك بقوله"... والمتضمنة الاعتذار المقدم منكم في خصوص إعطاء مبلغ الثلاثة آلاف كيسة المرتبة على الأيالة التونسية إلى الترسانة العامرة قد وصلت إلى مقام حضرة ملجاء الصدارة المشار إليه بواسطة عبدكم وعني بالبحث في عدم إعطاء مبلغ الثلاثة آلاف كيسة المذكورة تحقق أن يبسط المعذرة بتلك الصورة بلا شك أنها من الأمور غير اللائقة بالكلية نظراً على ما تفضلت به الحضرة السلطانية من التوجيهات السنية في حق مشيريتكم حتى إن تحريراتكم الواردة المذكورة لم يجسر على عرضها والإفادة عنها إلى مبارك عالي مواطئ سعود أقدام همايونية الحرة الملوكانية..." وأكد في نهاية الرسالة على ضرورة دفع المبلغ بنـــاء على أوامر السلطان.[1]

لقد كانت تلك المطالب التي أجلتها الدولة العثمانية أكثر من مرة مطالب صارمة وضعت الحكومة التونسية في موقف جعل من الصعب تقديم نفس الأعذار السابقة فكان لابد لها أن تبحث عن مخرج جديد من الضغوط العثمانية عليها . وبالفعل قرر الباي إرسال هدايا إلى السلطان والصدر الأعظم وشيخ الإسلام وبعض الوزراء لكي يسترضيهم ويخلق نوعاً من التعاطف مع وجهة النظر التونسية التي تؤكد دائماً على أن البلاد تعاني من مشاكل اقتصادية يجب أن تراعى من قبل الحكومة العثمانية . وكانت

* الكيسة وحدة وزنية قياسية اعتمدتها الدولة العثمانية في سياستها الجبائية ولم تحدد الوثيقة نوعية ما في الأكياس ولكن يبدو أنها من الدراهم.

(١) رسالة مؤرخة في ١٧ صفر ١٢٥٧هـ (٩ أبريل ١٨٤١م) وثيقة رقم ٢٥ ، ملف ٣٥١ صندوق ٢٢٠ ، السلسلة التاريخية الأرشيف الوطني التونسي .

تلك الهدايا عبارة عن ستة وثلاثين من الخيول وسيوف مرصعة بالذهب والماس وقدمت في موكب رسمي إلى السلطان بعد ورود أنباء بأن تلك الهدايا إذا لم تقدم بصفة رسمية بأنها لن تقبل .[1] ويبدو أن السلطان أراد أن يلفت أنظار الدول ذات المصالح في تونس وخاصة فرنسا بأن صلات بلاده وروابطها مع تونس قوية ، وأن تلك الهدايا التي تقدم من حين إلى آخر إنما هي جزء مفروض على تونس وأنها تعبر عن الولاء والطاعة لخليفة المسلمين.

وبعد عودة الوفد الذي قدم الهدايا إلى السلطان أرسل رؤوف باشا ، الصدر الأعظم، رسالة إلى مشير تونس ضمنها بعض التعليمات المتعلقة بالشؤون الداخلية مثل الاهتمام بشؤون الرعية التي تعتبرها الدولة العثمانية من رعاياها والاهتمام بفئة التجار والصيارفة على وجه الخصوص . ولقد ورد فيها ما نصه"...كما هو في عالي علمكم أنه تلزم الدقة من طرف كافة مأموري السلطنة السنية في خصوص إجراء كل أنواع الحماية والصيانة في كل جهة إلى جميع ما هو وديعة بيد حضرة ملجأ الخلافة العظمى من صنوف التبعية والرعايا ونشر أصول العدالة بينهم وإجراء المعاملة في حقهم بالشفقة والإنسانية وحسن ما يقع لهم من المصالح بغير تصعيب وبالأخص اتخاذ الأسباب اللازمة لترويج العملة وتسهيل التجارة للبلاد والعباد بتنظيم أمور المتمولين من التجار وطائفة الصيارفة حيث عليهم المدار والنظر في مصالحهم والتسوية في الأخذ والعطاء بينهم على وجه الحق والحاصل يلزم التدقيق الكلي في كل الأمور التي من شأنها صيانة الرعية والمؤدية إلى كسبهم ونفعهم زيادة عن سائر الرعايا غيرهم ...وأن الدولة العلية أيضاً يلزمها التحريص في هذا الخصوص لإجراء الحماية الكاملة والتسهيلات الواجبة بما أمكن في شأن المعاملة والأخذ والعطاء والحقوق المشروعة التي كتبته السلطنة

(١) رسالة من أحمد باي إلى السلطان عبد المجيد في ٢٠ ربيع الأول ١٢٥٧هـ (١٢مايو١٨٤١م) وثيقة رقم ١٨٧٠ ، إرادة داخلية ، الأرشيف العثماني .

السنية...وصدر شرفها الهمايوني من فيض جنابه السلطاني بإجراء التنبيهات اللازمة إلى كافة مأموري الدولة العلية لإجراء الدقة من الآن فصاعداً في كل حال والاعتناء بهذه المواد المذكورة حسب مراده العالي ومرغوبه الخيري الشاهاني لاستحصال الرعية والعباد على تمام الأمن وكمال الرفاهية وفق المراد..." (١) .

إن هذه الرسالة تعطي دلالة واضحة على أن الدولة العثمانية تزيد من تأكيدها على تواجدها في تونس ومسؤوليتها عن التونسيين الذين تعدهم جزءاً من رعاياها.

ومع أن أحمد باي حاول الخروج من مأزق إلحاح الحكومة العثمانية بدفع الأداء السنوي عن طريق إقناعها بعدم قدرة تونس على القيام بذلك إلا أن تلك المحاولة لم يكتب لها النجاح، ونتيجة لذلك قرر البحث عن مخرج آخر فكاتب وزير الخارجية البريطاني للتوسط في إقناع الدولة العثمانية بالتخلي عن مطالبها خاصة وأن بريطانيا تتمتع بعلاقة جيدة مع كل من تونس والدولة العثمانية. ولقد أشار الباي في خطابه أيضاً على أن مطالب الحكومة العثمانية وصلت إلى التدخل في الشؤون الداخلية والخارجية التي يعتقد أنها حق موروث له ويجب عدم التفريط فيهما. أما الحكومة العثمانية فترى عكس ذلك حيث تعتقد أن استقلالية الباي عنها في تلك الشؤون حق فرطت فيه في فترة من الفترات ويجب أن يعود لها، وأن ممارستها لهذا الحق مظهر من مظاهر الوجود العثماني في تونس. ولقد ورد في خطاب الباي ما نصه "... والآن تكرر لنا الطلب من الدولة العلية بمكتوب من الوزير في ترتيب أداء معين من المال في كل سنة ،وأن هذا لم يعهد ولم يقع في السابق أصلا من لدى آبائنا وأجدادنا جميع من سلف من حكام هذا القطر وإنما يعاهدون الدولة العلية على حسب الاستطاعة والطاقة مهما تيسر ذلك ونحن لم نفعل عن حضنا (هكذا) وأما التحجير في التصرف إلا بالإذن فإنه منذ أسس هذا

(١) رسالة من رؤوف باشا إلى المشير أحمد بتاريخ ١٠ صفر ١٢٥٧هـ(٢ أبريل ١٨٤١م) ملف رقم ٣٣٧ صندوق ٢٢٠ الأرشيف الوطني التونسي .

الوجق من نحو ثلاثمائة سنة وحكامه يتصرفون فيه ،بمرادي أن نكون مثل السلف من آبائي وأجدادي من مولانا السلطان لا تبديل ولا تغيير لأننا لم نقصر عنهم في طاعة مولانا السلطان فالمطلوب المرغوب من جناب دولة بريطانيا العظمى زمن المحبة الثابتة بيننا أن تكون لنا واسطة وسبباً في بقاء حالتنا على عادة بلادنا السابقة التي نشأنا فيها خلفاً عن السلف مع الدولة العلية لأننا نتحقق أن الدولة العثمانية ودولة بريطانيا العظمى بينهما من الصفا والمحبة ما يثمن أكثر من مطلبنا الذي هو بقاء ما كان كما كان..."[1].

واستمرت الحكومة التونسية في سياسة التقرب الحذر من الدولة العثمانية ففي أواخر محرم سنة ١٢٥٨هـ أواسط مارس ١٨٤٢م وجه باي تونس سفينتين حربيتين بجميع مستلزماتها الحربية من مدافع وغيرها هدية للبحرية العثمانية ومبلغاً من المال بلغ خمسين ألف دورو* وبعضاً من منتجات البلاد . والسبب وراء تلك الهدايا هو محاولة استرضاء الحكومة العثمانية التي لم تكن راضية عن تأجيل الحكومة التونسية للتنظيمات المقترحة من الصدر الأعظم الذي ألح في الطلب على والي تونس بالشروع قي تنفيذها حتى قال: " لا يمكن أن السلطان يتصرف بقانون تنظيماته ، وباشا تونس يتصرف في المسلمين بلا قانون شرعي ولا سياسي ومآل ذلك إلى خراب المملكة لا محالة" [2]. وعندما عرضت الهدايا على السلطان استقبل الوفد الذي قدم الهدايا إليه أحسن استقبال حيث استقبل الوفد في سفينة يطلق عليها المحمودية بل إنه أعجب بالسفينتين التونسية الصنع وأطلق عليهما مسمى نجم فشان ونويد فتوح .[3] وتناقش الوفد مع

(١) رسالة من أحمد باي إلى وزير الخارجية البريطاني ١٠ ربيع الثاني ١٢٥٧هـ (٣١ ماية ١٨٤١م)صندوق ٢٢٠ ملف ٣٤٤ الأرشيف الوطني التونسي .

* الدورو عملة إسبانية .

(٢) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق ،الجزء الرابع.، ص٥٨.

(٣) وثيقة رقم ٣٠٩١ (وثيقة غير مؤرخة)، إدارة داخلية ، الأرشيف العثماني .

بعض وزراء الدولة العثمانية خلال إقامته بإستنبول كالصدر الأعظم عزت محمد باشا ووزير البحر طاهر باشا ووزير الحربية نجيب علي باشا وغيرهم بشأن توثيق عرى الصلات بين تونس والدولة العثمانية ، ولقد تركزت المباحثات حول دفع مبلغ من المال سنوياً كدلالة على ربط تونس بالدولة العثمانية والتي في نظر الحكومة العثمانية أنها ستزيد من "اللحمة الإسلامية" التي كان المسلمون في حاجة لها في ظل الأطماع الأوروبية وبالذات في المغرب العربي . ومن الأمور الهامة التي أكد عليها الوزراء في محادثتهم مع الوفد التونسي سرعة الشروع في العمل بالتنظيمات الإصلاحية حتى إن وزير الحربية أشار بقوله : "... إن الحال يقتضي السرعة بترتيبها وأنتم بدونها في خطر" (١) .

وبعد عودة الوفد التونسي اطلع الباي على وجهة النظر العثمانية بشأن الصلات بين الطرفين مما جعل الباي يتوجس خيفة من أطماع الدولة العثمانية التي أخذت تنحى منحى يتسم بالحزم في تنفيذ التعليمات الصادرة من الدولة العلية. ولقد تمثل ذلك الحزم في المكاتيب والمراسيل الذين كان السلطان العثماني ينتدبهم إلى تونس من وقت إلى آخر لحث الباي على دفع الأداء السنوي الذي تطالب به الدولة العثمانية. فعلى سبيل المثال انتدب السلطان عبد المجيد عارف زكي أفندي إلى تونس ليناقش مع المشير أحمد دفع الأداء السنوي ،ولكن المشير لم يستجب لهذا الطلب متحججاً بعدم قدرة تونس على دفع ذلك الأداء ولقد ورد ذلك في خطاب وجهه الباي إلى السلطان وورد فيه "... ثم إن عبدكم ذي الرفعة عارف زكي أفندي ... الذي أرسل خصوصياً لمباشرة المأمورية وتبليغ ما أودع لديه من الوصايا والتنبيهات مع إجراء الفصول اللازمة المستحسن اقتضاؤها قد تيسر إلى هذا الطرف في أواخر شهر جمادى الأول مصحوباً بالأمن والسلامة وقد تذاكر الأفندي المومى إليه مع عبدكم شفاهاً في خصوص التقارير والإفادات الصادقة المتعلقة بالمبلغ الذي تفضلت بطلبه قبلا (هكذا) الحضرة الشاهانية أفهمني عنها كما

(١) أحمد بن أبي الضياف ، مصدر سابق ،الجزء الرابع. ، ص.ص.٥٩ ـ ٦٠ .

ينبغي ... وعليه فالمرجو والمسترحم من المراحم العلية الملوكانية العفو هذه المرة أيضاً في حقنا عن أداء المبلغ المذكور كما سبق العفو والمساعدة السنية في ذلك من طرف المرحوم المغفور له ، وأن تنظر بعين العنـــاية إلى عبيدها الفقراء والرعايا الموجودين بأيلة تونس..."(١) .

إن الرفض التونسي لدفع الأداء السنوي جعل السلطان العثماني يستخدم أسلوباً آخر في محاولة تكريس تبعية تونس للدولة العثمانية. ولقد تمثل هذا الأسلوب في تسيس الدين والتأكيد على الروابط الدينية وأن السلطان هو صاحب الشرعية في إصدار التعاليم الدينية لرعاياه في تونس التي تعتبر جزءاً من أملاك الدولة العثمانية. ففي إحدى الفرمانات التي وجهت إلى أهالي تونس أمر السلطان خاصة الناس وعامتهم بالاهتمام بالصلوات الخمس وطالب الجهاز الإداري في تونس بالاهتمام وتوصيل تلك التعاليم إلى كافة الناس .ولقد ورد في ذلك الفرمان ما نصه"... الدستور المكرم والمشير المفخم ... وزيري أحمد باشا مشير تونس الحالي...كما هو مقرر لدى الجميع حيث إن الأمر بالقيام والمواظبة على أداء الصلوات الخمس كما فرض الله تعالى هو فرض عين على كل مؤمن موحد متحلي بجوهر الإيمان والإسلام ومنجلي قلبه ومنور بنور التوحيد وكان من مقتضى الديانة أن يؤدي المؤمنون الصلوات الخمس المفروضة مع الجماعة في الجوامع والمساجد ،ولما كان تدقيق النظر لإجراء مثل هاته الأحكام الدينية هو متحتم في ذمتي السلطانية ...بأن من الآن فصاعداً أهل الإسلام المستوطنون بدار خلافتي العلية والبلاد الثلاثة وهما لم يكن لهم عذر شرعي أن يؤدوا الصلوات المفروضة في الجوامع والمساجد مع الجماعة وأعلم هذا الخصوص لمن لزم إعلامه بفرمانات مخصوصة مع التنبيه والتأكيد أعلنت التأديبات اللائقة المراد إجرائها على من يخالف ذلك من التأييد ونشرت الكيفية

(١) عريضة مقدمة من طرف أحمد باشا والي تونس إلى الحضرة السلطانية ،مؤرخة في ٥ رمضان ١٢٥٨هـ (١٠أكتوبر١٨٤٢م) ، صندوق رقم ٢٢٠ ، ملف ٣٤٩، السلسلة التاريخية ،الأرشيف الوطني التونسي .

في ممالكي المحروسة الشاهينية بأوامر علية أعلنت فأنت أيها المشير المشار إليه والقضاة والنواب وكل المومى إليهم أعلنوا (و)أشيعوا الكيفية لكافة العباد المسلمين المقيمين في المواقع التي تحت إدارتكم..."[1].

ومع أن الباي حاول التوصل إلى حلول مباشرة مع الدولة العثمانية بشأن المطالب العثمانية إلا أنه لم يهمل طلبه من الحكومة البريطانية للتوسط لدى الدولة العثمانية . فبعد إدراكه إلحاح الدولة العثمانية على استخلاص الأداء السنوي كتب إلى القنصل البريطاني ريد في تونس يستحثه على الجهود التي قامت بها الحكومة البريطانية مع الدولة العثمانية لإصلاح ذات البين . ففي خطاب إلى القنصل أوضح الباي ما قامت به تونس من جهود مع الحكومة العثمانية من محاولة التوصل إلى حل مرضي للطرفين حيث انتدبت السيد إبراهيم الرياحي والذي تحصل على وعد من السلطان محمود بالتغاضي عن الأداء السنوي. ويتضح من الخطاب أن الباي حاول أن يوضح أن ليس لتونس النية في الانفصال عن الدولة العثمانية وأن الأداء السنوي الذي تطلبه الدولة العثمانية لا تستطيع أن تتحمله المالية التونسية وأكد على أمله في نجاح بريطانيا بإيجاد حل لهذا الخلاف .ولقد ورد في ثنايا الخطاب ما نصه "... وعلى كل حال فلا يناسب أن نتكلم مع جناب الدولة العلية على طريق الجدال والمعارضة إنما نطلب منها الفضل بالإجراء على عادتنا وعادة أسلافنا مع السلاطين المرحومين منذ نيف من السنين والدولة العلية أهل لكل فضل ورحمة وقد استجرنا بدولة بريطانيا العظمى لما نعلم من محبتها مع جناب الدولة العلية وجانبنا وقبول عند الدولة في أعظم من هذا الأمر ورجاؤنا في قبول جانبنا ثابت إن شاء الله لأننا معلنين للدولة العلية بالطاعة قدر الاستطاعة والله يعلم أن هذا

(١) رسالة من السلطان عبد المجيد إلى المشير احمد وأهالي تونس بتاريخ ١٥ ربيع الأول١٢٥٨هـ(٢٦ أبريل ١٨٤٢م) صندوق ٢٢٠ ملف٣٤٠ (فرمانات صادرة من مختلف سلاطين الدولة العثمانية حول تسيير العلاقات التونسية العثمانية الأرشيف الوطني التونسي .

المطلب إنما استعظمناه لأننا نتحقق يقيناً أنه يجر مضرة عظيمة لهذا القطر ومع ذلك فإننا غير مقصرين في الهدايا التي جرت بها عادة أسلافنا بل زدنا عليها أضعافاً والمشاهدة دليل لما قلناه...." (١) .

ويبدو أن السلطان العثماني اقتنع بوجهة النظر التونسية مؤقتاً في ما يتعلق بالأداء السنوي نتيجة للالتماسات والتوسطات التي قامت بها الحكومة التونسية . ومع ذلك ظلت التخوفات والشكوك تراود الباي حول تكريس الدولة العثمانية وجودها في تونس، وزاد من ذلك التخوف حادثتان كانتا على درجة من الأهمية في ردة الفعل لدى الحكومة التونسية، وهما إرسال الباي فرقة من البحرية التونسية لمجابهة سفن للدولة العثمانية والتي أشيع أن هدفها الاستيلاء على جربة ، وثانيهما الخلاف الذي نشأ بين تونس وقنصل النمسا المعين من السفير النمساوي في إستنبول والذي رفض من قبل الحكومة التونسية لعدم تعيينه من حكومته مباشرة كسائر القناصل الذين يصلون إلى تونس . ونتيجة لتلك التخوفات حاولت الدولة العثمانية طمأنة الباي حيث أرسلت إليه رسولاً وحملته فرماناً لتجديد ولايته على تونس طيلة حياته بعد أن كان الفرمان يرسل سنوياً وأعطته الآمان من جميع ما يتوهم من مخاطر تجاهها. ومع أن الفرمان اشتمل على تجديد الولاية للباي طيلة حياته إلا أنه لم يشر إلى نية الدولة العثمانية لتجديد الولاية لخلفه من الأسرة الحسينية، وعندما وصل المندوب استقبله الباي أحسن استقبال ثم حمله رسالة للباب العالي أكد فيها على التزامه بالصلات بين بلاده والدولة العثمانية وورد في تلك الرسالة ما نصه"...الأبواب الشريفة التي تعنو لعزة قدرها الأبواب ، ويصدر من أعتابها المنيفة العدل والصواب،أبواب الخلافة العثمانية، والسلطنة الخاقانية...فإنه ورد علينا الظهير العلي العثماني، الموشح بالخط الشريف السلطاني،

(١) رسالة من المشير أحمد باشا إلى ريد ، القنصل البريطاني في تونس بتاريخ٢١ رمضان ١٢٥٨هـ(٢٦ أكتوبر ١٨٤٢) نفس المصدر السابق.

فعظمنا مورده الشريف ،بما ينبغي للمقام المنيف، وفهمنا من إسناد التأييد لنا ما ينافي عادتنا المعروفة، وسيرتنا السابقة المألوفة، لأن لسلف هذا العبد العاشر من آل بيته خطة يرثها المتأهل من الخلف ، عن الذي يمضي من السلف، وهي أمارة هذه الأيالة التونسية، المحمية بالشوكة العثمانية، البعيدة عن دار الخلافة العلية... ولنا في خدمة الدولة حقوق تذكر، فهي طائعة منقادة ، على ما جرت به العادة، وعادات السادات ، سادات العادات ، لا ينسخ إحكامها، ولا ينقض إبرامها، ولا يوهنها طول الزمان، بل يزيدها الصحة والأمان، وهذا العبد لم يقصر في خدمة الدولة العلية من جهده ، ولا نقص عمله عن عمل أبيه وجده ، فغاية قصدي ومنتهى مرادي، أن أكون كآبائي وأجدادي، ...وهكذا إن شاء الله الأعقاب، على طول الأحقاب مادامت الدولة العلية وهي الدائمة إن شاء الله على مدى الأزمان ،إلى انقضاء الدوران...وأما الخطاب الوارد لنا من الوزارة العظمى عن أمر السلطنة العلية في قبول عذرنا، وإجرائنا على عادتنا، في الإعفاء من المقدار الذي طلب منا في كل سنة لعجزنا عنه ،ولم نقدر على شيء منه، واستمرار حالنا في هذه الأيالة على ما ألفناه من تقديم الهدية بحسب الإمكان، باعتبار الحال والزمان..." [1].

إن التوجهات الجديدة في السياسة العثمانية ، والتي تمثلت في عدم إشارة الفرمان إلى مآل الولاية بعد وفاة أحمد باي ،وفي الضغط على الحكومة التونسية بدفع الأداء السنوي، أقلقت أحمد باي الذي قرر المضي في سياسة خارجية متوازنة لبلاده يمكنه من خلالها الحفاظ على وضعيتها السياسية. تلك السياسة المتوازنة حتمت علي الباي التقارب مع الفرنسيين حيث استقبل أبناء ملك فرنسا لويس فيليب، الذين قاموا بزيارة تونس في رجب ١٢٦٢هـ الموافق لأواخر شهر يونيو وبداية يوليو ١٨٤٦م، أحسن استقبال. ويبدو أن الساسة الفرنسيين وخاصة القنصل الفرنسي في تونس جوزف راف

(١) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء الرابع ، ص.ص.٨٥-٨٦.

أراد استغلال شكوك الباي تجاه الدولة العثمانية لصالح بلاده فأوعز للباي بزيارة فرنسا لكي يوثق علاقة بلاده معها وليضمن مزيداً من الاستقلالية . وبالفعل في أواخر ١٨٤٦م قرر الباي السفر إلى باريس لإجراء محادثات مع كبار الساسة الفرنسيين. وبعد وصوله إلى باريس تجددت الشكوك بينه وبين الدولة العثمانية خاصة عندما لم يقدم سفير الدولة العثمانية للسلام عليه ، وزاد الأمر سوءاً عندما احتج السفير العثماني بباريس على قبول فرنسا للباي دون حضوره وأنه كان من المفترض أن تعرف الدولة العثمانية بتلك الزيارة خاصة وأنها كانت تعتبر الباي أحد ولاتها ، ولكن الحكومة الفرنسية ردت على ذلك الاحتجاج بالقول أنها على علاقة منفصلة مع الحكومة التونسية بل إن فرنسا بالغت في إكرام الباي ولسان حالها يقول إنها تريد أن تعمق الخلاف بين الدولة العثمانية وتونس لصالح المصالح الفرنسية.(١)

لقد كان لزيارة أحمد باي إلى فرنسا الأثر الكبير في تطور العلاقات بين الدولتين وبناء الثقة المتبادلة بين الطرفين . وكان كل طرف يسعى إلى تحقيق هدفه ، فالتونسيون يريدون المحافظة على استقلاليتهم بعيداً عن النفوذ العثماني المباشر الذي فرض على طرابلس ، والفرنسيون لهم أطماعهم التي تتزايد يوماً بعد آخر في تونس. تلك السياسة كانت واضحة في التقرب من الفرنسيين الذين نجحوا في كسب ثقة الباي والتي برزت في إحدى الرسائل التي أرسلت إلى وزير الأمور الخارجية للدولة الفرنسية والتي ورد فيها " ... أما بعد تقديم التحية المناسبة لرتبتكم العلية بأن محبتنا مع فرنسا واضحة وضوح الصبح غنية عن الشرح وقد أكد لنا ذلك سفير دولتكم الجمهورية المحترم الأكمل الثقة الكمندتورد لند القنصل جنرال بمكتوبكم الأخير له بعد قراءته علينا بتمامه ورأينا مضمونه هو الذي نعتقده في فرنسا ونعظم به أهلها من اعتنائها بأحوالنا على مقتضى

(١) نفس المصدر السابق ونفس الجزء ص.ص.٩١-١٠٢.

آمالنا ،ونحن مع فرنسا على محبتنا المعروفة وسيرتنا المألوفة لا تتبدل بتبدل الأزمان ولا تختلف باختلاف الألوان وربطنا معاً دائم الاتصال في كل وقت وعلى كل حال..."[1].

ونتيجة لتلك السياسية التي انتهجها الباي بعد عودته من فرنسا بدأت الدولة العثمانية تثير الشكوك حول التوجهات الجديدة في السياسة التونسية التي زادت من النفوذ الفرنسي في تونس والذي بالتأكيد سيؤثر سلباً على الوجود العثماني الذي يعاني من مصاعب عديدة لا تحتمل المزيد. وكانت زيارة الخديوي عباس حلمي، والي مصر، إلى الآستانة فرصة للحكومة العثمانية لترميم الصلات العثمانية التي أصابها فتور في الآونة الأخيرة فناقش الوزراء العثمانيون فكرة توسيط الخديوي عباس لرأب الخلاف بين الطرفين خاصة وأن الحكومة العثمانية كانت قد قدمت دعوة للباي بالقدوم إلى عاصمة الدولة العثمانية ولكنه لم يستجب لتلك الدعوة[2].

وبالفعل قام خديوي مصر بعد عودته بمكاتبة الباي مخبراً إياه عن زيارته للدولة العثمانية وما لقيه من حسن الاستقبال رغم ما قام به والده محمد علي وأخوه إبراهيم باشا من محاولة الانفصال عن الدولة العلية. وأكد في الخطاب أن التنازل من الطرفين لحل الخلاف مطلب إسلامي يجب تفعيله حتى لا تصل تلك الخلافات إلى طريق مسدود لا يمكن حله.وعندما وصل خطاب الخديوي إلى الباي جمع وزرائه واستشارهم في الرد على تلك المبادرة ، واستقر الرأي على الرد بخطاب ورد فيه " ... فإنه بلغنا كتابكم الذي هو على الصفاء الوفاء أوضح عنوان...ظهر لكم في جهتنا جفوة ،ومعاذ الله أن يكون سببها مني، أو يختلج ذلك في ظني مع دولة هي عز الإسلام ، وحماه الذي لا يرام ، مات سلفنا في خدمتها وفضلها ، وعشنا في وارف ظلها ،آمنين بعدلها ولم يقع لنا من

(١) رسالة من أحمد باي إلى وزير الحربية الفرنسي في ١٥ جمادى الأولى ١٢٦٤هـ (١٩ أبريل١٨٤٨م) ملف٣٤١ صندوق ٢٢٠ ،السلسلة التاريخية ،الأرشيف التونسي.

(٢) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق،الجزء الرابع، ص.١٠٩.

فضل سلطاننا وإنصافه إلا ما وقع لأسلافنا أسلافه أمن الإسلام والوفاء، مقابلة هذه النعم بالجفاء، بل سعينا لما يزيد في مرضاته والفوز بعلي توجهاته كما هو الواجب لسلطنته العلية وعدالته العمرية، وأستغفر الله أن يخطر بالبال مفارقة الجماعة...وإذا بلغ للأبواب العلية ما أنا بريء منه ، فالله هو المطلع على الحقيقة والكنه...إذ نبهتنا لهذه الجفوة ، لنبادر لإزالتها بما يقتضي الصفوة، ولكم بذلك عندنا يد تذكر وبكل لسان تشكر..."[1].

ولم يكتف الخديوي بإرسال الخطاب فقط بل إنه التقى مع وكيل تونس محمد بدر الدين الصفاقسي في القاهرة والإسكندرية وناقش معه فكرة حل الخلافات بين الطرفين وطلب منه شرح وجهة نظره للباي والتي تقوم على ضرورة إصلاح ذات البين كما حث على ذلك الدين الإسلامي وكما تفرضه المصالح المشتركة. ولقد قام الصفاقسي بالكتابة إلى الباي موضحاً له وجهة نظر الخديوي في المقتطف التالي "... وصل علم سعادتكم توجه أفندينا المعظم الحاج عباس باشا والي الأقطار المصرية إلى الآستانة العلية... وبعد رجوعه وتشريفه الإسكندرية وشروعه في التوجه إلى مصر أمرنا أن نتوجه إلى مصر وتشرفنا بملاقاة سعادته أخبرنا أنه متعب ومتكدر زيادة بسبب الأمور الصايرة (هكذا) بينكم وبين الدولة العلية مع أن تدارك هذه الأمور بالوجوه المرضية سهل جداً بكيفية مستحسنة ترضي الطرفين...فعزم وصمم على الدخول في هذه القضية وعين أحد الميرلوايات(هكذا) العظام في الذوات الملازمين لسعادته وإرساله مع بابور مخصوص وكذلك أمرنا أن نتوجه كذلك نحو سعادتكم في هذا الخصوص ونخاطبكم أولاً في هذا الشأن فإن سمحت نفسكم الكريمة بذلك يعين لسعادتكم أحد الباشوات العظام ترافق سعادته لتشرفوا هذا الطرف بعد ذاك صير التوجه لسعادته وسعادتكم نحو الآستانة العلية ثم فكر سعادته فيوؤل الحال إلى المثل المشهور " لا حاجة قضيت و لا سر انكتم" لأن هذا

(١) نفس المصدر السابق ونفس الجزء ص.ص.١٢٠-١٢١.

الغرض كما في علم سعادتكم أنه من الواجب كتمانه بحسب الوقت فاقتضى نظره السديد ورأيه الحميد أن يرسل لسعادتكم بالكتابة لينظر ما يقضيه رأيكم السديد فحرر خطاباً كافياً..." (١).

وفعلاً قام الخديوي بتحرير خطاب آخر وجهه إلى الباي طالباً منه تقوية اللحمة الإسلامية وذلك بتوثيق الصلات مع الدولة العثمانية والتي حددها الخديوي بإطاعة السلطان خليفة المسلمين وولي أمرهم لأن فعل ذلك من الواجبات التي حث عليها الدين الإسلامي ، والمبادرة إلى الاتحاد والاتفاق مع دولة الخلافة يزيد من هيبة المسلمين وأكد على أمر ينبغي الامتثال له وهو استبدال الهدايا السنوية بمبلغ من المال يدفع كل سنة إلى الدولة العثمانية وذلك بسبب الحاجة الملحة له ، واقترح أيضاً على الباي القيام بزيارة الآستانة بصحبة الخديوي للقضاء على شقة الخلاف بين الطرفين .ولقد ورد في الرسالة ما نصه" ...أرسلت تحريات من طـــرف المخلص إلى صوبكم السامي تشتمل على بعض إفادات ووصايا في خصوص أداء ما هو مفروض بذمة العبودية من بذل الهمة على الدوام في إبراز حسن الخدمة إلى أشرف الطرف السلطنة السنية وصرف المقدرة للاستحصال على الرضاء العالي والمثابرة على الاجتهاد في الطاعة والانقياد في جميع الأمور إلى أمر ونهي الدولة العلية..ومشتغلون أيضاً في عرض ما يفيد بتبرئة ذمتكم من الأحوال المروية ... وحيث إن جناب دستوركم من الوزراء العظام الصادقين للسلطنة السنية فلا شك من أنكم ستبذلون الهمة من الآن فصاعداً في استكمال الوسائل الحسنة اللازمة لزيادة وفور ما هو في حق دولتكم على الكمال من فيض حسن توجهات كريم الغايات جناب المحبوب في العالم وإبراز حسن الخدمة والصداقة

---

(١) وساطة خديوي مصر عباس باشا بين الدولة العثمانية والبلاد التونسية صندوق ، رسالة من محمد بدر الدين الصافقسي في ١١ جمادى الأول ١٢٦٥هـ(٥ أبريل ١٨٤٩م) ملف ٣٥١، صندوق، ٢٢٠ السلسلة التاريخية ، الأرشيف الوطني التونسي .

بأضعاف الأضعاف إلى طرف مستجمع المجد والشرف الحضرة السلطانية حسب مطلوبه العالي غير أن تجاسركم هذه المرة أيضاً بتقديم هدايا إلى مواطئ أقدام مثل هذه الحضرة السلطانية الهمايونية على العادة القديمة كما علمناه من مفاد تحرياتكم الواردة المذكورة والتعود على تقديم مثل هذه الأشياء الوجيزة غير لائق بمقام ذاتكم المشيرية...وإذا كان ظهر لكم التوجه إلى العتبة السعيدة بعد تشريفكم إلى هذا الطرف فإني أبادر بإجراء اللازم حسب الإخلاص لأ توجه برفقتكم ..."[1].

وعندما وجد خديوي مصر قبولاً من الباي للقيام بتلك الوساطة تفاءل خيراً بإمكانية حل الخلاف بين الطرفين وانتدب أحد تجار مصر ويدعى خليل الغزلات مع بدر الدين الصفاقسي وحملهما خطاباً وتعليمات بالتحدث مع الباي مشافهة للوصول إلى وعد من الباي للتوجه مع الخديوي إلى الآستانة وللالتزام بالأداء السنوي بدل الهدية ، ولكن الباي اعتذر بطريقة لبقة في خطاب بعث به إلى الخديوي ورد فيه"... وأدى إلينا رسالته بأوضح بيان ، ومضمونها توجهنا إلى التشرف بالأبواب العلية والحضرة السلطانية التي تتسابق إلى مرضاتها الأعمال والنية ، لنفوز من فضلها بكل أمنية ونجعل لها مقداراً في كل سنة بدل الهدية فساءني في التوجه عدم الإمكان في هذا الزمان، مع أن جنابكم وعد بالمرافقة، والصحبة والموافقة والإنسان أسير الأقدار مسلوب الاختيـــار ومن الأعـــذار ما لا يتحمله التكرار ويجمل فيه الإضمار بدل الإظهار والله المطلع على خفيات الأسرار، وأما أداء المقدار في كل سنة بدل الهدية طبق أصولنا الاعتيادية فعلى هذه العادة مات سلفنا ، والمرجو بفضل الله وكرم السلطنة أن يبقى ذلك في خلفنا ، على أن خزائن الدولة عمرها الله لا يظهر فيها هذا المقدار المحمول من نازح الأقطار وخروجنا عن سنن الآل يفضي إلى اختلال في الأحوال ، ويرى

(١) وساطة خديوي مصر عباس باشا بين الدولة العثمانية والبلاد التونسية صندوق ٢٢٠ ملف ٣٥١ السلسلة التاريخية الأرشيف الوطني التونسي .

الشاهد ما لا يؤدى بالمقال . والمحقق من شيم السلطان ومراقبته لله في عبـــــاده أن يقوي ما اعتدناه من آبائه وأجداده، وقد قررنا لرسولـــكم إجمال ما فصلنـــاه ، وزبـــدة ما حررناه ..." (١) .

ويبدو أن وساطة خديوي مصر لم يكتب لها النجاح بسبب رفض الباي كلية الالتزام بالأداء السنوي والذي من الناحية الشكلية يجعل تونس تابعة تبعية مباشرة للدولة العثمانية وذلك باعتبارها إدارياً ولاية من ولايات الدولة . ومع ذلك حاول الباي الحفاظ على روابطه القديمة مع الدولة العثمانية حتى يستمر في المضي في سياسته الرامية إلى خلق توازن في سياسة بلاده الخارجية والتي يمكن من خلالها الحفاظ على استقلالها.

ومع أن الباي لم يستجب لوساطة الخديوي إلا أنه حاول عدم تعميق الخلاف مع الدولة العثمانية ففي وقت حلول الهدايا السنوية انتدب السلطان أحد الثقاة وهو أبو عبد الله محمد خزنة دار، عامل سوسة، وبعث معه الهدايا التي ترسل سنوياً إلى الدولة العثمانية، وطلب منه بحث المسائل العالقة بين الطرفين وخاصة في مسألة الأداء السنوي والتعرف على المؤثرين في الحكومة العثمانية لكي يمكن التعامل معهم مستقبلاً . وبالفعل قابل المندوب الصدر الأعظم وبعض رجال الحكومة وتباحث معهم بشأن الصلات بين الطرفين وقدم الهدايا السنوية ،وخلال المحادثات الانفرادية مع الصدر الأعظم أكد الأخير على أن الباي يجب عليه المحافظة على الصلات مع الدولة العثمانية وأنه لابد أن يذيب العلاقات المتأزمة وذلك بالقيام بالزيارة المقترحة التي اقترحها الصدر الأعظم والتي حاول خديوي مصر إقناع الباي للقيام بها. وعند مغادرة مندوب الباي كتب الصدر الأعظم خطاباً إلى الباي أوضح فيه عدم قبول السلطان للهدية وأكد فيه على أن الدولة العثمانية لن تتخلى عن الأداء السنوي الذي يجب دفعه من قبل تونس . وبعد معرفة الباي بعزم الحكومة العثمانية على عدم التنازل عن الأداء السنوي اجتمع مع

(١) نفس المصدر السابق، أيضاً انظر أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء الرابع ، ص.ص١٢٢-١٢٣.

وزرائه وقرر إرسال وفد إلى الدولة العثمانية برئاسة أبي عبد الله محمد القبطان كشك ورفقة أبي الحسن علي الدرناوي يوضح السبب في عدم تمكن الباي من القيام بزيارة إلى الآستانة ووجهة نظر الحكومة التونسية تجاه الروابط مع الدولة العثمانية وحملهما خطاباً للصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا ورد فيه ما نصه"... أما بعد تقديم التحية المناسبة لرتبتكم العلية وتقرير ما يجب للسلطنة من فرض الطاعة بحسب الاستطاعة ، فإن هذا العبد الذي مات في خدمة الدولة سلفه ، وعاش في فضلها خلفه، روابطه مع الدولة العلية ثابتة الأساس ،... وطالما تمنى هذا العبد الوفود إلى الحضرة العلية، ومشاهدة الأنوار المجيدية ، لو ساعده الزمن وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن، وما صده والله عدم الأمان لأنه والحالة هذه من المستحيلات العقلية مع أنه لم يصدر منه خلل في عمل ولا نية والله مطلع على كل خفية لكن الإنسان أسير الأقدار مسلوب الاختيار... أما كون سلامة تونس وسعادتها متوقفة على تأييد الروابط القديمة على الدولة العلية فهو من المعلوم ضرورة وجاحده منكر للبديهيات ... وأستغفر الله أن يخطر بالبال ، والحال الحال ، ما أقدر أن أفوه به من توهم الاستقلال، أعوذ بك اللهم من هذا المقال كيف ومنابر القطر في كل جمعة تنادي بطاعته مع الشكر على تقرير عادته التي بها صلاح جماعته ، ولا رواج للدرهم والدينار إلا باسمه العالي في سائر الأقطار وأشرف ألقاب هذا العبد هو ما جعلته له السلطنة العلية...." [1].

لقد كان للحكومة العثمانية سياسة مرنة في محاولة تأكيد تبعية تونس لها فهي لم تهدد باستخدام القوة وقامت بتوسيط الخديوي في محاولة حل الخلاف بين الطرفين ،وفي المقابل نجد أن الحكومة التونسية هي الأخرى حاولت استخدام الدبلوماسية في حل

---

(١) رسالة من أحمد باي إلى الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا في ٣٠ ذو القعدة ١٢٦٥ هـ(17 أكتوبر ١٨٤٩ م) رقم الوثيقة ١١٧٨٦ ، إدارة داخلية ، الأرشيف العثماني.

أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق،الجزء الرابع ،ص.ص ١٢٤-١٢٥.

الخلاف بل إنها قامت بتوسيط الحكومة البريطانية في حل الخلاف بين الطرفين. ونتيجة لذلك حدث نوع من التقارب بين الطرفين في أوائل الخمسينيات الميلادية ولكن ظل السلطان يؤكد على تبعية تونس للدولة العثمانية. فعلى سبيل المثال ، أصدر السلطان عبد المجيد فرماناً امتدح فيه المشير أحمد باشا وحسن إدارته للبـــــلاد وما يقدمه لرعايا تونس من خدمات الذين هم من رعايا السلطـان . ولقد ورد في الفرمان ما نصه "... هو أن والي أيالة تونس الحالي الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم المدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب والمتمم مهام الأنام بالرأى الصائب الممهد بنيان الدولة والإقبال والمشيد أركان السعادة والإجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى سمير الدراية وزيري أحمد باشا أدام الله إجلاله بمقتضى ما هو مفطور عليه من الدراية والروية والحمية والتبصر في الأمور ، فقد أظهر من الإقدام والغيرة وحسن السلوك والدقة في خصوص إدارة أيالتي الملوكانية وفي أمر استحصال الراحة والاستراحة الهمة لجميع صنوف تبعة دولتي العلية من أهالي الأيالة والقاطنين بها ما جميعه صار معلوماً لدى المكارم السلطانية وهذه الكيفية أوجبت محظوظتي الملوكانية فمكأفاة لهذه الخدمات العالية والمساعي المقبولة الظاهرة في جانب المشار إليه وليكون له باعثاً للافتخار والمباهات أبدياً قد أحسن إليه بنيشان الامتياز عناية من طرفي الملوكاني المستجمع المجد والشرف...." [1].

ومع أن الدولة العثمانية كانت تلح على دفع تونس للأداء السنوي كعائد مالي للخزينة العثمانية وكمظهر من مظاهر التبعية إلا أنها أيضاً سعت إلى إدخال الإصلاحات إلى تونس لتؤكد على تنفيذ سياستها في الولايات التابعة لها ولكي تحافظ على تونس قوية من التدخلات الأوروبية. وعندما صدر خط شريفي سنة ١٨٣٩م حاولت الدولة

(١) فرمان من السلطان عبد المجيد إلى المشير أحمد بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٢٦٨هـ(٢١ فبراير ١٨٥٢ م)السلسلة التاريخية ، ملف ٣٤١ صندوق رقم ٢٢٠ وثيقة الأرشيف الوطني التونسي.

العثمانية إدخال الإصلاحات التي وردت في ذلك الظهير إلى تونس.[1] ومع أن أحمد باي استجاب لمطالب الدولة العثمانية في إصلاح بعض مظاهر الحياة في البلاد ، ومنها على سبيل المثال تحديث الجيش الذي كان يشكل أهمية كبيرة للبلاد في ظل التنافس الدولي على تونس إلا أنه رفض بعض الإصلاحات الإدارية التي كانت تكلف الخزينة الكثير من المال . وعندما كان هناك إلحاح من السلطان باستحداث بعض الإصلاحات تحجج الباي بأن الظروف مختلفة بين الدولة العثمانية وبين تونس ،وما ينطبق على الدولة العثمانية لا ينطبق على بلاده.[2] وعلى الرغم من ذلك التوجه إلا أن الباي عاد مرة أخرى وقام ببعض الإصلاحات الإدارية والتعليمية وخاصة بعد زيارته لفرنسا وإعجابه بما رأى من تقدم هناك وحاول أن يجلب بعض الأفكار الإصلاحية إلى تونس ولكنه أيضاً كان يعوز البلاد المال الذي كان هو العنصر الأساسي في عمل أي إصلاحات.

إن التأكيد من الحكومة العثمانية على أحمد باي بالقيام بالإصلاحات كان يقف ورائه عدة عوامل منها ما يتعلق بالدولة العثمانية التي حاولت الحفاظ على تونس كنيابة من نياباتها والتي تعدها الخط الأمامي للدولة العثمانية تجاه التوغل الفرنسي في المغرب العربي، ومنها ما يتعلق بتونس التي تحاول الدولة العثمانية فرض إرادتها عليها باعتبارها تابعة لها ويجب أن يسري عليها ما يسري على نيابات الدولة الأخرى. إضافة إلى ذلك فإن فكرة الإصلاحات قد اقتنع بها الباي بعد عودته من فرنسا ورأى التقدم الكبير الذي كانت تتمتع به فرنسا والذي يجب أن يجلب إلى تونس. فالإصلاحات التي انتهجها أحمد باي والتي شملت الجيش والتعليم والإدارة أخذت طابع الجدية بعد

---

(١) ج.س. فان كريكن ، خير الدين والبلاد التونسية. ترجمة البشير بن سلامة، تونس : دار سحنون ١٩٨٨م ص.٤.

(٢) نفس المرجع السابق، ص.ص٤-٦ ، وانظر الشيباني بن بلغيث." إصلاحات المشير أحمد باشا باي العسكرية ١٨٣٧ -١٨٥٥م" المجلة التاريخية المغاربية، العدد٦٥ ، ٦٦ أوت ١٩٩٢ ، ص.ص.١٣-١٥.

عودة الباي من فرنسا . فعلى سبيل المثال، في الإصلاحات العسكرية اهتم الباي بتدريب الجيش وتسليحه وزيادة كفاءته القتالية وتعليمه علوم العصر الضرورية وزيادة أعداده حتى إنه بلغ حوالي ٢٦٠٠٠ جندي في أواخر عهده بينما لم يكن يتجاوز ٦٠٠٠ جندي عند وصوله للحكم .[١]

ويبدو أن الحكومة العثمانية كانت تؤكد على الإصلاحات في تونس وتعدها أحد ولاياتها، وهذا ما يتضح في التنظيمات التي أصدرت في الفرمانات المنظمة لتلك الإصلاحات. فعلى سبيل المثال، قام السلطان عبد المجيد بإصدار فرمان في أوائل جمادى الثانية ١٢٧٢هـ أكد فيه على بعض التنظيمات والتي شملت الرعايا الأجانب المقيمين في الولايات التي كانت تابعة للدولة العثمانية تبعية مباشرة أو غير مباشرة. واشتملت أيضاً على تنظيمات تتعلق بتقسيم المملكة العثمانية إدارياً وعلى تنظيمات عسكرية ومالية وقضائية كانت ترى الحكومة العثمانية أنه لابد من تطبيقها حتى تستطيع أن تصلح هياكل الدولة التي أصابها العطب وأن تواكب المستجدات التي طرأت على الأنظمة العالمية. وكان من التقسيمات الإدارية التي أشار إليها الفرمان أن الدولة العثمانية تنقسم إلى ست وثلاثين أيالة موزعة إلى ثماني عشرة أيالة في آسيا، وخمس عشرة أيالة في أوروبا ، وثلاثة أيالات في أفريقيا، ومن بينها تونس[٢].

ومع أن الحكومة التونسية تسلمت تلك التعليمات إلا أنها استمرت بحذر في السياسة الإصلاحية خلال عهدي محمد باي و محمد الصادق باي حيث إن هناك بعض العقبات التي اعترضتها والتي تمثلت في قلة الأموال التي من خلالها يمكن الاستمرار في

---

(١) الشيباني بن بلغيث." إصلاحات المشير أحمد باشا باي العسكرية ١٨٣٧ -١٨٥٥م"، ص .ص.١٦_١٧.

(٢) فرمان من السلطان عبد المجيد إلى حكام الولايات في ١ جمادى الثانية ١٢٧٢ هـ(٩ يناير ١٨٥٦م). الإجراءات الإدارية العثمانية ترتيب وتنظيمات وإصلاحات جديدة ملف ٣٤٢ صندوق ٢٢٠ ، ، السلسة التاريخية ، الأرشيف الوطني التونسي .

العملية الإصلاحية ،وفي الظروف الداخلية التي عانت منها تونس كثورة علي بن غذاهم ،وفي الضغوط الاقتصادية الأوروبية على الاقتصاد التونسي كالمطالبة بتخفيض الضرائب على الواردات الأوروبية والتي بدورها أضرت بمداخيل بيت المال التونسي . وكان أيضا لظروف الدولة العثمانية والتي تمثلت في حروبها في أوروبا وبالذات حرب القرم الأثر الكبير في عدم مطالبة الدولة العثمانية تونس بالاستمرار في الإصلاحات . ومنذ الخمسينيات الميلادية وحتى أواسط السبعينيات نجد أن المراسلات بين الحكومتين العثمانية والتونسية تهمل الإشارة إلى مطالب الدولة العثمانية بحث بايات تونس بالاستمرار في الإصلاحات، ولكن عندما تولى السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) نجد أن الحكومة العثمانية عاودت طلبها بالاستمرار في الإصلاحات، ففي رسالة من مدحت باشا إلى محمد الصادق باي قال فيها " هذا فإني نعرض لدى جنابكم من صميم القلب تبريكي وشكري فيما أظهرتموه من الهمم وتوقيعاتكم على الإصلاحات والإجراءات الواقعة بالمملكة التونسية بمساعيكم السنية وبالهمم الصادرة من الوالي العالي خصوصاً تعميم المعارف داخل المملكة بغيرتكم الكاملة برهان قاطع على الغيرة الكلية المشهورة فيكم من السابق كيف فإنك من الذوات اللايقة بوصف الكمال والدراية الكافية وإني من المعظمين قدركم العالي بلسان الحال دائماً هذا وإن الإصلاحات المجعولة للإدارة العمومية بمركز الخلافة الإسلامية قد تأخر إجراؤها مدة بسبب الغوائل الواقعة المعلومة ، ولك إن شاء الله تعالى بعد تلك الموانع عن قريب يجري العمل في إجرائها لأن الأخبار الواردة في الفتوحات الجليلة يدل على اضمحلالها قريباً..." [١].

(١) رسالة من مدحت باشا إلى خير الدين بتاريخ ١٨ رجب ١٢٩٣هـ(٩ أغسطس ١٨٧٦م) السلسلة التاريخية ، ملف ٣٣٩صندوق ٢٢٠ ، ، الأرشيف الوطني التونسي .

إن مسألة الإصلاح التي تبنتها الدولة العثمانية وحاولت تفعيلها في تونس واجهت بعض العقبات التي أخرت خطة السياسة الإصلاحية مما أعطى الفرصة لبعض الدول الأوروبية الطامعة في تونس لزيادة تدخلها في تونس تحت مظلة الإصلاح أيضاً ولكن بأهداف مختلفة . وكان من أهم تلك الدول الأوروبية فرنسا وبريطانيا وإيطاليا والتي تركزت سياساتها على زيادة مصالحها من خلال المشاركة في الإصلاحات التي تبناها أحمد باي ومحمد الصادق باي ، وكانت فرنسا سباقة في ذلك بسبب أطماعها الواضحة في تونس وسياستها التي حاولت من خلالها التعامل مع تونس كدولة مستقلة عن الدولة العثمانية . وعندما قام الباي بزيارة فرنسا استقبل في باريس استقبال رؤساء الدول المستقلين واطلع على مظاهر الحضارة في فرنسا حيث أعجب الباي بما رآه وقرر الاستعانة بالخبرة الفرنسية في العملية الإصلاحية التي قام بها والتي شملت الإدارة والجيش والتعليم. وكانت تلك الاستعانة بداية للتدخل الفرنسي في البلاد. (١)

وبالطبع أعطت هذه الفرصة الفرنسيين في إبعاد تونس عن الدولة العثمانية ، حيث أخذوا في زيادة مصالحهم التجارية من خلال زيادة استثماراتهم التجارية في تونس ، والتي لم تغب عنهم منذ احتلالهم للجزائر إذ كانوا يعتقدون بأحقيتهم في الاستثمار في تونس نظراً لقربهم الجغرافي منها.

ونتيجة لذلك بدأ التنافس بين الدول الأوروبية في سبيل الحفاظ على مصالحها في تونس وكان لفرنسا نصيب الأسد في الإصلاحات التي اختطها أحمد باي بعد عودته من فرنسا خاصة وأن فرنسا عاملت الباي معاملة الحاكم المستقل عن الدولة العثمانية. ويبدو أن النشاط الدبلوماسي الفرنسي في تونس كان يتفوق على بقية البعثات الدبلوماسية الأخرى حيث إن الدبلوماسية الفرنسية نجحت في إقناع بايات تونس في انتهاج سياسة توازنية بين تونس والدولة العثمانية ،بل إن تلك السياسة تطورت إلى

(١) جلال يحيى. مرجع سابق. الجزء الثالث.ص ٢٦١.

محاولة إبعاد تونس عن الدولة العثمانية ، وكانت زيارة أحمد باي لفرنسا نجاح للدبلوماسية الفرنسية التي استمرت في السير في ذلك الاتجاه . أما بريطانيا الدولة التي كانت لها مصالحها في تونس والتي كانت تعتبر من أهم المنافسين لفرنسا فلقد انتهجت سياسة مغايرة للسياسية الفرنسية إذ كان البريطانيون يعاملون الباي معاملة التابع للدولة العثمانية ، وعندما أراد أحمد باي التوجه إلى بريطانيا بعد زيارته لفرنسا رفض البريطانيون استقباله كحاكم منفصل عن الدولة العثمانية مما جعل الباي يعدل عن زيارته [١]. وبالطبع كان للتطورات الجديدة التي حدثت بعد احتلال الجزائر الأثر الكبير في زيادة الاهتمام بتونس من الدول المتنافسة على ذلك القطر مما أدى إلى زيادة مصالحها السياسية والاقتصادية. وكان لمشاركة الفرنسيين في منتصف القرن التاسع عشر في العملية الإصلاحية في تونس أثر بالغ في جعل البريطانيين والإيطاليين يتطلعون إلى المشاركة في تلك الإصلاحات ، وأصبحت البلاد تحت ضغوط من الدولة العثمانية التي كانت تحث الحكومة التونسية للقيام بتلك الإصلاحات باعتبار تونس ولاية من ولاياتها، ومن الدول الأوروبية التي كانت تتنافس للقيام بالإصلاحات والتي تعني المحافظة على مصالحها ، بل وإعطائها الفرصة لتدخلات جديدة.

وعلى الرغم من أن محمد باي حاول عدم الاستمرار في العملية الإصلاحية، نظراً لضعف مداخيل الدولة ولوجود معارضة داخلية قادها بعض رجال حكومته وبعض العلماء الذين دللوا على أن الإصلاحات لا تتناسب مع المجتمع التونسي بسبب أنها إصلاحات أوروبية المنهج والتنفيذ ، وأنها لم تحل مشاكل البلاد بل زادتها تفاقماً، إلا أن الضغوط الداخلية والخارجية أجبرت الباي على العودة إلى الإصلاح. فالضغوط الداخلية تمثلت في ميل بعض العلماء التونسيين إلى الاستمرار في الإصلاح باعتباره المنقذ للبلاد من المشاكل التي تعاني منها، وتغلب ذلك التوجه على التوجه المعارض للإصلاح عندما اقتنع الباي بذلك . أما الضغوط الخارجية فتركزت في تأكيد الدولة

(١) صلاح العقاد .مرجع سابق .ص.١٦٥.

العثمانية على الباي الجديد بعدم إيقاف الإصلاحات التي من" وجهة النظر العثمانية" تعتبر من الضروريات التي من خلالها يمكن تطوير مؤسسات الدولة للوقوف ضد الأطماع الأجنبية، ولتأكيد تبعية تونس للدولة العثمانية باعتبارها ولاية من ولاياتها. وكان للضغوط الفرنسية والبريطانية والتي تمثلت في نشاط القنصل الفرنسي والبريطاني في تونس الأثر الكبير في إقناع الباي بأن الإصلاحات هي الحل الذي يمكن من خلاله الحفاظ على قوة تونس وتماسكها ،وفي واقع الأمر كان هدفهما الحفاظ على مصالح البلدين من خلال الإصلاحات التي زادت من التواجد الأجنبي في البلاد .[١]

المحاولات الفرنسية لإبعاد تونس عن التبعية العثمانية :

لقد كانت سياسة فرنسا تقوم على إخراج تونس من دائرة التبعية العثمانية منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين الجزائر حتى لا تخلق قوة متماسكة أمام طموحاتها في الشمال الأفريقي . فاقتراحات الفرنسيين على الباي إلحاق بعض أجزاء الجزائر بتونس ما هي إلا حلقة من حلقات السياسة الفرنسية في خلق شرخ في العلاقات العثمانية التونسية خاصة وأن الدولة العثمانية تعارض ذلك التوجه باعتبار الجزائر إحدى ولاياتها وباعتبار تونس أيضاً تابعة لها . وعندما حاولت الدولة العثمانية خلال السنوات التي تلت الاحتلال الفرنسي للجزائر تأكيد تبعية تونس لها واعتبارها إحدى ولاياتها ظلت فرنسا تراقب ذلك التوجه بحذر. وكانت السياسة الفرنسية تقوم على عدم إعطاء الدولة العثمانية الفرصة لاستعادة نفوذها المباشر على تونس ، وفي نفس الوقت حاول الفرنسيون توثيق علاقتهم السياسية والاقتصادية مع حكام تونس ومعاملتهم معاملة المستقلين عن الدولة العثمانية. فتحذير الفرنسيين للأسطول العثماني على لسان قنصلهم شوبيل في تونس من النزول في تونس سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م) ما هو إلا دلالة واضحة على تلك السياسة.[٢]

---

(١) Nigola A. Ziadeh. Origins Of Nationalism In Tunisia. Beirut: Librairie Du Liban .PP.12_13.

(٢) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء الثالث ، ص.ص.٢٠٥- ٢٠٦.

أما توثيق علاقة الفرنسيين بحكام تونس ومعاملتهم معاملة المستقلين عن الدولة العثمانية فلقد وضح ذلك في الزيارة التي قام بها أحمد باي عـــام ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م) والتي عومل فيها معاملة الملوك المستقلين عند وصوله إلى باريس مما أثار حفيظة الحكومة العثمانية وعدت ذلك خروجاً عن المألوف بل ترتب على ذلك أزمة في العلاقة بين الدولة العثمانية وتونس .[١] وكان لتلك الزيارة الأثر الكبير في زيادة التعاون بين البلدين ومشاركة الفرنسيين في الإصلاحات التي زادت من النفوذ الفرنسي في تونس، مما جعل الفرنسيين يتخذون خطوة أبعد من ذلك عندما بدأوا يوجهون انتقاداتهم إلى سياسة الدولة العثمانية تجاه تونس. فعلى سبيل المثال ،عندما قام الخديوي عباس بالتوسط بين الباي وبين الدولة العثمانية انتقدت فرنسا الطريقة التي حاول الخديوي بها معالجة الخلاف بين الطرفين، واعتبرت أن ذلك يهدد مصالحها في تونس ، ففي رسالة من جول لبسيبس، أحد أعضاء الحكومة الفرنسية ،إلى مصطفى خزنة دار الذي زود لبسيبس بمعلومات عن وساطة الخديوي رد عليه الأخير بقوله"... وصلني جواب سيادتكم ... وجميع التوضيح الموجود به هو موافق جداً لما بلغني بخصوص الاتفاق الذي وقع فيما بين عباس باشا والسلطان بمساعدته بخصوص طلبات الدولة العثمانية... الذين هم بغير حق (هكذا) منذ استقلال الدولة التونسية وعندما بلغني بخصوص جواب المذكور بادرت حالاً بتفهيم الدولة على قضية مهمة مثل هذه التي تخص أحد أعز أصحاب الدولة الفرنساوية ومضرة جداً لفوائد فرنسا وتحدثت بهذا الشأن مدة طويلة مع موسيو ده فيل كاستيل مدير الأمور السياسية..." [٢] ومن هذه الرسالة يتضح اهتمام فرنسا بقضية الخلاف بين تونس والدولة العثمانية والتي كما أشار الخطاب بأنها دولة مستقلة ومن أفضل أصدقاء فرنسا التي لها مصالحها الحيوية في تونس.

---

(١) جلال يحيى. مرجع سابق. الجزء الثالث.ص.ص.٢٦٠- ٢٦١.

(٢) رسالة من جول لبسبس إلى سيدي مصطفى خزنة دار في ١٩ أغسطس ١٨٤٩م(٣٠ رمضان ١٢٦٥ هـ) ملف٣٥١ صندوق ٢٢٠ ، الأرشيف الوطني التونسي.

ونتيجة لتلك الوساطة ،التي انتقدت من الحكومة الفرنسية بصفتها وساطة غير عادلة بالنسبة لتونس وتهدد المصالح الفرنسية لأن مغزاها يقوم على حل الخلاف بين الدولة العثمانية وتونس والتزام الباي بدفع الأداء السنوي كدليل على تبعيته لها ، قامت فرنسا بالكتابة إلى قنصليها في كل من إستنبول والإسكندرية وطلبت منهما معارضة تلك الوساطة التي من الوجهة الفرنسية تضر بمصالح تونس وفرنسا على السواء. وأشار كاتب الرسالة لبسيبس بأن تلك المحادثات التي يقودها الخديوي مخالف لإرادة فرنسا التي لن تتنازل عن مصالحها الاقتصادية في البلاد والتي استطاعت تطويرها من خلال العلاقة الحميمة بين البلدين . وأكد المسؤول الفرنسي بأن فرنسا لن تتأخر عن مساعدة تونس إذا تعرضت لضغوط سياسية أو عسكرية من الدولة العثمانية . وأشاد كاتب الرسالة بأسلوب الباي في تعامله مع تلك القضية وإرساله للسلطان بعض الهدايا لأن ذلك سوف يخفف من التوتر بين الطرفين ويفسح المجال لفرنسا باستخدام الدبلوماسية في حل الخلاف بين الطرفين والحفاظ على مصالح تونس التي تعتبرها فرنسا دولة لها سيادتها واستقلالها. (١) هذا الأسلوب الذي انتهجته فرنسا في تعاملها مع تونس جعل الباي لا يمتثل لمطالب الدولة العثمانية بدفع الأداء السنوي والذهاب إلى إستنبول لتقديم الولاء والطاعة للسلطان العثماني والتي تعتبر من المقترحات الهامة التي شدد عليها الخديوي في توسطه بين الطرفين.

وفي تقرير من الحكومة الفرنسية وضحت فيه موقفها من التطورات بين تونس والدولة العثمانية وأكدت على أن الدلائل التاريخية تؤكد على استقلالية تونس. ومن تلك الدلائل المعاهدات التي عقدت بين تونس وبين الدول الأوروبية ووجود القناصل

(١) رسالة من جول لبسبس إلى سيدي مصطفى خزنة دار في٤ سبتمبر١٨٤٩م (شوال ١٢٦٥ هـ) ملف٣٥١ ، صندوق ٢٢٠ ، الأرشيف الوطني التونسي.

الأجانب في تونس والذين يقدمون أوراق اعتمادهم كقناصل إلى الباي وليس إلى السلطان العثماني . ورفض التقرير الفكرة المطروحة من الخديوي عباس على الباي والذي اقترح فيها أن تكون وضعية تونس مشابهة لوضعية مصر في علاقته مع الدولة العثمانية. وبرر ذلك بأن الحالة بين القطرين تختلف فالسلالة الحسينية تنعم بالاستقلال عن الدولة العثمانية ما يقارب من مائة وخمسين سنة بخلاف خديوي مصر الذي لم يصل والده إلى السلطة في مصر إلا منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي ، ولم يعط الاستقلالية له ولسلالته إلا بعد معاهدة لندن ١٢٥٦هـ(١٨٤٠م). وعد تلك المقترحات ما هي إلا محاولة لإعادة تونس إلى سيطرة الدولة العثمانية التي تحاول تجاهل المصالح الفرنسية في تلك البلاد. وشدد التقرير على أن فرنسا لن تتنازل عن مصالحها في تونس للدولة العثمانية ولا حتى للدول الأوروبية التي تنظر بعين الحسد للنجاحات التي حققتها فرنسا في علاقتها مع تونس.(١)

إن النشاط الفرنسي لإفساد العلاقات التونسية العثمانية أصبح أكثر وضوحاً عندما حدثت الأزمة السياسية بين تونس والدولة العثمانية والتي حاولت فيها فرنسا أن تخرج تونس كلية من دائرة "الالتحام الإسلامي " الذي ظل السلاطين العثمانيون يشددون عليه خلال الفترة التي تلت احتلال فرنسا للجزائر في كتاباتهم المتعاقبة لبايات تونس . وفي حقيقة الأمر حقق الفرنسيون نجاحاً منقطع النظير في إقناع حكام تونس وخاصة أحمد باي بإمكانية استقلاله كلية عن الدولة العثمانية ،أو بمعنى آخر قطع الروابط التاريخية بين بلاده وبين دولة الخلافة .

وكان هدف الفرنسيين إخراج تونس من دائرة النفوذ العثماني غير المباشر ومن ثم تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية. ومع أن الباي أحمد سار في سياسة التقرب من فرنسا حتى

---

(١) مذكرة من القنصل الفرنسي بعنوان استقلال البلاد التونسية عن السلطة العثمانية ومساندة فرنسا لها ، ملف ٣٥٠ صندوق ٢٢٠ ، وثيقة رقم ٣٩ ، السلسلة التاريخية ، الأرشيف الوطني التونسي.

السنوات الأخيرة من حياته إلا أنه بعد مرضه في شوال سنة ١٢٦٨هـ (جويلية ١٨٥٢ م) تراجع عن ذلك الاتجاه ،وأحس في قرارة نفسه بأنه ارتكب خطأً في تقربه من فرنسا وبعده عن الدولة العثمانية. ويبدو أن ذلك التأنيب كان نتيجة لشعور الباي بارتكابه خطأ إستراتيجياً ، كان قد أدركه عندما أرسل اللواء أبا محمد رشيد، أمير عسكر الساحل إلى فرنسا في مهمة سياسية لم يكتب لها النجاح. ولقد وضح ذلك التوجه في خطاب الباي إلى السلطان عبد المجيد عندما خاطبه لتعزيته في والدته حيث قال"...وإن تخوفنا ونفرتنا من الدولة العثمانية أراه يجر بنا إلى العدم، ومعاذ الله أن أكون سبباً في إخراج هذا الصقع الإسلامي من يد المسلمين، وخروج روحي أهون علي من ذلك، وهب أن الدولة انتزعت من يدي هذا المـــلك ، ألست بمسلم ؟..." (١) .

وعندما اندلع الخلاف بين الدولة العثمانية وروسيا حول مطالبة روسيا بالإشراف على الرعايا الأرثوذكس في الأراضي العثمانية دون استثناء رفض السلطان العثماني ذلك الطلب وعده تدخلاً في الشؤون الداخلية لبلاده، بل إنه أكد على أن السبب الحقيقي هو رغبة روسيا في الوصول إلى البحار الدافئة على حساب أملاك الدولة العثمانية. ونتيجة لعدم امتثال السلطان لتحقيق رغبة روسيا قامت القوات الروسية باحتلال ولايتي الأفلاق والبغدان التابعتين للدول العثمانية. وحاولت بعض الدول الأوروبية مثل بريطانيا وفرنسا التوسط في حل الخلاف وعقد مؤتمر فينا في أغسطس سنة ١٨٥٣م ولكن لم يتوصل الطرفان إلى حل ، مما جعل السلطان عبد الحميد يوجه إنذاراً إلى القوات الروسية بالانسحاب من المناطق التي استولت عليها خلال خمسة عشر يوماً وإلا سوف يقوم باستعادتها بالقوة. (٢)

---

(١) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء الثالث ،ص..ص١٤٣ - - ١٤٤.

(٢) مذكرات أمير آلاي عسكر الخيالية التونسية فرحات . أضواء على مشاركة البعثة التونسية في حرب القرم ١٨٥٤ _١٨٥٦ م، تقديم وتحقيق الدكتور الشيباني بن بلغيث (تحت الطبع) ص.١٧ .

وفي تلك الأثناء كاتب السلطان العثماني أحمد باي يخبره بالتطورات التي حدثت بين الدولة العثمانية وروسيا . وعندما تيقن أحمد باي من أن الدولة العثمانية مقدمة على حرب مع روسيا جمع رجال دولته واستشارهم في الطريقة التي يمكن بها إعانة الدولة العثمانية وقرر الباي مع رجال حكومته تقديم المساعدة للدولة العثمانية بالمال والرجال والمؤن ، وأكد الباي على ذلك بأن تونس لن تقتصر مساعدتها على إرسال السفن لمساعدة الدولة العثمانية كما جرت العادة عندما تتعرض لحرب وإنما سوف ترسل بعساكر ومؤن ، ورغم الضائقة المالية التي تتعرض لها تونس في تلك الفترة وتردد بعض الوزراء التونسيين في القيام بتلك المهمة ، ومعارضة السفير الفرنسي بكلار Beclard على إرسال سفن بحرية لمساعدة الدولة العثمانية لأن ذلك يتعارض مع سياسة بلاده الرامية لإبعاد تونس عن الدولة العثمانية إلا أن الباي قرر أن يجهز جيشاً بكامل مؤنته. وانتدب كلاً من خير الدين التونسي ، وأبي عبد الله خزنة دار إلى إستنبول للبحث عن قروض من التجار لكي يستطيع أن يجهز الجنود الذين ينوي إرسالهم إلى الدولة العثمانية ، بل إنه قرر أن يبيع جميع الأحجار الكريمة والجواهر التي يملكها لكي يساهم بها في تموين الحملة. وبالفعل استطاع الحصول على قروض من تجار إستنبول ومن فرنسا جهز بها حوالي أربعة عشر ألف مقاتل [1].

إن القرار الذي اتخذه أحمد باي في تونس لقى قبولاً كبيراً في الدولة العثمانية، وشعرت الحكومة العثمانية بأن أيام الخلاف وانعدام الثقة مع باي تونس قد ولت إلى غير رجعة. وكانت أخبار الترتيبات لإعداد الجيش في تونس تصل إلى مسامع السلطان العثماني الذي حاول أن يغتنم تلك الفرصة ليبني روابط قوية مع تونس ويزيد من تماسك جبهته الداخلية التي تعتمد على تنمية الأخوة الدينية والدعوة إلى الجهاد خاصة وأن المحرك وراء الحرب مع روسيا يعود إلى جذور دينية. ونتيجة لذلك أرسل السلطان

(١) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء الثالث ، ص.ص ١٥٦ –١٥٧.

العثماني فرماناً ونياشين من الدرجة الأولى كتكريم لباي تونس على استجابته لطلب السلطان وتقديم المساعدة للدولة العلية ، وورد في ذلك الفرمان ما نصه"...إن ما هو ظاهر ومشاهد إلى الآن في الخطوب الجسيمة بدولتي العلية من الخدمات الصادقة المرغوبة ومآثر الحمية المقبولة الواقعة من طرف أحد مشيري سلطنتي السنية العظام الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب ومتمم مهام الإمام بالرأي الصائب ممهد بنيان الدولة والإقبال ومشيد أركان السعادة والإجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى وزير سمير الدراية أحمد باشا والي تونس الحالي أدام الله تعالى إجلاله على مقتضى ما هو مركوز في فطرته الأصلية من درر الدراية الكاملة وجواهر حسن الاستقامة... وبناء عليه قد أحسنت له بعنايتي نيشاني المجيدي الهمايوني المنسوب لسامي اسم سلطانتي من الرتبة الأولى مع أمري هذا العالي الشأن...."[1].

وقبل وصول فرمان السلطان العثماني كان الباي قد جهز جيشه البالغ أربعة عشر ألفاً لمغادرة تونس إلى الدولة العثمانية والذي وصلت طلائعه إلى إستنبول في ٢٢ ذي الحجة ١٢٧٠ هـ (١٤ سبتمر ١٨٥٤م) بكامل تجهيزاته ، وكان الباي قد اجتمع بجيشه قبل مغادرته وحث أفراده على الجهاد وعلى تمثيل بلادهم أحسن تمثيل ، ودعا لهم بالنصر والعودة سالمين بعد أن يؤدوا واجبهم الديني الذي انتدبوا له .[2] ولقد توالى وصول الجيش التونسي إلى إستنبول على ثلاث دفعات نظراً لعدم وجود المال الكافي الذي كان تفتقر إليه المالية التونسية ، حيث إن الباي قد وعد السلطان بتسيير بقية الجيش كلما توفر لديه المال . وخلال الحرب العثمانية الروسية أو ما عرف بحرب القرم شارك

(١) فرمان من السلطان عبد المجيد خان إلى أحمد باشا في أواخر شهر ذي القعدة١٢٧٠هـ (أواخر أوغست ١٢٥٤ م) رقم الملف ١٠٠١ ، صندوق ١٨١ ، السلسلة التاريخية ، الأرشيف الوطني التونسي .

(٢) أحمد بن أبي الضياف ، مصدر سابق ، الجزء الثالث ، ص.١٦٢.

الجيش التونسي مع الجيش العثماني بكفاءة ،ووصلت إلى الدولة العثمانية بعض الإعانات التي قدمتها تونس من أسلحة وأدوات نقل وغيرها.

ومن خلال تلك المشاركة التونسية نجح الباي في إثبات ولائه للدولة العثمانية وأنه لا يرفض أوامر السلطان كما كان يعتقد الكثير من المراقبين ،وفي نفس الوقت نجح السلطان في إعطاء صورة للعالم الخارجي أن الجبهة الداخلية لدولته متماسكة ، وأنه رغم وجود بعض الاختلافات حول بعض القضايا بينه وبين ولاته إلا أنها تنسى وقت الأزمات حيث إن مصلحة الأمة فوق كل اعتبار [1] .

إن التقارب الذي حدث بين الباي أحمد والدولة العثمانية كان بمثابة تصحيح العلاقات بين الطرفين التي دأبت فرنسا على إفسادها منذ أن وصل الفرنسيون إلى الجزائر. وكان للنجاح الذي حققه الفرنسيون في إقناع أحمد باي بربط بلاده بعلاقات جيدة مع فرنسا الأثر الكبير في تدهور العلاقة بين تونس والدولة العثمانية التي اعتبرت ذلك خروجاً عن المألوف في العلاقة بين الطرفين ، بل إن العلاقة ساءت أكثر عندما أشعرت فرنسا الباي أنه له استقلاليته وأنها لن تسمح بالتدخل العثماني في تونس بأي حال من الأحوال ونتيجة لذلك أخذ الباي يبتعد عن الدولة العثمانية يوماً بعد آخر . ولكن تلك السياسة لم تدم طويلاً حيث عاد والي تونس وامتثل لطلب السلطان العثماني بمساعدة الدولة في حربها ضد روسيا وكأنه يريد أن يمحي أخطائه ولا يكون سبباً في إخراج بلاده من دائرة " الوحدة الإسلامية". إن ذلك القرار جعل أحمد باي يترك بلاده عندما توفي في ١٥رمضان١٢٧١هـ (٣١ مايو ١٨٥٥ م) وهي تتمتع بروابط جيدة مع الدولة العثمانية وهذا ما أشار إليه ابن أبي الضياف عندما وصفه بقوله " وأعظم مزاياه على أهل بيته وقوفه في استمرار عادات وطنه مع الدولة العثمانية والمخاطرة بنفسه

(١) مذكرات أمير آلاي عسكر الخيالية التونسية فرحات ،مصدر سابق نص.ص.١٨ - ٢٥.

دون خرق سياجها ، معترفاً بطاعة الدولة العثمانية... (وأنه) ندم على ذلك في آخر أمره ...وصرح بندمه مراراً لوزرائه مشفقاً من ذنبه تائباً إلى ربه..." (١) .

أما موقف فرنسا من إرسال تونس مساعدات للدولة العثمانية فقد نظرت إلى ذلك بعين الرضى ولم تمانع في ذلك خاصة وأن فرنسا كانت شريكة للدولة العثمانية في تلك الحرب ، ويبدو أن تلك الحرب أنست كل من فرنسا والدولة العثمانية صراعهما من أجل المحافظة على مصالحهما في تونس ،ولم تمانع فرنسا من التقارب التونسي العثماني وهذا ما ورد على لسان القنصل الفرنسي بيكتار في إستنبول والذي وجه رسالة إلى الحضرة العلية ذكر فيها ما نصه"... أيتها الحضرة العظيمة الجليلة قد شرفتني تذكرة الجناب المتضمنة إعلامي بأنه سيوجه جيشاً من عساكر تونس لمعاضدة السلطان في الحرب التي عقدتها فرنسا وإنجلترا وتركيا مع دولة روسيا ، ويظهر لي أن هذا العزم نظراً للحالة الراهنة جدير بأن تنظر فيه دولة الإمبراتور (الإمبراطور) بعين القبول حسبما ذكرت لجانبكم السامي في أثناء المحادثة الأخيرة التـي جـرت بيننا..." (٢) .

وبعد وفاة أحمد باي في ١٥ رمضان ١٢٧١هـ (٣١ مايو١٨٥٥م) تولى ابن عمه أبو عبد الله محمد باي وكان من أولى الأعمال الخارجية التي قام بها هي استكمال إرسال الإمدادات إلى الدولة العثمانية من جنود وأسلحة وأموال، وأرسل مندوباً يرافق تلك الحملة لكي يحصل على فرمان الولاية من السلطان، وأوعز إليه بأن يسرب خبر قدومه إلى الدولة العثمانية ليقدم ولاء الطاعة ويصحح خطأ أحمد باي الذي اعتذر عن زيارة الدولة العثمانية رغم الوساطات التي قام بها خديوي مصر. وقد حمله رسالة كتب فيها "... أما بعد فالمعروض على تلك الحضرة ولها طول العمر ، ونفوذ الأمر، أن رهين

---

(١) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء الثالث ، ص.ص.١٧٢، ١٦٦.

(٢) رسالة من بيكتار، القنصل الفرنسي في إستنبول إلى الحضرة العلية في ٢٣ مايو١٨٥٤م (٢٥ شعبان ١٢٧٠ هـ) رقم الملف ١٠٠٢ رقم الصندوق ١٨١ ، ، السلسلة التاريخية ، الأرشيف التونسي.

نعمتكم ، وعبد طاعتكم ، وعاشر هذا البيت في خدمتكم ، ابن عم عبدكم ،ومقام أخيه المشير أحمد باشا باي سار (صار) إلى عفو الله فداء الحضرة السلطانية، متزوداً بما مات عليه من طاعة الخلافة وخدمتها بالعمل والنية ، وفي الحين بادر أهل الأيالة التونسية عموماً وخصوصاً، وكانوا بنياناً مرصوصاً، إلى هذا العبد الفقير وألقوا إليه مقاليد أمورهم، والنظر في حفظ مفردهم وجمهورهم ، فقام العبد بما وجب عليه من جمع الكلمة الإسلامية، والدعاء على المنابر للسلطنة المجيدية ، راجياً رضى الخلافة في تأمين البلاد، وزوال روعة العباد، وسد طرق الفساد، واعتصمنا بحبل الله جميعاً، ولبى العبد الفقير سلطنتكم سامعاً مطيعاً... اللهم أعنا على ما أوجبت لهذه السلطنة من فروض الطاعة ، وتأدية الحق جهد الاستطاعة ، واعصمنا بيدها الطولى من الإضاعة ، واحملنا من مرضاتها على سنن السنة والجماعة..." [1] وبعد وصول سفير الباي إلى إستنبول لم يتردد السلطان العثماني في منح الباي فرمان توليته والياً على تونس ، وعندما عاد إلى تونس في ٢٠ محـــرم ١٢٧٢هـ (١٢ أكتوبر ١٨٥٥م) قلد الباي الولاية في موكب رسمي . [2] وبذلك بدأت العلاقة بين تونس والدولة العثمانية في عهد الباي الجديد بداية تبشر بمزيد من التفاهم بين الجانبين.

إن السياسة التي اختطها بايات تونس منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر لم تكن مرضية لأكثرية الشعب التونسي وخاصة بعض أفراد الجيش التونسي الذين كانوا يعتقدون أن التقارب مع فرنسا سوف يؤثر على مستقبل بلادهم وكانوا ينظرون إلى الفرنسيين على أنهم اعتدوا على أراضٍ إسلامية. وعندما وصل الجيش التونسي إلى إستنبول أسكن بجانب بعض الثكنات الفرنسية التي وصلت للمشاركة في الحرب ضد روسيا. وعندما كان أحد الجنود الفرنسيين يمر أمام أحد الثكنات التونسية تعرض له

(١) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء الثالث ، ص.ص١٨٨ - ١٩٠.

(٢) نفس المصدر السابق، نفس الجزء ، ص.١٩٠

بعض الجنود التونسيين وقاموا بسبه والاعتداء عليه بالضرب وتطورت الأحداث إلى تدخل بعض الجنود الفرنسيين مما حدا بالجنود التونسيين بالهجوم على إحدى الثكنات الفرنسية مستخدمين السلاح وقتلوا من الفرنسيين ستة جنود وجرح من الفريقين عشرات ، ولم يوقف القتال إلا تدخل الجيش العثماني .[1] وعندما وصلت الأخبار إلى محمد باي ساءه ذلك واجتمع مع القنصل الفرنسي ليون روش واعتذر له عن ما حدث من الجيش التونسي بإستنبول، وكتب خطاباً إلى وزير الأمور الخارجية يعتذر له حيث أشـار بقوله "...أما بعد إهداء التحية المناسبة لرتبتكم السنية وأخلاقكم الزكية بأني أبث لوزارتكم الرفيعة ما كدر نفسي وغم أنسي وأتعب حرسي ، وهو ما وقع بين أنفار من عساكرنا بإسلامبول ولا يفيد ذكره لا أعاد الله مثله، وإن كان في الحقيقة ضرب عضو لعضو في جسد واحد لكن غيرني بشهادة الله وقوعه من حيث ذاته والتحدث به والأمر لله وحده...وكاتبنا الحضرة العلية السلطانية الفرنساوية بما نالنا من الكدر لهذه القضية والاعتذار عن الجاني بجزائه تشديد النكال، وإنما أعتذر عن البري من بني جنسي، بل أعتذر عن نفسي... وجانب السلطنة العظمى بالصفح حري وعلى كل حال فالمكتوب للسلطنة إنما هو فتح المقال والاعتماد على وزارتكم السامية في حسن التبليغ وبلوغ الآمال والمرجو من الله أن لا يكدر ما بيننا من الصفو ويتدارك هذا الأمر بالنسيان والمحو ويديم بيننا أسباب زيـادة الوداد على طول الآمـاد..." [2] وعلى الرغم من خطورة تلك الحادثة إلا أنها لم تؤثر على العلاقات بين الطرفين.

وخلال الحرب التقت مصالح فرنسا والدولة العثمانية لوقف الأطماع الروسية في احتلال بعض أجزاء الدولة العثمانية والإضرار بالمصالح الفرنسية ولكن ظل الحفاظ على

---

(١) رسالة من محمد اللواتي إلى مصطفى خزنة دار في ٢٤ صفر ١٢٧٢ هـ (٦ نوفمبر ١٨٥٥م) صندوق رقم ١٨٢ ملف رقم ١٠١٢ ، السلسلة التاريخية، الأرشيف الوطني التونسي.

(٢) رسالة من محمد باشا باي إلى وزير الخارجية الفرنسية في ٢٤ ربيع الأول ١٢٧٢هـ (٤ ديسمبر ١٨٥٥م) نفس المصدر السابق.

مصالحهما في تونس سمة بارزة في سياسة الدولتين. ففي عهد محمد باي حاولت الدولة العثمانية التأكيد على أن تونس ولاية من ولاياتها . ولقد وضح ذلك في تأكيد الحكومة العثمانية في الكثير من المناسبات الدبلوماسية سواء في مخاطبة الباي في المراسلات الرسمية باعتباره والي من الولاة العثمانيين أو في المحادثات التي كانت تعقد بين ممثلي الدولة العثمانيـة ونظرائهم الأوروبيين . (١) ومع أن أحمد باي قدم خدمة للدولة العثمانية في إعانتها في حرب القرم فإن محمد باي قدم خدمات للدولة العثمانية في القضاء على ثورة غومة المحمادي الذي ثار على ولاة الدولة العثمانية في طرابلس واتخذ من التراب التونسي ملجأ له وعندما طلبت منه الدولة العثمانية محاربة المحمادي لم يتردد محمد باي بل قام بإرسال جيش إلى ذلك الثائر واستطاع هزيمته وطرده من تونس مما سهل الأمر على الولاة العثمانيين في طرابلس بالقضاء عليه .(٢) أما فرنسا فقد نشطت في الاهتمام بمصالحها التجارية وكان تعيين ليون روش * في بداية عهد الباي بمثابة مؤشر لتنمية المصالح الفرنسية والتركيز على أطماعها التي أخذت تتبلور في تونس .

ولم تكن بقية الدول ذات المصالح في تونس وخاصة بريطانيا في منأى عن النشاط الفرنسي ، وهذا أدى إلى خلق منافسة بين تلك الدولتين بل إن ذلك التنافس امتد إلى رعايا أوروبيين آخرين. وكان لتنامي الوجود الأجنبي في تونس على وجه العموم الأثر الكبير في استخدام الأقلية اليهودية التونسية في الكثير من النشاطات الاقتصادية ، وهذا أدى إلى تغيير وضعية اليهود ، والذين حاولوا الحصول على امتيازات تفوق الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في عهد أهل الذمة . ونتج عن زيادة أعداد الأجانب في تونس

---

(١) منير عبيد.دور وكلاء وقناصل الإيالة التونسية بإستانبول وطرابلس ومالطة على ضوء رسائلهم١٨٣٠- ١٨٨١م رسالة دكتوراه، جامعة تونس .

(٢) أحمد بن أبي الضياف، مرجع سابق، الجزء الثالث ، ص.ص.٢١٥_٢١٨.

* عين ليون روش في الشهر الثاني لولاية محمد باي وكان على دراية كبيرة باللغة العربية والدين الإسلامي ، واستطاع من خلال ذلك أن يكون أحد جلساء الباي حيث كان يقدم الكثير من النصائح للباي والتي بالطبع تخدم المصالح الفرنسية في تونس ، انظر المصدر السابق، ونفس الجزء ص.١٩٣ .

نشوء بعض القضايا الخلافية بين التونسيين والأجانب ،وهذا جعل قناصل الدول الأجنبية ينتقدون القانون التونسي بل ويطالبون بتعديله ليتماشى مع الوضعية الجديدة للأجانب. إضافة إلى ذلك فلقد أخذت الدولة العثمانية تلح على الباي الجديد في الاستمرار في الإصلاحات لكي تواكب تونس التقدم الحضاري في أوروبا ،وكان للمشاورة التي قدمها بعض دعاة الإصلاح في تونس والذين كانوا على اطلاع على القوانين الأوروبية كخير الدين باشا والجنرال حسين الأثر الكبير في إقناع الباي بإصدار عهد الأمان.(١)

لقد اشتمل عهد الأمان على عدد من القوانين التنظيمية حيث ساوى بين التونسيين والأجانب وأعطى لهم امتيازات جديدة تمثلت في الاستثمار في البلاد وفي أحقية القناصل في الفصل في القضايا التي تخص مواطنيهم ، بل ومنح امتيازات أخرى للأجانب في القضايا التي تقع بينهم وبين التونسيين . وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية شجعت تونس على المضي في الإسراع في التوصل إلى قوانين مماثلة لما قامت به الدولة العثمانية مع بعض الدول الأجنبية ،كجانب من الجوانب الإصلاحية التي سعت الدولة العثمانية على القيام بها لتلحق بركب الحضارة الغربية ، إلا أنها لم تدرك أن عهد الأمان أضر بالوجود العثماني في تونس حيث إن المصالح الغربية أخذت في التنامي خاصة وأن أعداد الأجانب واستثماراتهم أخذت تزداد في تونس مما جعل تونس تبعد يوماً بعد آخر عن ارتباطها بالدولة العثمانية.

تنامي الوجود الأجنبي وضعف الوجود العثماني :

بعد وفاة محمد باي في ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م) تلقى أخوه محمد الصادق باي البيعة في الخامس والعشرين من شهر صفر من أهل الحل والعقد في تونس ومن القناصل

(١) الشيباني بلغيث.النظام القضائي في البلاد التونسية من سنة ١٨٥٧ إلى سنة ١٩٢١ م. صفاقس : مكتبة علاء الدين د.ت.ص.ص.٧٧ –٧٩.

المقيمين في تونس والذين شرطوا على الباي الجديد الاعتراف بعهد الأمان الذي صدر في عهد أخيه ، وبالفعل لم يتردد الباي في قبول ذلك الشرط ، ولكي يكسب الشرعية أيضاً قام بمكاتبة الدولة العثمانية بوفاة أخيه ثم انتدب خير الدين باشا لهذه المهمة ومعه الهدية المعتادة التي يقدمها البايات للسلطان العثماني عند توليهم الولاية. وكاتب الدولة العثمانية يطلب ما اعتاده أسلافه من إرسال فرمان لتعيينه وورد في ذلك الخطاب ما نـصه "...إنه تقدم من أخبار الباب العالي بوفاة أخيه وللحضرة العلية طول العمر، ودوام الأمر، فصبر العبد على القضاء ، ورجونا له حيث توفي في خدمة الخلافة الرحمة والرضى ، وحفظ العبد العاجز رتبته على العادة ، المقررة من السلاطين السادة ووجه لباب الفضل عبد السلطنة العلية نخبة الأعيان، وصفوة الأقران ، وزير الحرب ابننا خير الدين* ، يطلب على لسان العبد الفقير الفضل المعتاد ، من لباب السلاطين الأمجاد، على عادة أهل البلاد..." (١).

لقد كان للقناصل الأجانب نفوذهم المتزايد في تونس في منتصف القرن التاسع عشر وأخذوا يدفعون البايات إلى اتخاذ قرارات تبعد تونس عن ارتباطها بالدولة العثمانية ، وكان للقنصل الفرنسي ليون روش على سبيل المثال دور رئيسي في ذلك وهذا ما أشار إليه خير الدين في انتقاد الباي لأسلوب الرسالة التي صاغها خير الدين على لسان الباي للسلطان العثماني عندما قرأها بمحضر الوزراء . ومن الانتقادات التي نبه إليها الباي عدم وصف خير الدين نفسه بالوزير وأجابه خير الدين بأن العادة جرت مخاطبة الدولة

---

* خير الدين التونسي من أصل شركسي وصل إلى تونس في مقتبل عمره عندما أرسله السلطان العثماني في عهد أحمد باي وخدم في قصر الباي والتحق بالجيش التونسي حتى وصل إلى رتبة فريق في عام ١٨٥٣م، وانتدب في مهمات رسمية إلى فرنسا وإلى الدولة العثمانية و، وعين فيما بعد وزير للحربية ثم وزير المالية وأصبح فيما بعد الوزير الأكبر وتبنى الإصلاحات في تونس في عهد محمد الصادق باي ولكنه عزل في سنة ١٨٧٧م ، واتجه إلى إستنبول وبقي فيها حتى وفاته انظر ج.س.فان.كريكن ، مرجع سابق ص ١٠ وما بعدها .

(١) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء الرابع. ص.١٨.

العثمانية بهذا الأسلوب ،وإذا أطلق على نفسه الوزير فالباب العالي عادة يصف باي تونس بالوزير ومن الأفضل عدم إطلاق لفظة " وزير" على نفسه فأجابه الباي بقوله"....لم نحقر أنفسنا ونحن في أعين الناس عظماء ؟ إن قنصل الفرنسيس يسلم لي الاستقلال..." [1] ذلك التوجه من محمد الصادق باي دلالة واضحة على أن سياسة تونس في المرحلة التالية سوف تسلك مسلكاً يقودها ليس إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية ،وإنما إلى فقده والارتماء في الحماية الفرنسية.

محاولة الدولة العثمانية كسب محمد الصادق باي :

لقد أدركت الدولة العثمانية الأثر الذي تركه عهد الأمان على الوجود الأجنبي في تونس حيث ازداد أعداد الأجانب الذين ضمن لهم عهد الأمان الكثير من الامتيازات وأخذت المصالح الأجنبية تتنامى ، وهذا جعل الدولة العثمانية تحاول استمالة محمد الصادق رغم توجهه في البعد عنها ، فعندما وصل خير الدين إلى الأستانة استقبل الاستقبال الحسن ، حيث قابل السلطان الذي سلمه فرمان التولية وبعض النياشين للباي وبعض رجال الجيش التونسي وكبار الموظفين. وأكد السلطان لخير الدين على أن الدولة العثمانية تؤكد على بقاء تونس على وضعيتها خاصة وأن العلاقة بين الطرفين كانت ولا تزال حتى ذلك الوقت في أحسن حالاتها. فإطاعة السلطان في إرسال الجيش التونسي وبعض الإمدادات في أواخر عهد أحمد باي ومحمد باي ما هي إلا مظهر من مظاهر الطاعة والتي قوبلت بالثناء والشكر من قبل الحكومة العثمانية. وعندما عاد خير الدين إلى تونس لم يقابل الباي ذلك الأنعام من السلطان كما ينبغي والسبب في ذلك تحريض القناصل الأجانب وبالذات قنصل فرنسا ليون روش الذي أخذ يحث الباي على الاستقلال عن الدولة العثمانية. [2]

---

(١) أحمد بن أبي الضياف ، مصدر سابق ،الجزء الرابع ص .٢٠ .

(٢) مذكرة من السلطان إلى الصدر الأعظم بشأن تعيين والي تونس في ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٧٦ هـ (١٨ ديسمبر ١٨٥٩م) ، إدارة داخلية ، رقم الوثيقة ٢٩٦٥٥ ، الأرشيف العثماني .

أحمد بن أبي الضياف ، مصدر سابق ،الجزءالرابع ، ص.ص.٢٠ –٢١.

ورغم أن محمد الصادق باي كان ينوي إبعاد تونس عن الدولة العثمانية من خلال توثيق علاقته مع فرنسا متجاوزاً الأعراف التي كانت تربط بين بلاده والباب العالي إلا أن الحكومة العثمانية كانت تريد كسب تونس وذلك بإعفائها من بعض الالتزامات المالية التي امتثلت لها تونس وقت حرب القرم . ومن تلك الإعفاءات إعـادة ما دفعته تونس للخزينة العثمانية لعدة سنوات ، وهذا ما ورد في خطاب من محمد الصادق باي إلى الصدر الأعظم محمد رشدي حيث أشار فيه بقوله "... وقد كان أخبرنا وزير البحر أمير الأمراء ابننا خير الدين بعد عودته من الآستانة المحروسة على لسان سيادتكم بأن الأمر العالي الشاهاني صدر بترجيع السنوات التي دفعها أمير الأمراء ابننا رشيد للخزينة العامرة ،والآن وصلنا من جانبكم السامي بعضها والله تعالى يديم علاكم ويحرس كمالكم ويرعاكم ..." [1] .

وعندما قام الإمبراطور الفرنسي بزيارة الجزائر في ربيع الأول سنة ١٢٧٧هـ (سبتمبر ١٨٦٠ م) نجح القنصل الفرنسي في إقناع الباي بالسفر إلى الجزائر لمقابلة الإمبراطور حيث تحدثا في توثيق العلاقات بين فرنسا وتونس التي أخذ الساسة الفرنسيون يوحون للباي بأنه مستقل الاستقلال التام عن الدولة العثمانية وهم يقصدون من ذلك إخراجه عن دائرة الارتباط مع الدولة العثمانية لكي يقوموا بتنفيذ مخططاتهم فيها. وفي أثناء المقابلة أيضاً عرض الباي نسخة من عهد الأمان وخطاباً ورد فيه " ... أيها السيد العظيم إنه بمقتضى نصائح جنابكم الرفيع للمقدس أخينا وعدد رعاياه منذ ثلاث سنين بقوانين لسائر سكان المملكة، واكتفى ذلك الوقت بوضع أساسها ، ومن المعلوم أنه يعسر تبديل قوانين جنس جارية منذ اثني عشر جيلاً، ولما اقتضى الوقت والحال مع رغبة جلالتكم لزمني عدم المبالاة بهاته المشاق وإزالة ساير

(١) رسالة من محمد الصادق باي إلى محمد رشدي ، الصدر الأعظم ، رقم الوثيقة ٣٠٤٣٢ ، إدارة داخلية، الأرشيف العثماني.

الموانع لإتمام ما وعد به المقدس أخينا ، وحيث تم الآن القانون أعرضه على جلالتكم ، وأجعله تحت حماية ملك فرنسا الفخيمة ،ومن غير شك إن هذا لا يخلو من الغلط ولكن وقت إجرائه والخدمة بمقتضاه إن ظهر فيه بعض الخلل نبادر بإصلاحه ... وجنابكم العلي تفضلتم بقولكم بأن بخدمتنا في راحة رعايانا ، حصلنا على مودة جنابكم العزيز بهذا المعروض على جلالتكم صورته فإن رأيتموه بعين القبول وحرياً بأن يكون في كفالة الكرسي التي تفضل الله تعالى بجلوسكم عليه لفخر فرنسا وسعادة نوع البشر وأنه لا مانع من دخول ساير السكان تحت قوانين البلاد قد نلت السعادة وبه تكون بحول الله راحة الخاص والعام ، وأنا الكفيل بحول الله تعالى وقوته بإجرائه على ما هو مسطور وقد أشهدت الله على نفسي وكفى بالله شهيداً..."[1] .

ومن خلال هذا المعروض تتضح سياسة الباي التي كانت ترتكز على توثيق علاقة تونس بفرنسا التي كانت هي الأخرى تسعى إلى زيادة استثماراتها في تونس، وكانت تحاول إخراج تونس عن دائرة ارتباطها بالدولة العثمانية. وفي حقيقة الأمر إن هناك بعض التطورات التي حدثت في أواخر عهد محمد باي وفي بداية عهد محمد الصادق باي والتي كانت على درجة كبيرة من الأهمية ، ومن تلك التطورات ضعف العملة التونسية نتيجة لقيام بعض الأجانب بتقليد العملة التونسية وإغراق الأسواق بها، وهذا ما جعل الباي يقوم بإجراءات تتلخص في تخفيض قيمة الدينار التونسي ومحاولة سك عملة جديدة حتى يتخلص النقد التونسي من تلك العملة المزيفة .[2] أما التطور الثاني فهو الضغوط التي بدأ يفرضها القناصل الأجانب على الحكومة التونسية مطالبين بامتيازات جديدة فيما عرف بنظام المحاكم القنصلية ،والذي يتلخص في وجود محاكم قنصلية يؤمها الأجانب إذا كانوا يريدون الفصل في قضايا خلافية بينهم وبين التونسيين

(١) المعروض الذي عرضه الباي محمد الصادق باي لجناب إمبراطور فرنسا بالجزائر في ٤ ربيع الأول ١٢٧٧هـ (٢٠سبتمبر١٨٦٠م) ، رقم الملف ١٥٩ صندوق رقم ٢٠٩ ، ، السلسلة التاريخية ، الأرشيف التونسي.

(٢) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق،الجزء الرابع، ص.ص.٢٠١_٢٠٢.

وعلى الرغم من أن الحكومة التونسية حاولت إيقاف ذلك المد إلا أنها لم تستطع ، فعلى سبيل المثال حاول الباي أن يوقف تلك المحاكم ويحدد مجلساً يحكم في تلك القضايا ولكن وجد معارضة من القناصل وخاصة القنصل الفرنسي الذي ذكر الباي بالتزامه للإمبراطور الفرنسي بتقديم التسهيلات الممكنة للرعايا الفرنسيين خاصة وأن فرنسا التزمت للباي بتقديم الحماية له ضد أي تدخل خارجي ،ولقد ورد في خطاب القنصل ما نصه " ... يظهر من آخر مكتوب جنابكم أن الدولة التونسية لا تطمح لرعايا الأجانب بالفوائد الممنوحة لهم في القانون الجديد ،إلا بعد أن يدخلوا في الأحكام التونسية ، فأطلب من جانبكم إذن بأن نعرض على جانبكم بأن هذا الشرط غير موافق لكرمكم المعهود الذي بمقتضاه منحتم هذا القانون الجديد.... واعتمادكم على حكمة دولة (هكذا) من قديم الزمان، وخصوصاً بعد سنة ١٢٤٦هـ(١٨٣٠ م)،أظهرت لجنابكم بأفعال واضحة للعيان بأنها حبيبتكم، وأنها حاضرة لمن أراد التعدي على دوام حالة العمالة التونسية ... ولم يبق لي شيء أزيده بعد الكلام الذي قاله الإمبراطور عند سفركم من الجزائر حيث قال: دوموا على سياستكم التي دمتم فيها إلى الآن ، ويجتهد جنابكم فيما هو خير لرعيتكم واعتمدوا علي..." (١).

أما التطور الثالث فهو قيام الباي باستحداث سياسة إصلاحية جديدة تختلف بعض الشيء عن سياسة سلفه محمد باشا ، فعلى الرغم من أن الأخير تجاوب مع الضغوط الأجنبية وأصدر عهد الأمان إلا أنه لم يستمر في الإصلاحات كما كانت في عهد أحمد باي . ويبدو أن ضعف مداخيل الدولة ومشاركتها في حرب القرم ومعارضة بعض التونسيين جعل محمد باشا يقلص من تلك الإصلاحات . أما محمد الصادق باي فلقد تلقى نصائح من قناصل الدول الأجنبية ووعدوه بتأمين المال عن طريق المؤسسات الأوروبية . وبالفعل بدأت تونس في الاستدانة من المؤسسات الأوروبية لكي تستمر في العملية الإصلاحية في ظاهر الأمر ، ولكن تلك الأموال التي استدينت من المؤسسات

(١) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق،الجزء الخامس. ص٧٣ وما بعدها.

الأوروبية والتي كانت تجمع من المواطنين ذهب معظمها إلى جيوب أفراد الحكومة التونسية والذين يتقاضون رواتب سنوية رغم ما كانت تعانيه البلاد من ضائقة مالية . فعلى سبيل المثال كان الباي يتقاضى حوالي مليون ومائتي ألف سنوياً بينما كان الوزراء وكبار رجال الدولة يتقاضون حوالي ثلاثة ملايين ونصف ، إضافة إلى الإسراف والتبذير في الأموال التي كانت تصرف على قصور البايات .[1]

لقد حاولت الدولة العثمانية احتواء سياسة الباي محمد الصادق غير المتوازنة والتي أضرت بالاقتصاد التونسي ودفعت البلاد إلى هاوية الخطر ، فعندما طلبت الحكومة التونسية الاقتراض من فرنسا بعض الأموال أرسل السفير العثماني رسالة إلى حكومته يخبرها بموافقة الحكومة الفرنسية على طرح أسهم لعامة الناس لكي تستثمر في تونس بعوائد مالية كبيرة وعقدت اتفاقية بذلك، وفي رسالة مماثلة من السفير العثماني في لندن أشار فيها إلى أن بريطانيا لا توافق على تلك القروض لأن الدولة العثمانية لم تستشر في ذلك كما فعلت بريطانيا وبعض الدول الأوروبية عندما قدمت قروضاً لمصر، وبالفعل تسلم الباب العالي رسالة أخرى من السفير البريطاني في الآستانة يؤكد على أن بريطانيا تعترض على تلك القروض وتعتبرها قروضاً غير شرعية لعدم موافقة الدولة العثمانية . وفي واقع الأمر فإن بريطانيا كانت تبحث عن مصالحها ولا تريد لفرنسا أن تنفرد بتلك الاستثمارات . وقد عرضت هذه المراسلات على السلطان الذي أحالها للصدر الأعظم والذي اعترض على تلك الصفقات ،ولكن يبدو أن تلك الاعتراضات لم تكن لتغير شيئاً في سياسة الباي المندفعة نحو فرنسا ولا في سياسة فرنسا المتربصة بتونس.[2]

---

(١) نفس المصدر السابق ونفس الجزء ، ص.١١١ .

(٢) الرسائل الواردة من قنصل الدولة العثمانية بتاريخ ١٧ مارس ١٨٦٣م(٢٦ رمضان ١٢٧٩ هـ) والواردة من سفيرها ببريطانيا وعرضت على السلطان بتاريخ ١٥ محرم ١٢٨٠هـ ، إدارة داخلية ، رقم الوثيقة ١١٤٤٩ ، الأرشيف العثماني .

ولكي تؤكد أيضاً الحكومة العثمانية على أن تونس تعتبر إحدى ولايات الدولة العثمانية وأن التدخلات الفرنسية ما هي إلا محاولة لفصل تونس عن الالتحام الإسلامي لكي تنفرد بها فلقد قامت بتعيين أحد أبناء أعيان تونس موظفاً في وزارة الخارجية العثمانية. وورد ذلك في خطاب وجهه الصدر الأعظم كاشف زاده محمد أمين إلى السلطان يخبره بتعيين ابن محمود بن عياد في وزارة الخارجية العثمانية[1]. ويبدو أن ذلك التعيين كان بناءاً على أوامر من السلطان الذي وجه رسالة إلى الباي وإلى فرنسا بأن ابن عياد ما هو إلا مواطن من مواطني الدولة وإلا لما عين في وزارة الخارجية .

ثورة علي بن غذاهم وموقف الدولة العثمانية منها :

لم تفلح محاولات الدولة العثمانية في إثناء محمد الصادق باي عن سياسة التقرب من فرنسا والذي ذهب فيها بعيداً عندما استجاب لنصائح القنصل الفرنسي في تطوير علاقته مع فرنسا والعودة إلى الإصلاحات رغم أن تونس كانت تفتقر إلى المال . ولكي يقوم الباي بتلك الإصلاحات فقد فرض إلى جانب الاستدانة من الدول الأجنبية ضرائب باهظة على السكان كانوا لا يستطيعون أداءها ، فعلى سبيل المثال أصر الباي على جمع الضرائب من جميع التونسيين دون استثناء بعد أن كان قد أسقطها عن غير القادرين منهم ، وكتب إلى جميع مأموريه خطاباً في جمادى الثانية سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) ذكر فيه "... وبعد فإن النظر في مصالح الرعايا اقتضى فيما سلف لزومه أداء الإعانة لجميع الرعايا في مقابلة أمور كانت مرتبة عليهم ، وبإسقاطها حصلت مصلحة للجميع ، وقد اقتضت المصلحة الآن أن تكون الإعانة اثنين وسبعين ريالاً في العام ، يدفعها كل نفر من الأنفار المقيدة أسماؤهم بدفتر عملكم ، فالعمل أن تعملوا من لنظركم بذلك وتحرضوهم على المناجزة في الخلاص وتجتهدوا في ذلك ..."[2] .

---

(١) رسالة من الصدر الأعظم كاشف زاده محمد إلى السلطان عبد العزيز في ٢٥ جمادى الثانية ١٢٨٠ هـ (٧ ديسمبر ١٨٦٣م) إدارة داخلية ،وثيقة رقم ١١٦٥٠ الأرشيف العثماني.

(٢) أحمد بن أبي الضياف ، مصدر سابق ،الجزء الخامس. ص. ١١٥ .

وبالفعل بدأ العمال في الأقاليم التونسية بجمع تلك الضرائب ،ولكن أخذ الكثير من التونسيين وخاصة سكان البوادي في رفض الالتزام بدفع تلك الضريبة وتطور ذلك الرفض إلى ثورة شعبية تزعمها علي بن غذاهم في شهر ذي القعدة ١٢٨٠هـ(أبريل ١٨٦٤م) حيث بدأت في منطقة الكاف والقيروان ، وامتدت إلى الأقاليم الساحلية حيث أصبح ولاة الباي محاصرين في كثير من المدن التي رفضت الالتزام بدفع الضريبة ، ومع أن الباي حاول أن يحتوي الثورة وأن يصنف دافعي الضريبة إلى ستة فئات حسب غناهم وفقرهم على أن تلتزم كل فئة بدفع الضريبة التي فرضت عليها والتي تتراوح من٣٦ إلى ١٠٨ ريالات إلا أن ذلك لم يغير شيئاً في قرار الثوار الذين رفضوا الالتزام بدفع الضريبة في ظل سوء تصرف الباي في قراراته الداخلية والخارجية . وطالب الثوار أيضاً بمطالب انحصرت في تخفيض الضريبة إلى عشرة ريالات ، وإلغاء ضريبة المكوس خارج الأسواق ، وإعادة أداء الزيتون والنخل إلى ما كانت عليه في عهد أحمد باي ، وتطورت مطالبهم إلى إعفاء العمال وبعض الولاة ، وإلغاء الدستور والمحاكم المختلطة.[١] وعلى الرغم من أن الباي حاول احتواء الثورة إلا أن الثوار رفضوا الانصياع لجمع الضرائب والتزموا بتنفيذ مطالبهم مما جعل الباي يرسل بعض الحملات للقضاء على الثورة ومحاصرتها لكي لا تمتد إلى مناطق أخرى . ومع ذلك لم تنجح تلك المحاولات وأعطت الفرصة لتدخلات خارجية كان أهمها تدخل القنصل الفرنسي شارل دو بوفال الذي حل محل القنصل الفرنسي ليون روش والذي أشار على الباي بعزل بعض وزرائه ومنهم وزيره مصطفى خزنة دار والتخلي عن عهد الأمان حتى يحتوي غضب الثوار . وقدم القنصل خدمات دولته بالتدخل عسكرياً في إنهاء تلك الثورة ، [٢] ويبدو أن القنصل يريد أن يضع موطئ قدم لتدخلات أخرى يقدم عليها الفرنسيون إذا سنحت لهم الفرصة.

(١) ب. سلامة . ثورة بن غذاهم .تونس : الدار التونسية للنشر ١٩٦٧ م، ص. ص.٥٥- ٦٣ ، ٧٠- ٧٦ .

(٢) أحمد بن أبي الضياف ، مصدر سابق ،الجزء الخامس. ص.ص.١٢٨ –١٣٢ ، ١٥٠ –١٥٤ .

وفي واقع الأمر إن الدول ذات المصالح الهامة في تونس كانت تراقب الوضع في تونس باهتمام ،ونتيجة لذلك قامت كل من الدولة العثمانية وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا بإرسال أساطيلها إلى المياه التونسية لمراقبة الوضع عن كثب . وعندما وصلت تلك الأساطيل إلى المياه التونسية هدد الفرنسيون بالتصدي لأي أسطول يحاول الاقتراب من السواحل التونسية بسبب أن ذلك يهدد أمن الفرنسيين في الجزائر ، وتلافياً لوقوع أي صدامات بين تلك الدول فقد حدثت مفاوضات بينها على أن تقوم بسحب أساطيلها من المياه التونسية دون تأخير ، وبالفعل انسحبت جميع الأساطيل في ١٠ جمادى الأول ١٢٨١هـ (١١ أكتوبر ١٨٦٤ م) خاصة عندما أخذت الحكومة التونسية تحقق نجاحات في استعادة سيطرتها على البـــلاد.[١]

أما الدولة العثمانية فقد أولت اهتماماً كبيراً بالأحداث في تونس ،ومنذ قيام الثورة أرسلت مندوباً إلى محمد الصادق باي تطلب منه أن يتعامل مع الثوار بنوع من الروية ، وأن لا يعطي الفرصة لتدخلات خارجية وخاصة من فرنسا التي كانت تتحين الفرصة لتنفيذ مخططاتها في تونس . وكان لوصول مبعوث الدولة العثمانية الأثر الكبير في زيادة نشاط القنصل الفرنسي في تونس والذي حاول أن يملي نصائحه على الباي الذي لم يستجب لتلك النصائح ، [٢] فما كان من القنصل إلا أن أشاع أن الدولة العثمانية كاتبت الباي وأنها سوف تقوم بإرسال عشرة آلاف مقاتل للقضاء على الثورة ،وعندما لم يستجب الباي لنصائح القنصل كاتب الأخير زعيم الثورة علي بن غذاهم عدداً من المكاتيب يؤكد له أن فرنسا تتابع الأحداث في تونس باهتمام كبير، وأن المصالح الفرنسية تقضي بعدم التقارب بين الباي وبين الدولة العثمانية ، خاصة وأن الباي يحاول أن

(١) تقرير عن المفاوضات بين ممثلي بعض الأساطيل الأوروبية وأسطول الدولة العثمانية بتاريخ ٢٢ ربيع الآخر ١٢٨١هـ(٢٤ سبتمبر ١٨٦٤م)،إدارة داخلية ، رقم الوثيقة ٣٦٦٤٠ ، الأرشيف العثماني.

(٢) ب. سلامة. علي بن غذاهم ، مرجع سابق، ص.ص. ٩١- ٩٢.

يحصل على مساعدة من الدولة العثمانية ولقد ورد في الخطاب ما نصه "... وبعد فالذي يكن في شريف علمكم الزكي كنا أرسلنا لكم ثلاثة أجوبة قبل هذا ولم نعلم هل وصولكم (هكذا) أم لا ، لم رجعتم لنا ضدهم (هكذا) ، وعرفناكم بكثير من مصالحكم التي هي مراغبنا والله شاهد ورقيب فيلزمنا الآن أن نبدوا (هكذا) لكم منها شيء ونعرفكم أيضاً بما عندنا الآن فأول ما نقسم لكم بالإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام أن لا أخفي عليكم شيئاً من الواقع وهو أننا شادين معكم صحيح (هكذا) والمقصود مصممين في جميع مطالبكم... وبعث إلى السلطان ليبعث له عشرة آلاف عسكر ليقاتلكم بهم ولما بلغ دولتنا تعرضت إلى العساكر المذكورة ورجعتهم من مالطة وخاطبت السلطان بالواقع وأنكم مظلومون وقائمون في حقكم من شدة الضرر التي أحاط بكم وامتثل السلطان لذلك وترك الأمر في كلفتنا لنفصل بينكم وبين الباي ، ونحن بهذا الأمر لنا فائدتان الأولى مصلحتكم والثانية لم يساعدنا (يوافق مرادنا) دخول الترك إلى أفريقية" .[1] ومن خلال الرسالة السابقة يتبين مدى التدخلات التي يقوم بها القناصل في الشؤون التونسية والأطماع التي يحاولون الوصول إليها مستخدمين أساليب عديدة تتمثل في زيادة الفرقة بين شرائح المجتمع التونسي لكي يصلوا إلى أهدافهم .

وعندما أدرك الباي خطر تلك الثورة حاول أن يكسب موقف الدولة العثمانية إلى جانبه فأرسل خطاباً إلى الحكومة العثمانية ، مع مندوب الدولة خير أفندي الذي قدم إلى تونس ليستطلع أخبار الثورة ، يمتدح فيه الدولة العثمانية ويشرح فيه التطورات التي حدثت من الثوار في وسط تونس وفي المناطق الساحلية الشرقية للبلاد. وشكر في الخطاب الحكومة العثمانية لمساندتها له في استنكارها للثورة التي سوف تضعف الجبهة الداخلية للبلاد وتعطي الفرصة للدول الأوروبية وخاصة فرنسا بالتدخل في شؤون تونس الداخلية. وأوضح في الخطاب التقدم الذي أحرزته قواته على الثوار"...فنشكر الله تعالى

(١) أحمد بن أبي الضياف ، مصدر سابق ، الجزء الخامس. ص.١٥٨ .

عليه من امتداد العافية ورجوع الراحة والأمن على سبيله المعتاد حتى إن بعض قرى الساحل التي سبق منا الإعلام ببقاء بعض التجيش فيه ابتدأت الآن فيها الراحة والأمن والإقبال على الطاعة ...وأسال الله تعالى من فضله أن يمتعنا ببقاء هذه السلطنة العالية رفيعة المقدار طائرة الصيت في سائر الأقطار عصمة للإسلام من جميع الأكدار مؤيدة كما تحب وتختار..." (١).

وفي المقابل نجد أن التدخلات الفرنسية في الشؤون الداخلية لتونس أقلقت الحكومة العثمانية التي أحست أن خطر التدخل الفرنسي في تونس أصبح وشيكاً لذلك حاول محمد الصادق باي التقرب من الدولة العثمانية خاصة عندما أحس بخطر التدخل الفرنسي في أحداث ثورة علي بن غذاهم. ونتيجة لذلك قرر محمد الصادق باي انتداب خير الدين إلى الآستانة لكسب موقف الدولة العثمانية. وعندما علم القنصل الفرنسي بوفال Beau Val بذلك حاول تعطيل سفر خير الدين حتى إن أبي الضياف وصف سفر خير الدين "بالهروب"، وهو كناية عن الضغوط التي كان يتعرض لها الباي من القنصل. وزود خير الدين بخطاب إلى السلطان العثماني من محمد الصادق باي ذكر فيه "....ووجه إلى باب أمير المؤمنين، ومحط رحال الآملين ، خير الدين مقام ابنه الوزير أمير الأمراء خير الدين، وبث إلى صدقه وأمانته ، وقربه ونجابته ، ما ينهيه إلى مقام الخلافة من أداء بعض الشكر الواجب والعمل الطيب لا يحجبه حاجب ، فإن القدرة لا تفي بشكر تلك النعم، التي يقصر عن تعدادها لسان القلم...." (٢).

وعندما نجح الجيش التونسي في القضاء على ثورة علي بن غذاهم كتب محمد الصادق باي إلى الصدر الأعظم يخبره بذلك ويشكره على اهتمام الحكومة العثمانية

---

(١) رسالة من محمد الصادق باي إلى الصدر الأعظم فؤاد باشا في ٣ ربيع الثاني ١٢٨١هـ(٥ رمضان ١٨٦٤م) رقم الوثيقة ٣٦٦٤٠ ، إدارة داخلية ، الأرشيف العثماني.

(٢) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء السادس ، ص.٢٤ .

بالقضاء على الفتنة التي هددت أمن البلاد وزادت تونس ضعفاً وأعطت الدول الأجنبية الفرصة لزيادة نفوذها، ويخبره بأن خير الدين قد زوده بالتعليمات التي تلقاها من الحكومة العثمانية ، وأيضاً ضمن رسالته الدعاء للدولة العثمانية إلى ما تصبو إليه من عز الإسلام ورفعة المسلمين وورد في رسالته ما نصه "... وقد زال والمنة لله سبحانه ما بقي من التجيش ببعض قرى الساحل وذلك أنهم لما وجهنا إليهم من يرشدهم ويدلهم على طريق الخير سولت لهم أنفسهم الإقدام عليه، فدافعهم في موقف واحد وبذلك عادت لجميع الوطن الراحة ، والمشاكل لها حد، والله المسؤول أن يديم العافية لأقطار المسلمين ويجمع كلمتهم على إعلاء الدين، وأن يديم لكم الإسعاد على ممر الآماد..."[1].

أما التعليمات التي زود بها خير الدين باشا من الحكومة العثمانية لمحمد الصادق باي فهي تؤكد على زيادة الروابط بين الدولة العثمانية وتونس واعتبار تونس جزءاً من ممتلكات الدولة العثمانية حتى لا تمتد إليها أطماع الدول الأجنبية. ولكي تقوى تلك الروابط لا بد من العودة إلى الروابط السابقة التي تربط بين تونس والدولة العثمانية والتي تتلخص في ضرب العملة باسم السلطان والدعاء له على المنابر لكون تلك العلامات من علامات ارتباط تونس بالدولة العثمانية والتي تعتبر جزءاً من أجزاء الممالك العثمانية. وفي المقابل فلباي تونس الاستقلالية في التصرف في الولايات العسكرية والسياسية والشرعية على أن يراعي العدل في اتخاذ قراراته. وللباي الأحقية في طلب الفرمان حال توليته من السلطان مباشرة كما جرت العادة به على أن تكون الولاية وراثياً في السلالة الحسينية.[2] ومن خلال تلك التعليمات يتضح قلق الدولة العثمانية

(١) رسالة من محمد الصادق باي إلى الصدر الأعظم فؤاد باشا في ١٥ جمادى الثانية ١٢٨١ هـ(١٥ نوفمبر ١٨٦٤م) رقم الوثيقة ٣٦٨٠٠ ، إدارة داخلية ، الأرشيف العثماني

(٢) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء السادس ، ص.ص.٢٧- ٢٩ .

على وجودها في تونس ، وعلى سلامة تونس في ظل الأطماع الأجنبية التي أخذت تتنامى يوماً بعد آخر . وخلال تلك الأزمة وجدت الحكومة العثمانية الفرصة مواتية لاستعادة نفوذها فلم تتردد في دعم تونس سياسياً خاصة عندما أوحت إلى الدول الأجنبية في المباحثات التي ناقشت العلاقات بين الطرفين في كل من الآستانة وتونس بأن الروابط التي بين تونس والدولة العثمانية روابط تاريخية وقانونية لا يمكن التعدي عليها .

لقد نتج عن ثورة علي بن غذاهم عدة نتائج قادت تونس إلى مرحلة جديدة من التطورات الداخلية والأطماع الخارجية ومنها حالة الإفلاس التي منيت بها البلاد وذلك نتيجة للغرامات الحربية التي فُرضت على القبائل الثائرة ، وزاد الأمور سوءاً الجفاف الذي ضرب البلاد مما أدى إلى تدهور العوائد المالية التي كانت تجبيها الحكومة التونسية. وخلال الثورة ضعفت التجارة الخارجية ،وكان لقلة المحاصيل الزراعية في تونس الأثر الكبير في تراجع النقد الخارجي والذي بالطبع أثر على ميزانية الدولة في السنوات التي أعقبت الثورة .[1] أما التنافس الأجنبي فظهر واضحاً من خلال الأدوار التي حاولت الدول ذات المصالح الكبيرة في تونس أن تلعبها أثناء الثورة . وكان للتدخلات الفرنسية الأثر الكبير في التقارب التونسي العثماني خاصة في الدور الذي لعبه حيدر أفندي في تهدئة الثوار في تونس وفي إقناع الباي بعدم الوثوق في فرنسا التي تسعى لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية في البلاد. أما دور كل من بريطانيا وإيطاليا فقد تمثل في الحفاظ على مصالحهما وعدم إعطاء فرنسا الفرصة بالسيطرة على تونس .[2] ورغم أن النفوذ العثماني عاد في ظروف استثنائية تمثلت في خوف الباي وبعض الدول الأوروبية من فقد مصالحها في تونس إلا أنه كان مجرد تأجيل لفترة محدودة حيث عادت الأطماع الفرنسية بقوة وتحت ظروف صعبة بالنسبة للحكومة التونسية.

---

(١) ب. سلامة . مرجع سابق ، ص.ص.٢٦١- ٢٦٢ .

(٢) صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص.١٦٨.

التغلغل الفرنسي وفرض الحماية على تونس :

نجحت فرنسا في التأثير على بايات تونس بإخراجهم من دائرة الارتباط بالدولة العثمانية ، وفي نفس الوقت حاولت زيادة نفوذها الاقتصادي والسياسي لكي تضمن أحقيتها بتونس دون بقية الدول الأوروبية الأخرى المنافسة لها وخاصة بريطانيا وإيطاليا. وكان للدور الذي لعبته فرنسا خلال ثورة علي بن غذاهم الأثر الكبير في عودة التقارب بين تونس والدولة العثمانية، ولكن هذا التقارب أصبح ضعيف الفعالية خاصة وأن فرنسا بدأت تفكر جدياً في زيادة نفوذها في تونس كمرحلة تمهيدية لوضعها تحت الحماية أما الحكومة التونسية فهي الأخرى كانت تعاني من مشاكل إدارية ومالية جعلتها تفقد السيطرة على البلاد ، فأثار الجفاف جعلت الكثير من التونسيين مشردين بدون مأوى حيث أخذوا يتدفقون على المدن الرئيسة وخاصة العاصمة تونس. ورغم ذلك كله إلا أن الباي ظل يؤكد على عماله بجمع الضرائب دون تقدير للظروف التي كانت تعيشها البلاد. ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل أخذت تونس تعاني من مشكلات إدارية تمثلت في عزل الباي لبعض رجال حكومته ومصادرة أموالهم ، وزادت الأحوال تفاقماً عندما أخذ الباي يجرد التجار من أموالهم تحت ستار الاقتراض منهم بآجال طويلة وصلت إلى ثلاثين سنة وهذا أدى إلى غضب شعبي شارك فيه أخو الباي محمد العادل الذي خرج إلى قبائل خمير وقاد الثورة ضد أخيه ولكنه توفي بعد شهر نتيجة لمرض أصابه. ولكي يخرج الباي من تلك الأزمة أرسل سفرائه إلى أوروبا للبحث عن قروض تحل مشاكل بلاده المالية.[1]

في ظل تلك الظروف التي كانت تعاني منها البلاد استغل الأوربيون وبالذات الفرنسيون الأزمة المالية التي كانت تعاني منها البلاد وقدمت الشركات الأوروبية

---

(١) أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، الجزء السادس ، ص.ص٦٤- ٧٤ وانظر ب.سلامة. مرجع سابق، ص.ص.٢٦٢- ٢٦٦ .

القروض للحكومة التونسية بفوائد عالية وصل بعضها إلى نسبة ١٣٪ . وبلغت القروض التي حصلت عليها الحكومة التونسية منذ بداية الستينيات الميلادية وحتى ١٨٦٨م أكثر من مائة مليون فرنك، ذهب الكثير من تلك الأموال إلى الوسطاء وإلى قصور الباي. ونظراً لعدم قدرة الحكومة التونسية على تسديد القروض فلقد تضاعفت تلك الفوائد وأصبحت تشكل هي الأخرى عبئاً على الخزينة لا تستطيع الوفاء به. (١) ولم يقتصر التغلغل الفرنسي على القروض التي كان معظمها للفرنسيين بل إن معظم تجارة البلاد الخارجية أصبحت بأيدي الفرنسيين الذين تزايدت إعدادهم وأعداد الجاليات الأوروبية الأخرى بشكل ملحوظ . ونتيجة لزيادة أعدادهم فقد طالب القناصل بإنشاء محاكم قنصلية لمواطنيهم وللمحميين التونسيين الذين أصبحوا تحت حمايتهم يحكم فيها القناصل بقوانين بلادهم. (٢) وهذا بالطبع أدى إلى سيطرة مالية من الأجانب على اقتصاد البلاد وإلى تجاوزات قانونية حيث إن القناصل كانوا يقدمون مصالح رعاياهم على مصالح التونسيين .

لقد نتج عن تورط الحكومة التونسية في الديون الأوروبية سواء كانت لأفراد أو حكومات إلى تراكم تلك الديون، وعجز الحكومة التونسية عن الوفاء بتسديدها مما جعل الدائنين يلحون في المطالبة بسرعة تسديد ديونهم . وأمام تلك المطالب اضطرت الحكومة التونسية للتوصل إلى اتفاق مع حكومات أصحاب الديون يقضي بتشكيل لجنة مالية مشتركة تشرف على إيرادات البلاد التونسية ،وتقتطع نصفها للدين العام. وبالطبع كان لذلك القرار الأثر الكبير في تدخل أعضاء تلك اللجنة في شؤون تونس الداخلية والذي تطور إلى رمز للسيطرة والاستغلال والتنافس المحموم من الدول الأوروبية للسيطرة على اقتصاد البلاد . وظهر واضحاً أن تونس دخلت في مرحلة من

(١) صلاح العقاد، مرجع سابق ،ص.ص.١٦٧_١٧٧ .

(٢) شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق ،ص.٢٨٩ .

الهيمنة الاقتصادية للأوربيين كان من الصعب الانفكاك منها، حيث أصبحت الحكومة التونسية في وضع لا تحسد عليه مما جعلها تبحث عن طوق النجاة في إعادة الروابط مع الدولة العثمانية[1].

في ظل المشاكل الداخلية والضغوط الخارجية التي كانت تعاني منها تونس حدث تقارب بين الحكومة التونسية والحكومة العثمانية كان الهدف منه التلويح لفرنسا بأن تونس تابعة للدولة العثمانية ولن تسمح لفرنسا بابتلاعها كما فعلت بالجزائر. هذا الشعور وجد قبولاً لدى الحكومة العثمانية التي تراجع وجودها في تونس منذ احتلال الجزائر ،وزاد تراجعاً منذ عهد أحمد باي الذي حاول أن يصحح خطأه ويعود إلى سياسة التوازن الذي انتهجها البايات في سياسته الخارجية . ولقد أدركت الحكومة التونسية خطأ الابتعاد عن الدولة العثمانية التي تشكل عمقاً إستراتيجياً بالنسبة لها فحاولت أن توثق علاقاتها مع الدولة العثمانية وكان هناك الكثير من المراسلات التي تبادلها الطرفان،والرسل الذين كانوا يحاولون إعادة الارتباط إلى سالف عهده . ومن هذه المحاولات ،على سبيل المثال، إحدى الرسائل التي أرسلها خير الدين،الوزير الأكبر ، إلى الحكومة العثمانية والتي شرح فيها تصوره للعلاقات بقوله "...بما لا يخفى عن الجناب الرفيع أن دولة فرنسا منذ سنة ١٨٣٠م سعت لمقاصد لها سياسية في إبعاد هاته الأيالة عن الممالك العثمانية والمقاصد المشار إليها دائرة بين أمرين أما تسهيل الاستيلاء عليها إن اقتضاه الحال أو مجاورتها لمملكة ضعيفة لا ملجأ لها ولا متعرض فيما تريد منها ولا يتم لها ذلك الإبعاد إلا بإنكار ما للدولة العلية من الحقوق بهذه المملكة... ومنذ ثورة ١٢٨١ هـ ثبت عند سيادة الباي المعظم ورجال حكومته أن لا نجاح لهم إلا في استبقاء ارتباط تونس مع الدولة العلية..." [2].

---

(١) المرجع السابق ، ص.ص.٢٩٤- ٢٩٥.

(٢) رسالة من خير الدين باشا إلى الصدر الأعظم محمد عالي باشا مجلس مخصوص ، رقم الوثيقة ١٧١٧ الأرشيف العثماني

إن التحول في السياسة التونسية تجاه الدولة العثمانية كان بمثابة المحاولة التونسية لإيقاف الأطماع الأجنبية في تونس، وخاصة من الفرنسيين والإيطاليين الذين بدأ التنافس واضحاً فيما بينهم للسيطرة على تونس ،وذلك باعتبارها من الناحية القانونية تابعة للدولة العثمانية . ووجد ذلك التوجه مساندة سياسية من بريطانيا التي كانت تسعى لإبقاء تونس على وضعها مع الدولة العثمانية وكانت نصائح القنصل البريطاني تصب في ذلك الاتجاه خاصة فيما يتعلق بالفرمانات التي كان يرسلها السلطان العثماني إلى الباي. وفي رسالة من محمد الصادق باي إلى السلطان العثماني يتضح مدى أهمية الفرمانات للباي في تلك الفترة الحرجة التي أدركت فيها الحكومة التونسية سياستها الخاطئة تجاه علاقتها مع الدولة العثمانية في بعض الفترات التي تلت احتلال فرنسا للجزائر، وحاولت أن تعيد الارتباط من خلال اهتمامها بتلك الفرمانات ، فلقد كتب الباي إلى السلطان رسالة أشار فيها بقوله ".... أما بعد التحية المناسبة لحضرة الخلافة والدعاء لها بالنصر والتمكين والإعانة على ما امتنت عليه من مصالح الدين بالحسنى لأبواب الخلافة العلية خلد الله تعالى سلطانها وعمر بالصالحات أزمانها أرشدها للخير وأعانها وجعل التأييدات الإلهية أعوانها، أن عبد نعمتها المتحلي بصادق خدمتها المتميز بشعار حرمتها المقلد بأطواق منتها المتمسك بحبله وهو حبل الله المتين والمتعدد بفضلها وفضل سلفها الأئمة المهتدين طلب فيما سلف من فضلها الرفيع الذي تعود هو وسلفه من الخلفاء الراشدين صدور الفرمان العلي الذي سلفت الإرادة السنية بصدوره بمقتضى كتاب الصدارة العظمى المؤرخة في ٢٣ رجب ١٢٨١ هـ (٢٣ ديسمبر ١٨٦٤م)، وأعاد الآن مطلبه راغباً من الأعتاب العلية الالتفات إليه وإلى من بهذا القطر من المسلمين الذين تخطب أئمتهم على منابرهم بالدعاء لهذه السلطنة المؤسسة دعائمها على الهدى والإعانة على طاعتها في السر والنجوى،وذلك بالتفضل على عبد نعمتها بصدور الفرمان الشريف المشار إليه إتماما للنعم التي تعودها هو وسلفه من أبواب الخلافة الإسلامية ولمقاصد تضمنها ما حرره لجناب الصدارة العظمى..."[1] .

(١) رسالة من محمد الصادق باي إلى السلطان عبد المجيد في ٥ صفر ١٢٨٨هـ(١٣ ابريل ١٨٧٢م) رقم الوثيقة١٧١٩

إن المقاصد التي أشارت إليها الرسالة عُرضت على الصدارة العظمى من مندوب الباي خير الدين باشا الذي قابل الوزير في ١٢ رجب ١٢٨٨هـ (٢٧ سبتمبر ١٨٧١م). وفي تلك المقابلة قدم خير الدين عرضاً عن الهدف من إعادة الارتباط بين تونس والدولة العثمانية إلى ما كانت عليه في الماضي ، وأشار إلى أن المكاتبات التي وصلت الباي من الحكومة العثمانية تؤكد على اهتمام الدولة العثمانية بتونس حيث أبرزت أن هدفها هو عودة الأمن وتنمية اقتصاد البلاد والتركيز على تماسك الجبهة الداخلية لها حتى تستطيع الوقوف ضد الأطماع الأجنبية . وفي المقابل التزم خير الدين بعود الارتباط بين تونس والدولة العثمانية كما أُشير في خطاب الباي الذي بعث به إلى السلطان خلال ثورة علي بن غذاهم ، وأكد خير الدين على أهمية وقوف الدولة العثمانية إلى جانب تونس بإصدار الفرمان الذي يؤكد الارتباط بين الجانبين والذي تأخر صدوره بسبب أن الصدر الأعظم أجل ذلك حيث إن إرسال الفرمان موقوف على تهذيبه ، ومع أنه مر على ذلك الوعد حوالي ست سنوات إلا أن الحكومة العثمانية لم تصدر ذلك الفرمان ويبدو أن السبب في عدم إصداره يعود لأن الدولة العثمانية تريد أن تستطلع آراء الدول الأجنبية حيال ذلك أو أنها أرادت أن تلتزم بما جرت عليه العادة في الفترة الأخيرة من العلاقة بين الجانبين حيث إن السلطان عادة يصدر الفرمان عند تولية الباي فقط. وخلال المقابلة أكد خير الدين على ضرورة إصدار الفرمان لتأكيد شرعية الارتباط بين الدولة العثمانية وتونس،وأشار إلى أهمية الفرمان بقوله"... وبالفرمان الذي هو الوسيلة الوحيدة في رفع الأخطار على الأيالة التونسية بل ذلك التعطيل مما يجلب لها خطراً وصعوبات أشد مما كانت عليه..." [١].

الأرشيف العثماني.

(١) تقرير معروض من خير الدين باشا على الصدارة العظمى بتاريخ ١٢ رجب ١٢٨٨هـ (٢٧ سبتمر ١٨٧١م) مجلس مخصوص ، رقم الوثيقة ١٦٩٦ ، الأرشيف العثماني .

وأثناء إقامة خير الدين باشا في الآستانة نجح في مهمته واستطاع الحصول على الفرمان من السلطان العثماني . وبذلك الفرمان نجحت تونس في العودة مرة أخرى إلى سياسة التوازن التي كانت تؤكد على أنها مرتبطة ارتباطاً روحياً بالدولة العثمانية، وأن هذا الارتباط مبني على أسس دينية وتاريخية. واعتقد الباي ورجال حكومته أن العودة إلى ذلك الالتحام لن يُعطي الفرصة للدول الطامعة في تونس بتنفيذ مخططاتها ، ووضح أن الباي كان يولي ذلك الفرمان أهمية كبيرة وذلك من خلال خطابه الذي أرسله إلى السلطان يشكره على ذلك حيث قال"... فقد ورد على عبد نعمتها المتحلي بصادق خدمتها المتميز بشعار حرمتها المقلد بأطواق منتها من فضل الأبواب العلية التي هي محط رحال الآمال ومصدر النعم والأفضال الفرمان العلي الشريف المبارك المؤرخ باليوم التاسع من شعبان من عام التاريخ يشرق نوره وتعلن بما هو الأمل من رضى السلطنة سطوره متضمناً بيان جهة وصلة هذه الأيال الإسلامية بمقام الخلافة الرفيع واحتمائها بركن جلالها المنيع فتلقيناه بالقبول والإجلال والتعظيم وقابلناه بما يقابل به مثله من كتاب كريم ورأيناه نعمة ادخرها الله سبحانه للمتمسك بحبل الخلافة وهو حبل الله المتين ... وشكرنا الله تعالى على ما منحنا به من فضل الخلافة العلية الدال على مرضاتها على هذا العبد الفقير وآل بيته ومن بهذا القطر المنتمي إلى عزها الرفيع وحماها المنيع أشرقت الأرض بقدومه نوراً وامتلأت القلوب بفهمه سروراً واطمأنت الأنفس ، إذ رأت ما تدين به مما جلبت عليه في هذا الكتاب المبارك... فياله من كتاب تضمن نعمى وبشرى وهداية نافعة في الدنيا والأخرى وكنزاً من الأمن لهذا القطر ..." [1] .

ومن هذا الخطاب يلاحظ أهميته بالنسبة للحكومة التونسية التي كانت حريصة كل الحرص على الخروج من مأزقها بأي ثمن .

---

(١) رسالة من محمد الصادق باي إلى السلطان عبد المجيد في ١٠ شوال ١٢٨٨هـ(٢٣ ديسمبر ١٨٧١م) إدارة داخلية ، رقم الوثيقة ٤٤٨٦٣ ، الأرشيف العثماني .

ذلك التوجه من الحكومة التونسية وجد معارضة من الفرنسيين الذين كانوا يخططون لعزل تونس عن الدولة العثمانية ، لهذا انتقد القنصل الفرنسي ذلك الفرمان واعتبره تدخلاً في الشؤون التونسية من قبل الدولة العثمانية. ولم تكن المعارضة مقصورة على القنصل الفرنسي بل إن القنصل الإيطالي ،على سبيل المثال ، أبدى امتعاضه من ذلك الفرمان الذي أعاد الروابط بين تونس والدولة العثمانية إلى سابق عهدها. وفي حقيقة الأمر إن الدول الأوروبية قطعت شوطاً كبيراً في إبعاد تونس عن الدولة العثمانية ولم يكن يفصلها عن تنفيذ مخططاتها إلا التنافس في ما بينها على اقتسام المصالح وإثبات الأحقية في السيطرة على البلاد والشروع في احتلالها.[1]

ويبدو أن الدولة العثمانية أدركت مغزى الدول الأوروبية من محاولة إخراج تونس عن دائرة الارتباط بدولة الخلافة لذلك حاولت جاهدة أن توحي للدول الأوروبية بأن تونس ولاية من ولاياتها ،وأنها لن تفرط فيها تحت إي ظرف من الظروف.وكانت تعليمات الباب العالي للباي تؤكد على الاهتمام بالرعية والحفاظ على مصالح البلاد والعباد التي هي في نظر الشريعة جزء من وظائف الخليفة. إضافة إلى ذلك فلقد حاولت الدولة العثمانية استغلال التنافس بين الدول الأوروبية وحاولت كسب بريطانيا إلى صفها في محاولة الإبقاء على الوضع القائم في تونس خاصة وأن السياسة البريطانية في تونس وفي بقية أنحاء المغرب العربي غير المستعمرة كانت تسير في ذلك الاتجاه.ولقد وضح ذلك من السفير العثماني في لندن والذي كتب خطاباً أشار فيه إلى أن الحكومة البريطانية تراقب الوضع في تونس منذ أربعين عاماً وأن الأطماع في تلك البلاد أخذت في التراجع بعد عودة الارتباط بين تونس والدولة العثمانية والتي بالطبع وجدت مباركة من بريطانيا.[2]

---

(١) صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص.١٧٤.

(٢) رسالة من السفير العثماني في لندن إلى الصدر الأعظم بتاريخ٢١ تشرين الأول ١٨٧١م (٦ شعبان ١٢٨٨ هـ)وثيقة رقم ١٥٠١٨ ، إرادة خارجية ، الأرشيف العثماني .

إن الارتباط بين تونس والدولة العثمانية أصبح في السبعينيات من القرن التاسع عشر أفضل من أي وقت مضى منذ احتلال فرنسا للجزائر وذلك لرغبة الطرفين في الوقوف أمام المد الأوروبي الذي لم يقتصر على أطماع الدول الأوروبية في تونس بل تعدى ذلك إلى مطامع أوروبية في الأراضي التي تحت النفوذ العثماني داخل القارة الأوروبية. فعندما اندلعت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا في عام ١٨٧٧م لم يتردد الباي في جمع التبرعات لصالح الدولة العثمانية رغم الضائقة المالية التي كانت تمر بها بلاده. ولقد ورد ذلك في رسالة إلى الصدر الأعظم قال فيها"... أما بعد التحية المناسبة لهذه الرتبة العالية والفخامة السنية فالمنهي لجلالة الصدارة أن الواصل لها في كمبيالات في مائة وخمسين ألف فرنك على مرسيليا حالة وذلك من المقدار الذي تجمع للإعانة على الحرب والله تعالى يديم بكم دست الصدارة عاليا وبمآثركم الجميلة حالياً ..." (١) وبالطبع كان لتلك الإعانة صداها الطيب في نفوس أعضاء الحكومة العثمانية التي قابلت ذلك بالشكر واعتبرت ذلك دلالة من الدلالات التي تؤكد قوة الارتباط بين الطرفين.

ومع أن التقارب التونسي العثماني أصبح واقعاً فرضته الظروف والمستجدات التي أصبحت تهدد استقلالية تونس إلا أن ذلك التقارب جاء متأخراً لإنقاذ تونس التي كان لها اليد الطولى في الحالة التي وصلت إليها. وجاءت الضغوط الأوروبية خلال السبعينيات لتجهز على ما تبقى من التماسك الداخلي للبلاد، وكان للتنافس الإيطالي الفرنسي على وجه الخصوص الأثر الكبير في زيادة التغلغل الاقتصادي وأضعاف ما تبقى من الاقتصاد التونسي .وتطور ذلك التغلغل ليصبح بمثابة مقدمة لمحاولة كل طرف أن يثبت أحقيته في فرض هيمنته على تونس نتيجة لحجم استثماراته في البلاد.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل لعبت كل من فرنسا وإيطاليا الدور الذي كانت تؤديه فرنسا منذ احتلالها الجزائر والذي يتلخص في إخراج تونس عن دائرة الارتباط

(١) رسالة من محمد الصادق إلى محمد رشدي باشا بتاريخ ١٥ رمضان ١٢٩٣هـ(٢٦ أكتوبر ١٨٧٦م) رقم الوثيقة ٦٠٠٥٦ ، إدارة داخلية ، الأرشيف العثماني .

العثماني لسهولة السيطرة عليها. وعندما خاضت الدولة العثمانية حربها ضد روسيا في عام ١٨٧٧ م حاول كل من القنصل الفرنسي والقنصل الإيطالي إغراء الباي بالاستقلال عن الباب العالي، واحتج الدائنون على تونس في عزمها على مساعدة الدولة العثمانيـــة مالياً وعسكرياً.[١]

لقد ظلت الدولة العثمانية تؤكد في الكثير من المناسبات الرسمية أن تونس ولاية من ولاياتها ، وأنها لن تتنازل عنها بأي حال من الأحوال ، وحاولت أن تؤكد على ذلك من خلال التعاطف الشعبي التونسي الذي تجده في صراعها مع بعض الدول الأوروبية. فبعد أن تلقت الدولة العثمانية مساعدات من تونس خلال حربها مع روسيا أوعز السلطان إلى الصدر الأعظم بإرسال نياشين إلى بعض الضباط التونسيين والذين قدموا مساعدات عينية بلغت ألف رأس من الأبقار.[٢] ومع أن الدولة العثمانية حاولت التأكيد على قوة التعاطف الشعبي داخل تونس إلا أنها كانت لا تريد الدخول في صدام مع الدول الأوروبية حول تونس وكانت تريد إبقاء الأوضاع دون تغيير . ولقد وضح ذلك من خلال التعليمات التي كانت تصل من الحكومة العثمانية إلى الباي بالحفاظ على الامتيازات الأجنبية وخلق تنافس بين الدول الأوروبية حتى تحافظ تونس على وضعيتها.[٣]

إن الفترة التي سبقت فرض الحماية الفرنسية على تونس كانت فترة حرجة لكل من تونس والدولة العثمانية ، فتونس أحست بالخطر الذي كان ينتظرها من الدول الأوروبية وخاصة فرنسا التي بدأت تعد العدة في فرض حمايتها على البلاد، أما الدولة العثمانية فقد أحست أن وجودها في تونس أصبح في خطر ، وأنـــها لا تستطع الإبقاء عليه نظراً لوجود الأطماع الاستعمارية القوية وخاصة من كل من فرنسا وإيطاليا . إن

(١) صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص.١٧٤.

(٢) رسالة من السلطان إلى الصدر الأعظم في ٢٩ جمادى الثانية ١٢٩٥هـ (٣٠ يونيو ١٨٧٨ م) إدارة داخلية رقم الوثيقة ٦٢٣٦٨ ، الأرشيف العثماني .

(٣) صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص.١٧٥ .

تلك الفترة وصفت في الكثير من الرسائل المتبادلة بين حسين باشا * وبين خير الدين والتي كانت ترصد الوضع في كل من الآستانة وتونس . ففي إحدى الرسائل أشار حسين إلى الوضع في الآستانة والضغوط الروسية على الحكومة العثمانية وحذر من التدخلات الفرنسية في تونس ومن سياسة الباي غير الحكيمة حيث قال "... وقنصل الفرنسيس رجع إلى بلادنا ، وبرجوعه تشتد وطأة فرنسا لا شك ،والسكان غنم بلا راعي... فلا شك أن المسلمين ينتعشون في سائر الأقطار ، والأيالة التونسية تعيش أو تموت ، حفظكم الله...فنحن اليوم لا نرضى إلا بإحدى الحالتين: أما حي يرجى أو ميت يرحم،ولا نرضى أن تكون الرعية في عداد الأموات ، والأمير وأعوانه منغمسين في زوائد لذاتهم..."[1] إن ذلك الوصف هو تعبير صادق لما وصلت عليه الحالة في تونس من أطماع استعمارية وفساد داخلي وغياب عثماني .

* * *

* لمزيد من المعلومات عن حسين باشا انظر ترجمته في رسائل حسين إلى خير الدين ، جمعها وحققها الدكتورأحمد عبد السلام ، الجزء الأول قرطاج : بيت الحكمة ١٩٩١ م ،ص.ص.١٣-٢٢ .

(١) رسالة من حسين إلى خير الدين في ١٥ ذي الحجة ١٢٩٦هـ (٣٠ نوفمبر ١٨٧٩م) انظر رسائل حسين إلى خير الدين ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ،رص.ص.٥٥-٥٦ .

الخاتمة :

تعرض الوجود العثماني في تونس منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر وحتى سقوط تونس تحت الحماية الفرنسية للكثير من الظروف والتشابكات الداخلية والخارجية التي أضعفته وجعلته يتلاشى سنة بعد أخرى . تلك الظروف منها ما هو خاص بتونس ومنها ما له علاقة بالدولة العثمانية ومنها ما هو مفروض من قوى لها أطماعها الاستعمارية. فتعاون تونس مع فرنسا عند احتلالها الجزائر كان خطأ إستراتيجياً مهد لتداعيات عسكرية وسياسية واقتصادية أضرت بتونس على المدى البعيد وأضعف الوجود العثماني الذي كان يشكل هيبة لدول المغرب العربي التي كانت تدور في فلك الدولة العثمانية . وعندما أدركت الحكومة التونسية خطأ سياستها حاولت انتهاج سياسة التوازن بين القوى الكبرى التي ظهرت مجدية في بداية الأمر ولكن التطورات الدولية أثبتت عدم جدواها بسبب اختلاف ميزان القوى بين الدولة العثمانية وبين الدول الأوروبية . وعندما أرادت الحكومة التونسية الحفاظ على ارتباطها بالدولة العثمانية والمحافظة على الوجود العثماني فيها ظهر واضحاً لها أن الزمن تغير والأحوال تبدلت ، فالدولة العثمانية كانت تعاني من أمراض وعلل عديدة والتواجد العثماني كان لا يمثل أهمية في حفاظ تونس على استقلالها.

أما ما له علاقة بالدولة العثمانية فيتركز في سياسة الباب العالي في التعامل مع تونس بعد الغزو الفرنسي للجزائر حيث حاولت إعادة نفوذها المباشر على تونس كما فعلت في طرابلس ، وبتلك السياسة خلقت فجوة بينها وبين البايات دفعتهم إلى التعاون مع فرنسا . وإلى جانب تلك السياسة التي أضعفت الوجود العثماني في تونس كان للحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد قوى أوروبية كحرب القرم ونزاعها مع روسيا الأثر الكبير في إشغال الباب العالي عن تونس ، وعلى الرغم من التعاطف الذي

أبدته الحكومة التونسية مع الدولة العثمانية في تلك الأزمات إلا أن الدولة العثمانية كانت غير قادرة على الحفاظ على وجودها في مناطق تعتبرها أكثر حيوية من تونس.

وكان للقوى الاستعمارية الدور الرئيس في إضعاف الوجود العثماني ، فالسياسة الفرنسية كانت تهدف إلى إخراج تونس من دائرة الارتباط العثماني بل إنها ذهبت إلى أبعد من ذلك عندما شجع القناصل الفرنسيون بايات تونس على الاستقلال عن الدولة العثمانية لكي يقوموا بتنفيذ مخططات بلادهم الاستعمارية. وجاء التنافس الأوروبي على تونس مرحلة متقدمة في إضعاف الوجود العثماني في تونس إذ أصبحت المصالح الاقتصادية تهدد ليس الوجود العثماني بل استقلالية تونس. وبالفعل وصل ذلك التنافس إلى توريط الحكومة التونسية في اتخاذ قرارات قانونية واقتصادية أوصلت البلاد إلى مرحلة من الفوضى والإفلاس . وفي المرحلة التي سبقت الحماية أصبح الوجود العثماني يكاد يكون صورياً، وإذا وجد بشكل محدود فإنه لا يملك الفعالية في الوقوف أمام الأطماع الفرنسية.

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

أولاً : الوثائق غير المنشورة

١) الأرشيف العثماني

١- اعتمد الباحث على العديد من الوثائق غير المنشورة والتي قام بجمعها من الأرشيف العثماني بإستنابول والتي تحصل عليها من مجموعات الإدارة الداخلية و الإدارة الخارجية والمجلس المخصوص.

٢) الأرشيف التونسي :

١- جميع الوثائق المجموعة من الأرشيف التونسي من الملفات التي تندرج تحت عنوان السلسلة التاريخية والتي تحوي الكثير عن علاقات تونس الخارجية .

ثانياً : الوثائق المنشورة :

١- الأستاذ الدكتور أحمد عبد السلام والتي بعنوان (**رسائل حسين إلى خير الدين**) وهي منشورة في ثلاثة أجزاء من منشورات قرطاج : بيت الحكمة .

ثالثاً : الكتب العربية :

١- أنيس، محمد.**الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤- ١٩١٤**م. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.د.ت..

٢- بلغيث، الشيباني.**النظام القضائي في البلاد التونسية من سنة ١٨٥٧ إلى سنة ١٩٢١**م. صفاقس : مكتبة علاء الدين د.ت.

٣- ابن أبي الضياف ،أحمد .**إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**. تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية :الدار العربية للكتاب، ١٩٩٩م.

٤- تشايجي، عبد الرحمن .**المسألة التونسية والسياسة العثمانية ١٨٨١-١٩١٣**م. ترجمة عبدالجليل التميمي. تونس: دار الكتب الشرقية، ١٩٧٣م .

٥- ثامر، الحبيب .**هذه تونس**. بيروت: دار الغرب الإسلامي.١٩٨٨م.

٦- الجمل ،شوقي عطا الله .**المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي حتى الوقت الحاضر (ليبيا- تونس – الجزائر- المغرب الأقصى**.القاهرة: المكتب المصري ، ١٩٩٧م.

٧- حسون ،علي. **الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية**.دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م.

٨- الرشيدي ، سالم.**محمد الفاتح**.بيروت : دار العلم للملايين.١٩٦٩م.

٩- روسي، إتوري ، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م** ،تعريب خليفة محمد التليسي ، بيروت: دار الثقافة ١٩٧٤م.

١٠- سامح ،عزيز ،**الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، ترجمة محمود علي عامر، بيروت : دار النهضة العربية، ١٩٨٩م .

١١- سلامة ،ب. .**ثورة بن غذاهم** .تونس : الدار التونسية للنشر ١٩٦٧ م، .

١٢- الطويل، محمد سعيد ، **البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي ١٧٩٥-١٨٣٢** بنغازي : دار الكتب الوطنية ٢٠٠١م

١٣- عبيد ،منير.**دور وكلاء وقناصل الأيالة التونسية بإستنبول وطرابلس ومالطة على ضوء رسائلهم ١٨٣٠- ١٨٨١م** رسالة دكتوراة ، جامعة تونس

١٤- عزت ،أحمد .**دراسات في تاريخ العرب الحديث**.بيروت: دار النهضة العربية الحديثة. ١٩٧٠م.

١٥- العقاد ،صلاح.**المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر.تونس .المغرب الأقصى)**. القاهرة: مكتبةالأنجلو المصرية.١٩٩٣م.

١٦- كريكن ،ج.س. فان. **خير الدين والبلاد التونسية**. ترجمة البشير بن سلامة، تونس : دار سحنون ١٩٨٨م .

١٧- كوران ،ارجمند.**السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**. نقله عن التركية د. عبدالجليل التميمي، تونس ١٩٧٤ .- ٣٨.

رابعاً : الكتب الإنجليزية :

1- Magali Morsy, North Africa 1800_1900: A Survey From The Nile Valley To The Atlantic, London and New york :Longman ,1984, P.71.

2- Nigola A. Ziadeh. Origins Of Nationalism In Tunisia. Beirut: Librairie Du Liban .PP.12_13.

3- Philip Curtin and others .African History. Boston Little Brown ,1978, p.p.343-344.

خامساً: المقالات :

١- بن بلغيث، الشيباني." إصلاحات المشير أحمد باشا باي العسكرية ١٨٣٧ -١٨٥٥م" **المجلة التاريخية المغربية**، العدد٦٥ ،٦٦ أوت ١٩٩٢م.

٢- بو عزيز" يحيى " موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر" **الأصالة**،العدد٢٣ جانفي فيفري ١٩٧٥م .

٣- التميمي ،عبد الجليل ، مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة ١٨٣١م، **المجلة التاريخية المغربية** ،العدد، ٥ (يناير ١٩٧٦م) .

٤- التميمي ،عبدالجليل ، مسألة إلحاق طرابلس الغرب إلى تونس سنة ١٨٣٤م ، **المجلة التاريخية المغربية**،عدد ٤ (١٩٧٥م) .

٥- السعود ،عبد العزيز.حول التواجد العثماني بالمغرب .**المجلة التاريخية المغربية** .العدد٦٣ - ٦٤. جويلية١٩٩١م .

* * *

بعض التغيرات البنيوية للأسرة السعودية :دراسة ميدانية لعينة من الأسر في محافظة الخرج بمنطقة الرياض

د. عبدالعزيز بن علي الغريب
قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث :

سعت هذه الدراسة لتحقيق مجموعة من الأهداف منها، التعرف على خصائص النمط الأسري الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية، ومن حيث حجم الأسرة ونوعها. إضافة إلى التعرف على العوامل المؤثرة على الأسرة، وتحديد صور التغير الأسري والمشكلات الأسرية. وقد طبقت الدراسة باستخدام منهج المسح الاجتماعي، على عينة بلغت (٣٠٤) أسر من أسر سعودية في محافظة الخرج بمنطقة الرياض. وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج ، من أهمها، اختلاف الوظائف التي يعمل بها أرباب الأسر، وأن ما يقرب من نصف العينة هم ممن يحملون المؤهل الجامعي. وأن ما يقرب من نصف العينة دخلهم الشهري متوسط. وأن أكثر من نصف العينة يقيمون في محافظة حضرية. ومن نتائج النظام الزواجي، توصلت الدراسة إلى أن غالبية الأسر مكونة من زوجة واحدة، وأن أكثر من النصف كانت طبيعة زواجهم داخلي قرابي. وأن غالبية عينة الدراسة يفضلون زواج أبنائهم من أقاربهم. وأن غالبية العينة يويدون ترك الحرية للأولاد الذكور. بينما أكثر من نصف العينة تؤيد ترك الحرية للبنات لاختيار زوجها.

مشكلة الدراسة وأهميتها:

شهد المجتمع السعودي تغيرات سريعة ومتلاحقة منذ فترة التسعينيات الهجرية من القرن الماضي، وذلك نتيجة عوامل وظروف سياسية واجتماعية واقتصادية وتقنية. ومن أهم مظاهر هذا التغير ذلك الذي حدث في بنية الأسرة ووظائفها مما ترك آثاراً عميقة في مؤسسات المجتمع كلها. ويأتي على رأس هذه التغيرات تحول الأسرة من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية. والمجتمع السعودي هنا جزء من العالم الذي شهد قدراً كبيراً من التغير الاجتماعي Social change نتيجة لعدد من العوامل التي أدّت إلى زيادة سرعته عن ذي قبل مثل: الاتصال السريع والتقدم العلمي والتقني وسهولة التزاوج بين الثقافات ونمو الوعي ...إلخ. ومن أهم ملامح التغير الاجتماعي:

١- تغيّر بعض مظاهر السلوك، فأصبح مقبولا بعض ما كان مرفوضاً من قبل، وأصبح مرفوضاً ما كان مقبولا من قبل.

٢- إدراك أهمية التعليم في تحقيق الارتفاع على السلم الاجتماعي - الاقتصادي.

٣- التوسع في تعليم المرأة وخروجها إلى العمل.

٤- زيادة ارتفاع مستوى الطموح، وزيادة الضغوط الاجتماعية للحراك الاجتماعي الرأسي إلى أعلى.

٥- وضوح الصراع بين الأجيال وزيادة الفروق في القيم والفروق الثقافية والفكرية وخصوصاً بين الكبار والشباب حتى ليكاد التغير الاجتماعي السريع يجعل كلاً من الفريقين يعيش في عالم مختلف.

وتقدم الدراسات الحديثة في المجالات الاجتماعية والنفسية والتربوية الأدلة العلمية التي تدعم أهمية دور الأسرة؛ بوصفها من أهم العوامل التي تحدد مستوى فاعلية الفرد في الحياة، وأن مستوى تكيف الأفراد ونموهم يتأثر بالعوامل الأسرية، وخصوصاً: المستوى الاقتصادي للأسرة، وأنماط التنشئة، واتجاهات الآباء وقيمهم، والسمات الشخصية للآباء، والعلاقة الزوجية، والاستقرار والترابط الأسري، وحجم الأسرة، ودخلها، والخلفية الثقافية للأسرة. وعلى الرغم من أن معنى الأسرة قد تغير تماماً في بعض المجتمعات، فإن كل المجتمعات البشرية تدرك وتدعم هيمنة الأسرة على صعيد تنشئة الطفل وحمايته. إذ أن الأسرة صاحبة الدور الأول والأهم في تشكيل شخصية الفرد وسلوكه وكفايته، فالبيئة الأسرية تؤثر في تحديد ملامح النمو اللغوي للأبناء[1].

وبالتالي يختلف النظام الأسري في المجتمعات المختلفة حسب تقدّم المجتمع وثقافته ودينه. ويظهر هذا الاختلاف في نواحٍ عدّة مثل نظام العلاقات الاجتماعية في الأسرة ونظام التنشئة الاجتماعية وغيرها. والتي أكدت عليه كثير من الدراسات الاجتماعية المقارنة بين المجتمعات الغربية، ومقارنة النظام الأسري، في المدينة والقرية والبادية...وهكذا. فالحياة الحضرية وما صاحبها من تطور في مهام الإنسان والضغوط المحيطة به، والتي أدت إلى خروج المرأة للعمل، وإعطاء عملها خارج المنزل أولوية على عملها داخله، وما يتبع ذلك من ميل إلى الفردية وعدم الإحساس بالمسؤولية، كل ذلك أدى – في بداية الأمر- إلى انخفاض عدد أفراد

(١) الخطيب، جمال (١٩٩٦). مدخل حول المسؤولية الأسرية في تربية الأبناء ورعايتهم. البحرين: المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ص ٢٢- ٢٧.

الأسرة، وفي مرحلة تالية أدى إلى ضعف الاهتمام بالرغبة في تكوين أسرة أو الانتماء إليها.[1] وهذا كله دعا المجتمع إلى وضع سياسة للرعاية الاجتماعية للقيام بواجبها اتجاه الأسرة، وما نشاهده من تعدد التشريعات والمؤسسات بمختلف مهماتها إلا دليل على حرص المجتمع على الأسرة، . فقد نصت سياسات الرعاية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية على أهمية المحافظة على مستوى أداء الأسرة. حيث نجد أن الهدف الإستراتيجي الأساس لهذه السياسات هو مساعدة الأسرة على أداء وظائفها وعدم تقديم الرعاية المؤسسية كبديل للأسر إلا عند الضرورة القصوى.

ومن هنا تبرز أهمية الدراسة في أنها تتماشى مع التوجه الحكومي حالياً في إنشاء مجلس أعلى للأسرة السعودية، يكون بمثابة المرجعية العليا في رسم الإستراتيجية، ووضع الخطط الخاصة برعاية الأسرة السعودية اجتماعياً واقتصادياً، يضم في عضويته مختلف القطاعات ذات العلاقة برعاية شؤون الأسرة.

كما تأتي مثل هذه الدراسة استكمالاً لعدد من الدراسات التي طبقت في عدد من المجتمعات الريفية السعودية، وتناولت قضايا التغيرات البنيوية للأسرة السعودية في بعض المدن والمناطق، وإن اختلفت عنها في الزمان ومكان التطبيق، ومنها دراسة قريطم (١٩٨١)، ودراسة باقادر (١٩٨٤)، ودراسة الغامدي (١٩٨٩). وبالتالي تبرز أهمية الدراسة في أهمية الأسرة ذاتها كمؤسسة رئيسة للتنشئة الاجتماعية، والتي لا زالت بحاجة للكثير من الدراسات والبحوث

(١) إسماعيل ، سيد (١٩٩٤) . الأسرة في القرن الحادي والعشرين . في كتاب (دعم دور الأسرة في مجتمع متغير) ، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، المكتب التنفيذي لمجلس وزارة الشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، البحرين، ص ١٧٧.

خصوصاً في ظل التحولات التي يعيشها مجتمع الدراسة. كما تبرز أهمية الدراسة في مجال تطبيقها على مجتمع متحول في المجتمع السعودي لا زال يضم عدد من الأنماط المجتمعية، خصوصاً وأن أغلب الدراسات التي طبقت على التركيب البنيوي للأسرة السعودية تركز على المجتمعات الحضرية وفي المدن الكبرى على وجه التحديد. وبالتالي ففي مثل هذه الدراسة إثراء لعلم الاجتماع الأسري وتطبيقاته في المجتمع السعودي.

أهداف الدراسة وتساؤلاتها:

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على بعض العوامل المؤثرة في التركيب البنيوي للأسرة في المجتمع السعودي تطبيقاً على عينة من أرباب الأسر بمحافظة الخرج بمنطقة الرياض في ضوء التغيرات المعاصرة التي تعيشها الأسرة السعودية. وتحقيق هذا الهدف سيتم من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

س١- ما خصائص النمط الأسري الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية ومن حيث حجم الأسرة ونوعها؟

س٢- ما التغيرات المعاصرة التي تعرض لها النظام الزواجي في الأسرة في محافظة الخرج ؟

س٣- ما أهم العوامل المؤثرة على الأسرة في محافظة الخرج ؟

س٤- ما صور التغير الأسري الواضحة في الأسرة في محافظة الخرج ؟

س٥- ما المشكلات التي تعاني منها الأسرة في محافظة الخرج؟

س٦- ما الوظائف المتبقية للأسرة في محافظة الخرج وفق رؤية عينة الدراسة؟

س٧ – ما النمط الأسري المفضل لدى عينة الدراسة؟

الإطار النظري والدراسات السابقة:

١- الاتجاهات النظرية لدراسة الأسرة :

اختلفت المداخل النظرية لدراسة الأسرة، ولسنا بصدد استعراض لتلك المداخل النظرية، وسنكتفي بذكر ما له علاقة بدراستنا[١]. فقد استعرض زايد (١٩٩٣) مجمل الاتجاهات النظرية لدراسة الأسرة، وأشار لاختلافها بين مدرسة وأخرى، حيث حدد هيل وهانسن خمسة مداخل لدراسة الأسرة هي: المدخل البنائي الوظيفي، المدخل التفاعلي، المدخل الموقفي، المدخل النظامي، المدخل التطوري. كما دمج برودريك هذه المداخل في ثلاثة فقط هي: المدخل البنائي الوظيفي، والمدخل التفاعلي، والمدخل التطوري. أما ماروس أشلمان فقد حدد خمسة مداخل بمسميات مختلفة، وهي: البنائية الوظيفية، ومدخل الصراع، والتفاعلية الرمزية، ونظرية التبادل، والنظرية التطورية. ونلحظ تأثر تلك المداخل بالاتجاهات الفكرية للنظرية الاجتماعية في علم الاجتماع، أو بمعنى آخر توظيف النظريات العلمية لعلم الاجتماع في دراسة الأسرة[٢]. وفي دراستنا نرى مناسبة المدخل النسقي والنظرية التبادلية، حيث نجد أن المدخل النسقي القائم على أفكار تالكوت بارسونز يرى أن أسرة نسق يتكون من وحدات متفاعلة، ينتمي إلى بيئة أوسع تندرج في مستوياتها، فتبدأ بالدوائر القرابية وتتسع إلى الدوائر المهنية

---

(١) للمزيد عن الاتجاهات النظرية للأسرة ارجع إلى: حسن، محمود (١٩٨٢). الاسرة ومشكلاتها. بيروت: دار النهضة العربية - شكري، علياء (١٩٨٥). الاتجاهات المعاصرة في دراسات الأسرة. القاهرة: دارالمعارف.

(٢) زايد، أحمد (١٩٩٣). المداخل النظرية لدراسة الأسرة. في كتاب (الأسرة في الجزيرة العربية)، الرياض: جامعة الملك سعود، مركز بحوث كلية الآداب، ص٦.

والاقتصادية والاجتماعية الأوسع. ويختلف الباحثون في تحديد الوحدة الأساسية لنسق الأسرة. وينحصر الخلاف في اتجاهين: الأول يعتبر أن كل عضو في الأسرة هو وحدة التحليل النسق، مع الأخذ في الاعتبار التغاير المستمر في هذه العضوية بسبب خروج الأعضاء(بالزواج أو الهجرة، أو الطلاق، أو السفر)، وانضمام أعضاء جدد (بالولادة، أو الزيارة، أو النسب). والاتجاه الثاني يميل إلى تحديد استاتيكي لنسق الأسرة. فيعتبر أن نسق الأسرة يتكون من مجموعة من الأدوار المحددة معيارياً مع الأخذ بعين الاعتبار إمكانية التداخل أو التبادل بين الأدوار. ويختلف تحديد الأدوار باختلاف تحديد نقطة التركيز في الدراسة. ويؤدي نسق الأسرة وظائفه لأعضائه من جهة، ولبيئته من جهة أخرى. فهو يسهم في التنشئة الاجتماعية لأعضائه وتقديم الحماية والعاطفة لهم، أما من حيث بيئته فهو يدعم أفراده بقيم الالتزام، ومن ثم تصبح الأسرة هي المعمل الرئيس لإنتاج قوة العمل الملتزمة [1].

أما النظرية التبادلية[2] فترى أن الأسرة مجموعة من الفاعلين يعيشون حياة مشتركة لأنها تحقق لهم أعلى درجة من الفائدة وأقل درجة من الخسارة، وتنهض التبادلية في الأسرة على جوانب معنوية أكثر منها جوانب مادية، كما أنها تخضع لمبادئ التبادلية المعممة، بحيث يدرك كل طرف داخل الأسرة الفائدة التبادلية، إلا أنه في الوقت نفسه يدرك أهمية وجود الآخر ويتصرف في تجاهه في ضوء المعايير العامة، ومن ثم يفهم هذا التفاعل بأنه تفاعل لا يخلو من تبادل منافع، وحساب

(١) الخولي، سناء (١٩٨٤). الأسرة والحياة العائلية. بيروت: دار النهضة العربية، ص٥٣.

(٢) زايد، أحمد (١٩٩٣). مرجع سابق، ص٢١- ٢٦.

التكلفة والعائد، ومقارنة بين البدائل التي تدفع كل طرف إلى اختيار نمط السلوك الذي يسير فيه.

٢- الدراسات السابقة:

لم يبرز تأثير التغيرات الاجتماعية بشكل واضح على أي مؤسسة اجتماعية أكثر من بروز تأثيره على الأسرة، حيث أصبحت الأسرة في ظل حياتها اليومية تعاني من مشكلات حياتية أعاقتها في كثير من الأحوال عن ممارسة الحياة اليومية بشكل طبيعي. وقد أدت عمليات التحول الإنمائي للمجتمع إلى تغيرات اجتماعية عديدة، فلقد جلبت المدنية والتحضر والتطور الصناعي المزيد من التغيرات الاجتماعية، والتي أثرت على نوعية وقوة الترابط والتعاطف الأسرى الذي كان يتميز به المجتمع التقليدي لأسباب عدة من أهمها:

أ- ما طرأ على المجتمع من تغير نتيجة الاتجاه نحو التحول من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي، وهجرة أهل الريف إلى المدن، سعياً وراء الأجور المرتفعة، وتأثير ذلك على تفكك نظام الأسرة الممتدة، وكثرة العدد، وضعف سلطه رؤساء الأسر التقليديين.

ب- انتشار التعليم، وعلى الأخص تعليم المرأة التي تركت الحياة المنزلية وخرجت إلى العمل وشعرت بكيانها الاقتصادي بعد أن أصبحت تتقاضى أجراً مساوياً لأجر الرجل، وبذلك ظهرت مشكله المرأة العاملة.

ت- الصراع بين الآباء والأبناء لتمسك الآباء بالعادات والتقاليد القديمة ومقاومة الأبناء لهذا الاتجاه، وزيادة الاختلاف والتباعد بين أعضاء الأسرة الكبيرة، وهو ما نطلق عليه صراع الأجيال.

ث- حجم المسكن الذي أصبح لا يسمح باستيعاب أفراد الأسرة الزوجية مما أدى إلى انتقال الأسر الزوجية إلى مسكن مستقل خاص ، قد يكون بعيداً عن الحي الذي تقطنه الأسرة الأصلية.

وتكشف الدراسات التي ناقشت مجمل التغيرات الأسرية عن أشكال تلك التغيرات[1] والتي جاء من أبرزها :

١- انتشار النمط النووي للأسرة: فقد كانت الأجواء الأسرية في الأسرة الممتدة قادرة على استيعاب مختلف أعضائها في إطارها ، عما عجزت عنه الأسرة النووية في المجتمع الحديث ، التي لا يمتد نطاقها إلا لحدود الأبناء مع والديهم فقط ، ويكون من الصعب عليهم إضافة أعضاء جدد كآباء الآباء أو أمهاتهم.

٢- اختلاف أشكال العلاقات بين الأجيال تبعاً لانتشار هذا النمط ، مما جعل التواصل غير ممكن فيما بينهم ، كما كان ذلك ممكناً في النمط الممتد للأسرة.

٣- ميل الأبناء للعيش بعيداً عن أهاليهم ، وذلك سعياً للاستقلالية ، والتمتع بحرية بعيداً عن تدخل الوالدين .

٤- تنامي ظاهرة التحاق النساء بالوظائف والأعمال.

٥- الهجرة الريفية إلى المدن المتمثل بهجرة الشباب.

---

(١) للمزيد عن التغير الأسري في المجتمع العربي انظر: النجار ، سليمان (١٩٩٩). سوسيولوجيا المجتمع في الخليج العربي. بيروت: دار الكنوز الأردنية. - الساعاتي ، حسن (١٩٨٩). الإطار الاجتماعي للمجتمع العربي. في كتاب (المجتمع العربي) تحرير إحسان عباس ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، ص٣٨٧- ٤٤١.

٦- كثرة الأعباء الأسرية اليومية.

٧- تزايد الإنفاق الأسري وإعطائه الأولوية ، نظراً لتزايد المتطلبات ومحدودية الموارد بالأسرة.

٨- اتساع المساحة النفسية والاجتماعية بين الأجيال، مما يترتب عليه اتجاهات الرفض من قبل الشباب للكبار، واتجاهات السخط من قبل الكبار على الشباب.

كما تبين من مراجعة التراث النظري للأسرة العربية إلى أنه قد توصلت عدد من الدراسات منذ أكثر من عشرين عاماً إلى تأثير التغير الاجتماعي على الأسرة العربية. فقد أشار الثاقب (١٩٨٦)[١] إلى أن تأثير التغير الاجتماعي وما يضمه من تصنيع وحضرية ؛ على النسق العائلي كبير جد شمل تغير نمط العائلة، وتفكك الروابط بين العائلة وشبكة الأقارب، وتخلي العائلة عن معظم وظائفها، واختفاء كثير من العادات والتقاليد وظهور قيم جديد احتلت مكانها. كما أشارت دراسة عثمان (١٩٨٦)[٢] إلى أن هناك تغيرات اجتماعية واقتصادية للأسرة الأردنية من أبرزها تغيرات في معدلات الخصوبة وحجم الأسرة وزيادة فرص تعليم المرأة ومجالاتها ومكانتها في المجتمع. وكذلك دراسة العيسي (١٩٨٢)[٣] التي أكدت على وجود تحولات في البناء الأسري للمجتمع القطري بشكل خاص جراء التعليم

(١) الثاقب ، فهد (١٩٨٦). التحضر وأثره على البناء العائلي . مجلة العلوم الاجتماعية، العدد (٤)، جامعة الكويت، ص ٢١٠.

(٢) عثمان، إبراهيم (١٩٨٦). التغيرات في الأسرة الحضرية. مجلة العلوم الاجتماعية، العدد (٣)، جامعة الكويت، ص ١٧٤.

(٣) العيسى، جهينة (١٩٨٢). المجتمع القطري. القاهرة: مطابع سجل العرب، ص٢١٣- ٢٢١.

والحضرية، وانتشار وسائل الاتصال مما أثر في تكوين المجتمع القطري وخصوصاً تغير شبكة الأدوار الاجتماعية وأهمها الأدوار الأسرية وتغير حجم الأسرة واستقلالها اقتصادياً وتغير أساليب التنشئة الاجتماعية الوالدية نتيجة التعليم وتنوع مصادر القيم الثقافية وما صاحبه من مشكلات اجتماعية. وأيضاً تبين من دراسة جلبي وآخرين (١٩٩٥)[١] من وجود تغيرات اجتماعية هامة في الأسرة الإماراتية جراء العملية الانتقالية التي عاشها مجتمع الإمارات مما خلق مشكلات عدة ناجمة عن تلك التغيرات سواء في بنية الأسرة أو وظائفها.

ومن خلال تحليل نتائج عدد من الدراسات السابقة اتضح وجود تغيرات كبيرة حدثت في نسق الأسرة، مما أثر عليها كوحدة واحدة، سواء في حجمها، أو في وظائفها، وتغيرات تعرض لها أفرادها كوحدات فرعية داخل النسق. لذلك سيتم مناقشة تلك التغيرات في جانبين رئيسيين هما النمط الأسري، ووظيفة الأسرة، بحيث سنعرض لهما كل على حدة مع اتفاقنا على التداخل فيما بينها، وهي كما يلي:

١- التغير في نمط وحجم الأسرة:

لقد عرف المجتمع العربي وما زال في كثير من المناطق ما يسمى بالأسرة الممتدة، وهي عبارة عن أسرة كبيرة العدد ذات فروع يترأسها الجد، وهذه الأسرة الكبيرة تدخل ضمن نظام عائلة أكبر. والعائلة تشكل العشيرة، ومجموعة العشائر تشكل القبيلة. وكان نظام القرابة هذا يشكل الإطار المركزي لحياة الفرد، وكانت مستويات القرابة تتكامل في توجيه سلوك الفرد، مما كان يتيح فرصة متدنية

(١) جلبي، علي وآخرون (١٩٩٥). دراسات في علم الاجتماع العائلي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص٢٩٣- ٣٢٢.

للخروج عن الجماعة. إلا أن التحولات التي حدثت لمعظم المجتمعات العربية، والتي منها الهجرات الداخلية والخارجية لبعضها، والاعتماد على العمالة الوافدة لدى البعض الآخر، أدى كل ذلك إلى تقلص حجم الأسرة إلى حد كبير، وتحول كثير من الأسر من أسرة ممتدة تتكون من الأب والأم والأبناء وزوجاتهم وأبنائهم والجد والجدة إلى أسرة نووية تتكون من الزوج وزوجته وأبنائه، لملائمة هذا الشكل لطبيعة الوضع الاقتصادي والتطورات الحضرية، وأصبح للفرد وظيفة ودخل، أديا به إلى أن يستقل إلى حد كبير عن العائلة وعشيرته، وأصبح تبعاً لذلك يستمد مكانته الاجتماعية من خلال وظيفته أو مهنته، وليس من خلال أسرته الممتدة. فاستقلال الفرد عن أسرته الكبيرة جعل له مسكنه الخاص وحقق له استقلاله الاقتصادي. ولقد أدت عدة عوامل وظروف اقتصادية وسياسية واجتماعية إلى تغيرات عميقة في بنية الأسرة ووظائفها. نتيجة للتعليم والتحضر وقيام الدولة ببسط سلطاتها وتقديم خدمات اقتصادية واجتماعية وصحية وتعليمية، بهدف دمج المواطن وربطه بها.

ولخص الزعل (٢٠٠١)[١] بعض الدراسات التي تعرضت لحجم الأسرة العربية ووجد أن متوسط حجم الأسرة على الرغم من كبره النسبي إلا أنه بدأ يتناقص تدريجياً وبتنوع من قطر عربي إلى آخر (من ٥.٦ إلى ٨) فرداً. وكذلك أشار الشطي (١٩٩٨)[٢] إلى أن المجتمع الكويتي كنموذج لمجتمعات الخليج العربية، يميل أفراده للتقليل قدر الإمكان من عدد الأطفال مع تزايد في توجهات

(١) الزعل، علي (٢٠٠١). التغير في الخصائص الاقتصادية للأسرة الأردنية. مجلة أبحاث اليرموك، العدد (٢)، جامعة اليرموك، الأردن، ص ٣٩٨.

(٢) الشطي، عدنان (١٩٩٨). الاتجاه نحو بعض وظائف الأسرة الكويتية. حوليات كلية الآداب، الحولية (١٨)، جامعة الكويت، الكويت، ص٥٠- ٥٢.

أفراد المجتمع إلى تحديد النسل، خصوصاً في ظل التأييد المطلق لاستقلالية الزوج والزوجة وأطفالها في مسكن مستقل عن سائر أفراد أسرتيهما.

وفي حقيقة الأمر فقد جاءت معظم الدراسات، التي تناولت موضوع الأسرة في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية وبعض المجتمعات العربية؛ لتؤكد أن التحولات الاقتصادية والسياسية التي خضعت لها المنطقة منذ اكتشاف النفط، قد قادت إلى تغيرات مختلفة في شكل ومضمون الأسرة الخليجية الممتدة، وساهمت في بروز الأسرة النووية الصغيرة المستقلة من حيث المسكن والمصدر الاقتصادي عن أسرها الكبيرة. وأكدت هذه الدراسات أن الأسرة النووية قد تزايد وجودها في أوساط الجماعات المدنية المتعلمة، في حين أنها تقل في الأوساط الريفية والبدوية وغير المتعلمة. فهناك عدد من الدراسات في كثير من المجتمعات العربية التي توصلت إلى حدوث تغير في التركيب البنيوي للأسرة، ومن تلك الدراسات ما أشارت إليه، دراسة الثاقب (١٩٧٦)[١] في دراسة للأسرة في المجتمع الكويتي، ودراسة عثمان (١٩٨٦)[٢] للأسرة الحضرية في المجتمع الأردني، ودراسة عجوبة (١٩٨٦)[٣] في دراسته للأسرة الريفية في السودان، ودراسة القيسي والعموش (١٩٩٦)[٤] في دراستهما للأسرة في القرية الأردنية، والتي توصلت إلى أن ما نسبته (٨٩,٣٪) من الأسر جنوب الأردن من الأسر النووية، ودراسة الغانم

(١) الثاقب، فهد (١٩٧٦). حول حجم وبنية الأسرة العربية والكويتية. مجلة العلوم الاجتماعية، العدد (١)، جامعة الكويت.

(٢) عثمان، إبراهيم (١٩٨٦). مرجع سابق، ص ١٥٣- ١٧٧.

(٣) عجوبة، مختار (١٩٨٦). التغيرات البنيوية في المجتمعات المستحدثة: دراسة لأحد مشروعات التنمية في السودان. مجلة كلية الآداب، العدد (١)، جامعة الملك سعود، الرياض، ص٢٩٩- ٣٢٢

(٤) القيسي، سليم، والعموش، أحمد (١٩٩٦). الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن. مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (١٠)، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، ص٢٥- ٧٢.

(١٩٩٨)[١] عن التغير الأسري للأسرة القطري، ودراسة مسلم (١٩٩٨)[٢] عن بنية الأسرة السورية، ودراسة الكسادي (١٩٩٧)[٣] عن مظاهر تغير الأسرة الحضرية في اليمن، ودراسة أحمد (١٩٨٩)[٤] عن أثر التنمية على الأسرة الإماراتية، ودراسة الطويل (٢٠٠٥)[٥] حول التغير الاجتماعي لبعض خصائص الأسرة في قريتين ريفيتين في الأردن، والتي جميعها اتفقت على التحول الذي شهده التركيب البنيوي للأسرة.

أما في المجتمع السعودي فمن الدراسات التي ناقشت حجم ونمط الأسرة دراسة قريطم (١٩٨١)[٦] التي تعد من أوائل الدراسات الخاصة بالنسق الأسري في المجتمع السعودي ، والتي توصلت إلى أن الأسرة النووية تشكل (٧٦٪) من الأسر عينة الدراسة. وهذا بلا شك وسع من مجال العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع، فلم تعد العلاقات الاجتماعية قائمة على الدائرة القرابية فقط، بل تعدت ذلك لتشمل علاقات زملاء العمل، ومجتمع الجيرة.

---

(١) الغانم، كلثم (١٩٩٨). التحولات الاجتماعية ومظاهر التحول في المجتمع القطري. مجلة كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد (٢١)، جامعة قطر، دولة قطر، ص٢٧١- ٢٨٩.

(٢) مسلم، عدنان (١٩٩٨). أثر التصنيع على بنية الأسرة السورية. مجلة شؤون اجتماعية، العدد (٥٩)، جمعية الاجتماعيين، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص ٧٩- ١٠٦.

(٣) الكسادي، عادل (١٩٩٧). مظاهر تغير الأسرة الحضرية في مدينة المكلا – اليمن. مجلة شؤون اجتماعية، العدد (٥٣)، جمعية الأجتماعيين، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص٤٧- ٨٢.

(٤) أحمد، صبيح (١٩٨٩). أثر التنمية على الأسرة المتعلمة في الإمارات. مجلة كلية الآداب، العدد (٥)، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ص١٩٣- ٢٥٦.

(٥) الطويل، هاشم (٢٠٠٥). التغير الاجتماعي لبعض خصائص الأسر في الريف الأردني. مجلة جامعة الملك خالد، العدد (٤)، جامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية، ص١- ٢٨.

(٦) قريطم، عبدالهادي (١٩٨١). الأسر السعودية: الدور والتغير وأثرها في اتخاذ القرارات. جده: جامعة الملك عبدالعزيز، مركز البحوث والتنمية.

وفي دراسة الجوير (١٩٩٥)[١] اتضح أن الأسرة تغيرت من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية حيث بلغت نسبة الأسرة النووية (٦٨,٣٢٪) من حجم العينة، كما حدث تغير في وظائفها الاقتصادية والتربوية والثقافية، إضافة إلى تغير في القيم الأسرية وقيم الزواج وقيم الاستقلالية ونمو النزعة الذاتية والاستهلاكية. كما أشارت دراسة العبيدي (١٩٩٦)[٢] إلى أن حجم الأسرة الممتدة بلغ ما نسبته (٣٩٪)، بينما بلغ حجم الأسرة النووية الضعف تقريباً بما نسبته (٦٩٪). وفي نفس الإطار توصلت دراسة باقادر والخزرجي (١٩٩٤)[٣] من أن تكوين الأسرة السعودية بدأ يتأخر كثيراً نتيجة لبعض التحولات الاجتماعية والثقافية في ظل تكاليف الزواج الباهظة سواء أكانت مصاريف أساسية، أو ثانوية. ومن ثم أصبح هناك اختلاف في المدى العمري للحياة الأسرية، بحيث قل عن المدى العمري الذي اعتاد عليه المجتمع السعودي قبل مراحل الطفرة الاقتصادية والتغيرات الناجمة عنها.

من جانبه أشار الجابري (٢٠٠٢)[٤] إلى تأثر الأسرة بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها المجتمع السعودي، حيث أثر ذلك على نمط وحجم

---

(١) الجوير، إبراهيم (١٩٩٥). الأسرة والمتغيرات التنموية في المملكة العربية السعودية. الرياض: مكتبة العبيكان، ص١٠٤.

(٢) العبيدي، إبراهيم (١٩٩٦). العوامل المرتبطة في نمط الأسرة في مدينة الرياض. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد (٨١)، جامعة الكويت، الكويت، ص٣٣- ٥٩.

(٣) باقادر، أبو بكر، والخزرجي، يحيى (١٩٩٤). تكاليف الزواج في التسعينات. في كتاب (دعم دور الأسرة في مجتمع متغير)، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، المكتب التنفيذي لمجلس وزارة الشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، البحرين، ص ٥٨٥- ٦١٢.

(٤) الجابري، شريقي (٢٠٠٢). التحولات الاجتماعية والاقتصادية وتأثيرها في بعض القيم الاجتماعية في المجتمع السعودي. رسالة دكتوراه منشورة، قسم الاجتماع، جامعة عين شمس، القاهرة، ص١٦٥.

الأسرة حيث جاءت غالبية الأسر عينة الدراسة من الأسر النووية، وكان حجم أغلبها أقل من خمسة أفراد. كما توصل العرياني(١٩٩٤)[١] في دراسته عن قرية سعودية إلى شيوع الأسرة النووية بدل من الأسرة الممتدة وضعف صلاحيات شيخ القبيلة التقليدية فيما يتعلق بفض المنازعات والمشاكل بين أبناء القبيلة ولجوء الناس للشرط والمحاكم الشرعية للفصل في قضاياهم. وعن النمط المفضل لحجم الأسرة أشار باقادر (١٩٨٤)[٢] إلى أن ما نسبته (٥٦٪) من عينة الأسر يفضلن أن يكون عدد الأطفال أربعة أطفال. بينما أشار ما نسبته (٦٦٪) من الأسر أن الحجم الأمثل للأسرة هو ما بين ٢- ٥ أطفال.

إضافة إلى تلك الدراسات الميدانية، فإن بعض الدراسات النظرية التحليلية تناولت بعض مظاهر التغير في حجم الأسرة السعودية. ومن ذلك دراسة عرابي والعمري (٢٠٠٢)[٣] عن التحديث والتغير القيمي والثقافي في المجتمع السعودي، وخصوصاً العلاقة بين التحديث وتغير دور المرأة، وقد أشارا إلى أن التعليم والاستقرار الحضري والعمل ساهم في تغير النسق القيمي المتعلق بقيم الاختيار للزواج والإنجاب ومشاركة المرأة في القرارات الأسرية. ومن أمثلة ذلك زيادة فرص الاختيار للفتاة لأخذ رأيها عند تقدم شاب للزواج منها، وتغير نظرة التمييز بين

(١) العرياني ، محمد (١٩٩٤). التنمية وتغير البناء الاجتماعي في الريف السعودي – دراسة ميدانية عن مجتمع بلعريان القروي. رسالة ماجستير، قسم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، جده.

(٢) باقادر (١٩٨٤). بنية الأسرة العربية. مجلة جامعة الملك عبدا لعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٤)، جامعة الملك عبدالعزيز، جده، ص٢٥٣- ٢٧٤.

(٣) عرابي، عبد القادر، والعمري، عبيد (٢٠٠٢). التحديث والتغير الثقافي والقيمي في المجتمع العربي السعودي. الرياض، جامعة الملك سعود، عمادة البحث العلمي، ص ٤٧.

الذكر والأنثى. كما أنه وفقاً لدراسة العبدالله (١٩٩٩)[١] حول التغير الاجتماعي في المجتمع السعودي أشار إلى تقلص شكل الأسرة من الأسرة الممتدة المركبة التي تشمل (الوالدين وإخوانهم وأبناءهم المتزوجين والأجداد) تحت سقف واحد ؛ إلى الأسرة الممتدة البسيطة التي تشمل (الوالدين وأحد أبنائهما المتزوجين)، وانتشرت الأسرة النووية (التي تشمل الزوج والزوجة وأولادهما فقط).

٢- تغير وظائف الأسرة :

لقد أثبتت الدراسات في مجال الأسرة أن الوظيفة التناسلية والتنشئة الاجتماعية للطفل بعد الولادة مباشرة لا تستطيع أي وحدة اجتماعية بديلة للأسرة للقيام بها. ولا شك أن المجتمعات الإنسانية تختلف فيما بينها في طبيعة وتفاصيل تلك الوظائف مما يترتب على ذلك اختلاف في سمات شخصية أفراد المجتمع الواحد وحتى الأسرة الواحدة[٢]. وليست الأسرة السعودية بمعزل عن الأسر في معظم المجتمعات، فهناك مشكلات أصبحت جزءاً من حياتها اليومية. فقد قلصت الحياة المعاصرة بتطوراتها وتغيراتها المختلفة من دور الأسرة، ودخلت كثير من المؤسسات مثل المدرسة ووسائل الإعلام المختلفة والمرافق الترويحية شريكاً في وظائف الأسرة، والتي من أبرزها وظيفة التنشئة الاجتماعية [٣]. ولا شك أن للأسرة وظائف مهمة تقوم بها في المجتمع والتي منها إشباع حاجات الفرد،

---

(١) العبد الله، إبراهيم (١٩٩٩). التغير الاجتماعي في المملكة العربية السعودية. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٢٤)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص ٥٣٧- ٥٨٧.

(٢) القيسي، سليم، والعموش، أحمد (١٩٩٦). مرجع سابق، ص٢٧.

(٣) عبدالرزاق، الزهراني (٢٠٠٠). بنية الأسرة المسلمة. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٢٥)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص ٥٦٧.

والضبط الاجتماعي، والمحافظة على منجزات المجتمع. كما كان للأسرة وظائف عدة والتي من أهمها: حفظ واستمرارية النوع، الحفاظ على الأخلاق وتوفير الاستقرار، التنشئة الاجتماعية حسب الثقافة والقيم، الأمن الاجتماعي والاقتصادي، التماسك الاجتماعي، الحث على العطاء والتضحية[1].

كما صاحب هذا التغير في بنية الأسرة تغيرٌ في وظائفها. فمسؤولية الأسرة الممتدة كانت شاملة بحيث كانت ترعى الفرد من الولادة إلى الممات، تنشئه وتزوجه وتعيله وترعاه في شيخوخته. أما الأسرة الصغيرة فبالرغم من احتفاظها ببعض الوظائف التقليدية إلا أن العديد من الوظائف انتقلت إلى مؤسسات أخرى في المجتمع، مما أدى إلى ظهور مشكلات اجتماعية مما يعرض أمن الأسرة ورفاهيتها للضرر. والمشكلات الاجتماعية في الأسرة الصغيرة مرتبطة إلى حد كبير بمستوى التعليم للأب والأم. غير أن الأسرة المعاصرة بشكل عام تشعر بعزلة عن أقربائها ولا تجد من يساعدها في تحميل مسؤولية أبنائها كما كان الحال في الأسرة الممتدة. فلقد تغيرت وظائف الأسرة التقليدية، فتغير دور الأب وتقلصت بعض سلطاته خاصة في المجتمعات الحضرية، وزاد نفوذ الأم، وأثر التعليم على استقلالية الأبناء، وإن كانت سلطة القرار الأسري لا زالت في يد الأزواج في المجتمع الريفي والقروي وبنسبة كبيرة جداً [2]. وكذلك الحال في عملية اتخاذ القرار داخل الأسر، حيث أشار خيري (١٩٨٢)[3] في دراسة مبكرة حول بناء السلطة في الأسرة العربية

---

(١) الجوير، إبراهيم (١٩٩٥)، مرجع سابق، ص٣٧.

(٢) القيسي، سليم، والعموش، احمد (١٩٩٦). مرجع سابق، ص٥٩.

(٣) خيري، مجد الدين (١٩٨٢). بناء السلطة في الأسرة العربية المعاصرة. المجلة الاجتماعية القومية. العدد (١)، مركز البحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ص٤٩- ٥١.

المعاصرة إلى وجود تغيرات في وظيفة متخذ القرار في الأسرة العربية ويشكل هذا التغير دخول الزوجات والأبناء في صياغة القرار الأسري، حيث أظهرت الدراسة إلى مشاركة الأبناء في عملية اختيار المهنة واختيار شريك الحياة، والتي ترتبط بالتغيرات البنائية في الأسرة العربية خصوصاً مع التحولات من الخط الممتد إلى الخط النووي. كما أشار المجالي (١٩٩٦)[١] إلى حدوث تحول في سيطرة الأب والأم على اتخاذ القرارات الأسرية، بحيث لم تعد سلطات الأب مطلقة، فأصبح للأم وجود مهم في اتخاذ القرارات الأسرية، مع مشاركة الأبناء في بعض القرارات ذات العلاقة بحياتهم الخاصة، مع اختلاف ذلك في ضوء بعض الخصائص الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية للأسرة.

وقد أشار خمش (٢٠٠٠)[٢] إلى اختلاف دور الأسر النووية اتجاه شبكة الأقارب، حيث اقتصرت الأسرة النووية في علاقتها بوالدي الزوج والزوجة بينما أصبحت علاقتها بغيرهم من الأقارب أقل وضوحاً كعوائل الأعمام والأخوال خصوصاً في المجتمعات الحضرية. كما توصل الشطي (١٩٩٨)[٣] إلى حدوث تغير في وظيفة المرأة الخليجية عامة والكويتية على وجه الخصوص، خصوصاً بعد توفر فرص العمل لديها. فمع وجود تأييد لدخول المرأة مجال العمل في المجتمع الكويتي على أن يكون ذلك مقابل مشاركتها في الإنفاق على الأسرة وعدم اقتصار ذلك

---

(١) المجالي، قبلان (١٩٩٦). وجهة نظر الأبناء في سيطرة الأب والأم على اتخاذ القرار الأسري. مجلة مؤتة للدراسات والبحوث، العدد (٣)، جامعة مؤتة، الأردن، ص ٤٣- ٧٦.

(٢) خمش، مجد الدين (٢٠٠٠). الأسرة العربية المعاصرة والعلاقات مع الأقارب. مجلة المنهل، العدد (٥٦٢)، جدة، ص١٢٤- ١٣١.

(٣) الشطي، عدنان (١٩٩٨). مرجع سابق، ص٦١- ٦٩.

على الزوج فقط، مع ما لهذا الخروج من تأثير على وظيفتها الرئيسة في الأسرة خصوصاً رعاية أطفالها.

وفيما يتعلق بوظيفة التنشئة الاجتماعية، فقد طرأت تغيرات هامة على عملية التنشئة وهي الوظيفة الرئيسة التي تقوم بها الأسرة تجاه أطفالها. فمساهمة الكبار في التنشئة لم تعد كما كانت عليه حينما كانت التنشئة عملاً جماعياً، ويتم في إطار القيم الاجتماعية السائدة. وأصبحت مساهمة الكبار في التنشئة تنطلق من غاية المساعدة على مواجهة الظروف الجديدة وتخفيف الأعباء الناتجة عنها، وليس من منطلق التمسك بالقيم الجماعية التي كانت سائدة من قبل. لهذا فإن التنشئة في هذا الوضع تفقد طابعها الجماعي، ويؤدي إلى تباين في أساليب التعامل مع الأبناء، مما ينعكس على توازنهم النفسي وأنماط سلوكهم. أدت هذه التغيرات البنائية، وخصوصاً ما يرتبط منها بسلطة الوالدين، وقلة تفاعلهما مع الأبناء، والاعتماد على المربيات الأجنبيات، إلى تغيرات ملموسة في الأداء الأسري، وفي مدى حرية الأبناء في الاختيار والتصرف، والذي انعكس تأثيره على مدى قدرة الوالدين على التدخل في بعض شؤون الأبناء[1]. وقد نتج عن هذا كله زيادة احتمال تأثر الأبناء بجماعات من فئاتهم السنية، وبمؤثرات خارجة عن إطار الأسرة كالإعلام. فإذا ربطنا هذه التغيرات الأسرية بالتغيرات الاجتماعية عامة، من حياة حضرية، ووجود جماعات أثنية متعددة، فإن النتيجة زيادة احتمال الانحراف والجنوح[2].

(١) خيري، محيي الدين (١٩٩١). أشكال التدخل الأسري في بعض شؤون الأبناء من الشباب الجامعي. مجلة مؤتة للدراسات والبحوث، العدد (١)، جامعة مؤتة، الأردن، ص ٢٦٦.

(٢) انظر: المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول الخليج العربية (١٩٩٤). التنشئة الاجتماعية بين تأثير وسائل الاعلام ودور الأسرة. سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، العدد (٢٥)، البحرين، ص ٣٤- ٣٧.

وقد سحب التعليم من تحت أقدام الأسرة الوظيفة التعليمة من ناحية، وجزءاً كبيراً من وظيفة التنشئة الاجتماعية من ناحية أخرى، وأثرت خدمات أخرى على هذه الوظيفة الأخيرة تأثيراً كبيراً، خصوصاً وسائل الاتصال [1]. وقد لخص الجوير (٢٠٠٤) [2] تأثير وسائل الاتصال خصوصاً القنوات الفضائية على البنية الاجتماعية والسلوكية على شباب وشابات الأسرة، والتي تمثلت في العديد من الظواهر التي منها:

أ- التبدل السريع في نوعية الحجاب المستخدم من قبل بعض الفتيات وتطور هذا الحجاب بشكل واضح وملفت، وتحوله من لباس للتستر إلى لباس للزينة والاستعراض الجسدي.

ب- تطور لباس الفتيات، سواء اللباس المنزلي منه أو اللباس الذي يرتدى عند الخروج للسوق أو أثناء الزيارات.

ج- تغير نمط تفكير الشباب والفتيات لمفهوم الهوية والعادات والتقاليد.

د- شيوع الثقافة الاستهلاكية والثقافة التفاخرية الصورية.

وقد ترتب على هذا التحول في بنيان الأسرة السعودية تغير في الأدوار بالنسبة للزوج، وكذلك للزوجة. وقد أدت هذه التغيرات في أدوار الآباء إلى ضعف سلطاتهم وحاز الأبناء بفعل التعليم حرية في تقرير مستقبلهم، فلم يعد لكبار السن الكلمة في كثير من الشؤون الأسرية. وكانت الغالبية العظمى من الأسر في

(١) زايد، أحمد (١٩٩٨). الأسرة والمدينة والخدمات الاجتماعية المنظور السسيولوجي. سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، العدد (٣٦)، البحرين، ص٤٥.

(٢) للتوسع انظر: الجوير، إبراهيم (٢٠٠٤). العولمة وأثرها على الأسرة السعودية. قدم في ندوة الجمعية السعودية لعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية. الرياض: مركز الأمير سلمان الاجتماعي.

مدينة جدة السعودية يرون أن هناك قدراً من التغير في أدوار الأسرة ووظائفها مما أثر على دور الأسر في مجال تدعيم القيم التي تحرص الأسرة على تنشئة أبنائها عليها، خصوصاً مع تغير دور المرأة واشتراك عناصر أخرى داخل المنزل للقيام ببعض أدوارها كالخادمة والمربية [١]. وإن كان ذلك لا ينطبق على الأسرة السعودية فقط، حيث نجد أن هيبة كبير السن ومكانته في المجتمع العربي قد تغيرت في الوقت الحاضر بفعل التغير في المكانة والدور الذي كان يحتلها ويؤديها، حيث تلاشى دوره في العملية الإنتاجية والتنشئة الاجتماعية للأجيال[٢].

كما يعاني كبار السن من ضعف دورهم الوظيفي في الأسرة المعاصرة، والتي من صورها عدم استجابة الأبناء لنصائحهم، وعدم إشراك الآباء في اتخاذ قرارات مصيرية في حياتهم، وسوء معاملة زوجات الأبناء للآباء، ومنعهم من المشاركة في تربية الأحفاد[٣]. بل إن الأسرة تفضل إيداع كبير السن بمؤسسة لرعايته بدلا منها، وشعور الأسرة بانتهاء دورها عند إيداع المسن بالمؤسسة، وشعورها بالخجل عند الاتصال به بالمؤسسة، ووجود مشاغل لدى الأسرة تمنعها من التعاون مع المؤسسة[٤]. وهناك دراسات أشارت إلى تغير السلطة لكبار السن، حيث اختلفت نظرة أفراد الأسرة لسلطة كبار السن بين المجتمعين القروي والحضري، حيث نجد

---

(١) الجابري، شريقي (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص١٨٠- ١٨١.

(٢) التويجري، محمد، عبدالحميد، محيي (٢٠٠٢). التحديات التي تواجه كبار السن في المجتمع المعاصر. مجلة شؤون اجتماعية، العدد (٧)، جمعية الاجتماعيين، الشارقة، ص ١٢٢- ١٣٠.

(٣) البريكان، لولوة (٢٠٠٠). تغير دور المسن في الأسرة السعودية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم الدراسات الاجتماعية، ص١٥٦.

(٤) المرعول، محمد (١٩٩٨). تكامل دور الاسرة والمؤسسات الاجتماعية في رعاية المسنين. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم الدراسات الاجتماعية، ص١٩٩.

تمسك الأسر القروية في قيادة كبار السن لها واستمرار سلطتهم في اتخاذ القرارات، بينما تغير الحال لدى الأسرة الحضرية بحيث أصبح معظم أفراد الأسرة لديهم الحق في اتخاذ القرار، وخصوصاً المرتبط بحياتهم كالعمل والتعليم والزواج والسفر وغيرها[1]. كما بينت دراسة أخرى[2] عن وجود حالات من الإساءة التي تقع ضد كبار السن في المجتمع السعودي، سواء من قبل أفراد أسرهم، أو من قبل القائمين على رعايتهم في المؤسسات الإيوائية، أو في المستشفيات، أو حتى احتقارهم ونبذهم من قبل أفراد المجتمع، والنظرة إليهم بسلبية كبيرة.

ومن جانب التغيرات التي أصابت أحد أفراد الأسرة، نجد أن المرأة أكثر الفئات تأثراً بهذا التغير، فدخول المرأة مجال العمل بأجر جعل الأسرة بحاجة إلى من يقوم مقامها في العناية بشؤون المنزل من طبخ وتنظيف وعناية بالأولاد. من هنا برزت ظاهرة استقدام الخدم من الخارج للقيام بهذه الوظيفة. وانشغال الزوج بعمله عن شؤون الأسرة مع حاجة الزوجة والأولاد إلى التنقل اليومي ازدادت الحاجة إلى السائقين الأجانب. ومع انخفاض التكاليف وسهولة أنظمة الاستقدام حدث توسع في الأمر وأصبحت مظهراً اجتماعياً أكثر من كونها حاجة فضلاً عن أن تكون ضرورة[3]. وفي مرحلة ما قبل الطفرة الاقتصادية كانت المرأة تمارس أعمالا عديدة من زراعة ورعي وخياطة. وكان بعض النساء يعملن في البيع والشراء في

(١) الغريب، عبدالعزيز (٢٠٠٥). المكانة الاجتماعية للمسنين في ضوء التغيرات الحضرية. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص١٨٦.

(٢) الغريب، عبدالعزيز، العود، ناصر (٢٠٠٧). الإساءة لكبار السن في المجتمع السعودي. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز البحوث التربوية والنفسية.

(٣) انظر عدداً من الدراسات في دراسة: العمري، سلمان (٢٠٠٣). المرأة السعودية والخادمة. الرياض: غير محدد دار النشر.

منازلهن. كما كان بعضهن يقمن بتوليد النساء وتعليمهن والسعي بين الراغبين في الزواج. ولم تكن تلك الأعمال تتعارض مع مسؤوليات البيت، بل كانت جزءاً لا ينفصل عنها دعت إليه الحاجة.

ومع عملية التنمية حدث تغير في عمل المرأة، حيث التحقت بالعمل في مجالات عديدة لعل من أبرزها وأهمها قطاعي التعليم والصحة. ومع النمو المطرد لعملية التنمية ازدادت الحاجة إلى التوسع في مجالات عمل المرأة السعودية كالعمل في البنوك والمؤسسات الخاصة والإعلام ونحو ذلك. ولقد كان لعمل المرأة آثاره الاجتماعية على الأسرة. حيث أصبحت المرأة مسؤولة عن أدوار متعارضة أو غير منسجمة وأصبحت تعاني من صراع الأدوار. وفي كثير من الأحيان لا تكون قادرة على القيام بواجبات الزوج والأولاد. فتنشأ لذلك مشكلات زوجية، وأضعف قدرة الزوجين على تربية أولادهم[1].

كما انتشر في المجتمع السعودي ظاهرة العنف ضد المرأة، وأصبح الحديث عن ذلك حديثاً مطولاً في الصحافة المحلية. وسجلت الدراسات العلمية عدد من الحالات التي تعرضت فيها المرأة لصور مختلفة من العنف والإساءة، حيث أشارت دراسة جان (٢٠٠٦)[2]، ودراسة الفايز (٢٠٠٦)[3] على صور مختلفة تتعرض لها المرأة السعودية من صور العنف والإساءة المختلفة (الجسدية، المادية، الجنسية، العاطفية).

---

(١) الجوير، إبراهيم (١٩٩٥). عمل المرأة في المنزل وخارجه. الرياض: مكتبة العبيكان، ص ١٠٧- ١٠٨.

(٢) جان، ناديه (٢٠٠٦). العنف ضد المرأة. ورقة عمل قدمت في ندوة الحماية الأسرية، كلية التربية للبنات، وزارة التربية والتعليم، الرياض.

(٣) الفايز، ميسون (٢٠٠٦). الإساءة ضد المرأة. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، وزارة التربية والتعليم، الرياض.

وبالتالي أسهم ذلك في تفشي ظاهرة إيذاء الأطفال في المجتمع السعودي جراء طبيعة التركيبة الأسرية في المجتمع، حيث تنتشر هذه الظاهرة في المناطق الحضرية أكثر من المناطق الريفية، وبين المتزوجين حديثاً عن غيرهم، وكان أكثر مظاهر الإيذاء تفشياً الإيذاء النفسي يليه الإيذاء الجسدي وأخيراً الإيذاء بصورة الإهمال [1]. كما كان لتغير الظروف الاقتصادية بروز ظاهرة جديدة لم تعهدها الأسرة السعودية خصوصاً بالأطفال تمثلت في مساهمتهم الاقتصادية في سن مبكر لدعم الأسرة كظاهرة أطفال الشوارع والبيع. حيث أشارت إحدى الدراسات[2] إلى أن الأطفال الذين يبيعون في الشوارع لا يصنفون كأطفال شوارع لعدم وجود أسر لهم بل هم يتواجدون في الشوارع بغرض البيع لدعم أسرهم، وأنهم ينتمون غالباً لأسر غير متوازنة.

وهذا دفع الحكومة للتدخل من خلال إنشاء إدارة عامة للحماية الاجتماعية عام ٢٠٠٤م وهي إدارة تختص بالجانب الوقائي في المقام الأول إضافة إلى العلاج للمشكلة في بدايتها. كما أن وحدة الإرشاد الاجتماعي التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية تستقبل اتصالات تتعلق بالإيذاء سواء للطفل أو المرأة وتقدم استشاراتها لتجاوز الأزمات والمشكلات المتعلقة بهذا الجانب. إضافة إلى إنشاء محاكم خاصة بالعنف الأسري، يستعين فيها القاضي بأحكامه بمستشارين نفسيين واجتماعيين. وبالتالي ولمساعدة الأسرة على أداء واجباتها داخل المنزل وخارجه، قامت المؤسسات الاجتماعية الرسمية والجمعيات الخيرية لرعاية أفراد الأسرة المحتاجين للرعاية من الأطفال والمعوقين والمسنين ممن فقدوا الرعاية الطبيعية، حيث وجه عدد من الجمعيات والمراكز الاجتماعية برامج متنوعة موجهة للأمومة

(١) الزهراني، سعد (٢٠٠٣). ظاهرة إيذاء الأطفال في المجتمع السعودي. الرياض: مركز أبحاث الجريمة.

(٢) اليوسف، عبدالله (٢٠٠٢). الأطفال الباعة والمتسولون. الرياض: وزارة الشؤون الاجتماعية.

والطفولة والفئات خصوصاً، وغيرها من البرامج التي وجهت الأسرة لزيادة قدراتها على القيام بوظائفها وتعويض أفرادها عن العجز الذي قد تعانيه من جراء عدم قدرتها على إشباع احتياجات أفرادها.

الإجراءات المنهجية:

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والذي تمت الاستفادة منه في جمع البيانات من الواقع المجتمعي من خلال تطبيق الدراسة ميدانياً لجمع البيانات من عينة من الأسرة السعودية بمحافظة الخرج جنوب منطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية. وتمثل الأسرة في محافظة الخرج بمنطقة الرياض مجتمع الدراسة، وبالتالي فإن وحدة التحليل في هذه الدراسة هي الأسرة السعودية المقيمة في محافظة الخرج بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية. وقد اعتمدت الدراسة على مقاييس الإحصاء الوصفي Descriptive Statistic (Measurements) وذلك لوصف خصائص عينة الدراسة والإجابة عن أسئلة الدراسة اعتماداً على التكرارات والنسب المئوية، والترتيب.

أداة الدراسة: قام الباحث بتصميم استبيان لجميع بيانات الدراسة، والإجابة على تساؤلاتها، وقد تضمن الاستبيان عدة محاور ومتغيرات رئيسة وهي:

١- الخصائص الاجتماعية والديموغرافية لعينة الدراسة ويضم الأسئلة من (١- ٧).

٢- التركيبة الأسرية والنمط المفضل للأسرة ويضم الأسئلة من (٨- ١٠).

٣- التركيب الزواجي ويضم الأسئلة من (١١- ٢٢).

٤- العوامل المؤثرة على التغير الأسري ويضم الأسئلة من (٢٣- ٣٣).

٥- صور التغير الأسري ويضم الأسئلة من (٣٤- ٤٢).

٦- المشكلات الناجمة عن التغيرات الأسرية ويضم الأسئلة من (٤٣- ٥٠).

٧- الوظائف الاجتماعية للأسرة ويضم الأسئلة من (٥١- ٥٦).

وقد تم استخدام درجات مقياس ليكرت الخماسي Likert Scale بحيث طلب من المبحوث رب الأسر، اختيار الإجابة من بين خمسة اختيارات (موافق جداً، موافق، لا أدري، غير موافق، غير موافق جداً) في بعض الأسئلة. كما استخدم خيار (نعم - لا) لأسئلة أخرى.

وقد تم صياغة أسئلة الاستمارة بالاستفادة من بعض الدراسات السابقة المرتبطة بدراستنا. كما تم اختبار الاستمارة لتحديد صدقها وثباتها قبل تطبيقها بصورتها النهائية. فمن حيث التأكد من الصدق الظاهري Face Validity للاستمارة تم توزيعها على عدد من أعضاء هيئة التدريس بقسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجاءت بعض المقترحات للتعديل فتم التعديل في ضوءها. كما تم تطبيقها على عينة قوامها عشر أسر من أسر موظفي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من المقيمين بمحافظة الخرج، لاختبار ثباتها وتم التعديل في ضوء ما أجاب عليه أفراد تلك العينة الأولية. وقد بلغت درجة الارتباط بين فقرات الاستبيان ما بين (٠,٥٩ ، ٠,٦٨)، وهي مقبولة إلى حد ما للاتساق الداخلي لفقرات للاستمارة.

حدود الدراسة: طبقت الدراسة على عينة من الأسر بمحافظة الخرج بمنطقة الرياض، حيث تعد محافظة الخرج وفق نطاقها الجغرافي المعتمد من بلدية المحافظة المجال المكاني للدراسة، والأسرة السعودية هناك تعد المجال البشري للدراسة.

وقد تم تطبيق الدراسة بتوزيعها على الطلاب المقيدين في كشوف كلية المجتمع بمحافظة الخرج في الفصل الدراسي الثاني للعام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ.

مجتمع الدراسة وأسلوب سحب العينة: تمثل الأسرة السعودية مجالاً عاماً للدراسة، بينما تمثل الأسرة في محافظة الخرج بمنطقة الرياض المجال الخاص للدراسة. ويزيد عدد سكان منطقة الرياض حالياً في ضوء المسوحات السكانية التي قامت بها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض عن أربعة ملايين نسمة. كما بلغ سكان منطقة الرياض في إحصاء عام ٢٠٠٤م (٥,٧٩٧,٩٧١) يمثل السعوديون منهم (٣,٢١٨,٠٢٥.) مواطناً من الذكور والإناث [١]. أما عدد الأسر في مدينة الرياض فتشير إحصاءات إلى أنه قد بلغ عدد الأسر في مدينة الرياض عام ٢٠٠٣م (٧٤٩٧٣٩) أسرة، وعدد أفرادها (٤٧٣٠٣٣٠) فرداً، بحيث كان معدل الأسر يصل إلى ستة أشخاص لكل أسرة [٢]. أما محافظة الخرج فقد جاءت بياناتها السكانية الرئيسة كما في الجدول التالي:

جدول (أ) سكان محافظة الخرج

المساكن المشغولة	سعوديون			غير سعوديين			الجملة		
	ذكور	إناث	الجملة	ذكور	إناث	الجملة	ذكور	إناث	الجملة
٥٣٧٤٥	١٢٤,٦٧١	١٢٣,٠٠٧	٢٤٧,٦٧٨	٥٩,٥٦٠	١٦,١٥٦	٧٥,٧١٦	١٨٤,٢٣١	١٣٩,١٦٣	٣٢٣,٣٩٤
المصدر: بيانات التعداد للسكان والمساكن لعام ٢٠٠٤م. الرياض: مصلحة الإحصاءات العامة، ص١٩.									

نبذة عن محافظة الخرج مجال الدراسة:

جاء اختيار محافظة الخرج لندرة الدراسات التي طبقت في المجتمع السعودي على بعض مدنه ومحافظاته، حيث إن المطلع على معظم الدراسات الاجتماعية يلحظ تركزها على المدن الكبرى، وخصوصاً الرياض وجدة، بينما نلحظ ندرة في الدراسات التي طبقت على بقية المدن. كما تم اختيارها لتوفر أنماط البيئة الملائمة

(١) وزارة التخطيط والاقتصاد (٢٠٠٣). منجزات التنمية. الإصدار الحادي والعشرون ١٩٧٠- ٢٠٠٣. الرياض: مطابع الوزارة، ص ٢٩٠.

(٢) الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض (٢٠٠٤). الرياض في خمسين عاماً. ص ٤٠.

لمثل هذه الدراسة ونقصد بذلك توفر النمط الحضري والريفي والقروي والبدوي، مما يجعلها ملائمة لمثل هذه الدراسة، لمعرفة الفروق في التغير الأسري بين تلك الأنماط والبعد التاريخي لهذه المحافظة القديمة جداً.

حيث تدل المادة الأثرية التي عثر عليها على قدم الاستقرار البشري في المنطقة، فقد وجد فيها ما يدل على أنها سكنت منذ القدم حيث وجدت آثار هذا الاستقرار في أماكن متفرقة في محافظة الخرج تعود إلى آلاف السنين قبل الميلاد حيث سكنت من قبل حضارات متعددة منها حضارة طسم وجديس، وحضارة الحنيفيين، وكانت هذه البلاد تسمى جو الخضارم. وبعد ظهور الإسلام دخلت الخرج الإسلام قبل فتح مكة وفي عام١١٥٧هـ اتفق الإمام محمد بن سعود بن مقرن، والإمام محمد بن عبدالوهاب على نصرة الدين وتكوين دولة أساسها الإيمان وشريعتها القرآن، وانضمت الخرج للدولة السعودية الأولى في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في عام ١١٩٠هـ. وحينما فتح الملك عبدالعزيز رحمه الله الرياض في شهر شوال سنة ١٣١٩هـ قدم أهل الخرج وبايعوا الملك عبدالعزيز على السمع والطاعة [1].

وتقع محافظة الخرج حالياً جنوب منطقة الرياض و يحدها من الشرق المنطقة الشرقية و من الغرب محافظة المزاحمية و محافظة الحريق و من الجنوب محافظة الأفلاج ومن الشمال مدينة الرياض. وتبلغ مساحتها ١٩٧٩٠كلم٢ و يبلغ عدد سكانها من السعوديين والمقيمين ٣٢٣,٣٩٤ نسمة. و من الآثار و الأماكن التاريخية بمحافظة الخرج ـ قصر مشرف ـ بلدة اليمامة . تبلغ مساحة الخرج (١٥٠٠) كيلو متر

(١) الحديب، عبدالله (١٩٩٥). موجز تاريخ الخرج. الرياض: غير محدد دار النشر.

مربع ، وهي تعد أكبر محافظات منطقة الرياض ، وتعتبر محافظة الخرج من أهم المحافظات الزراعية على مستوى المملكة حيث إنها أحد الروافد الأساسية للأمن الغذائي بالمملكة وهي تقع بالجنوب الشرقي من العاصمة الرياض وبمسافة تقدر بحوالي ٨٥ كم وتشتهر بخصوبتها الزراعية ووفرة المياه الجوفية والعيونية يوجد بها أول مشروع زراعي أسس على مستوى المملكة وهو مشروع الخرج الزراعي كما يوجد بها مصانع للألبان ذات إنتاج وجودة عالية وهي تغطي ٧٠٪ من احتياجات المملكة والدول المجاورة كما يوجد بها آثار ومعالم ذات صبغة مميزة ويوجد بها أول حديقة فتحت على مستوى المملكة وهي منتزه المشتل[١].

* * *

(١) الدريهم ، سعد (١٩٩٣) الخرج. سلسلة هذه بلادنا ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض.

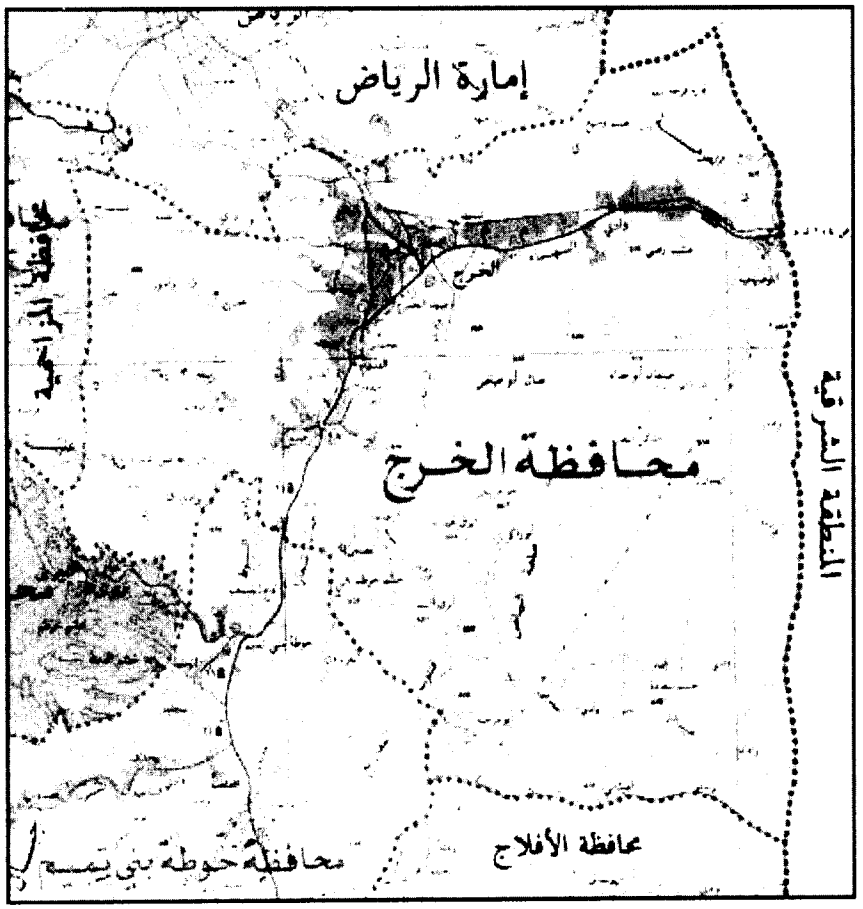

عينة الدراسة:

اعتمد الباحث على أسلوب الحصر الشامل لأسر الطلاب المقيدين في سجلات كلية المجتمع بمحافظة الخرج في العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، وبلغ عددهم (٣٠٤) طلاب، بحيث سلم كل طالب استمارة استبيان، بحيث تولى تعبئتها أرباب أسرهم سواء أكان والدهم أو والدتهم. وقد لجأ الباحث لهذا الأسلوب لطبيعة الخصائص الاجتماعية والثقافية لمجتمع بمثل مواصفات مجتمع محافظة الخرج، ولطبيعة القيم الدينية والاجتماعية التي تعيق من قدرة الباحث

على الحرية في سحب العينة من الأسر لضمان انتفاء التحيز في الاختيار. وقد لجأ كثير من الباحثين لمثل هذا الأسلوب لمراعاة تلك الظروف. كما أن قدرات الباحث وإمكاناته لم تمكنه من التغلب على مثل هذه الظروف فاعتمد على مثل هذا الأسلوب. وفي ضوء ذلك بلغ مجتمع الدراسة الدراسة (٣٠٤) أسر.

نتائج التحليل الإحصائي:

أولاً : بعض الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للأسرة:

جدول رقم (١) عمر رب الأسرة

العمر	ك	٪
أقل من ٤٠ سنة	٣٦	١١.٨
من ٤٠ إلى أقل من ٤٥ سنة	١٥١	٤٩.٧
من ٤٥ إلى أقل من ٥٠ سنة	٥٥	١٨.١
من ٥٠ فأعلى	٦٢	٢٠.٤
الإجمالي	**٣٠٤**	**١٠٠**

تشير بيانات الجدول رقم (١) إلى توزيع المبحوثين حسب العمر لرب الأسرة عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة، إلى أنه جاء في المرتبة الأولى الذين أعمارهم في الفئة (من ٤٠ إلى أقل من ٤٥ سنة) بما نسبته (٤٩.٧٪). وفي المرتبة الثانية الذين أعمارهم في الفئة (من ٥٠ فأعلى) بما نسبته (٢٠.٤٪). وفي المرتبة الثالثة الذين أعمارهم في الفئة (من ٤٥ سنة إلى أقل من ٥٠ سنة) بما نسبته (١٨.١٪). وفي المرتبة الرابعة والأخيرة أرباب الأسر الذين أعمارهم (أقل من ٤٠ سنة) بما نسبته (١١.٨٪).

جدول رقم (٢) مهنة رب الأسرة

المهنة	ك	٪
عسكري	٣٣	١٠.٩
موظف حكومي	٩١	٢٩.٩
أعمال حرة	٦٠	١٩.٧
مزارع	٨٤	٢٧.٦
متقاعد	٣٢	١٠.٥
لا يعمل	٤	١.٣
الإجمالي	٣٠٤	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (٢) إلى توزيع المبحوثين حسب المهنة لرب الأسرة عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أنه جاء في المرتبة من يعملون بوظائف حكومية بما نسبته (٢٩.٩٪). وفي المرتبة الثانية بما نسبته (٢٧.٦٪) يعملون في الزراعة. وفي المرتبة الثالثة من يعملون أعمالاً حرة بما نسبته (١٩.٧٪). وفي المرتبة الرابعة من يعملون في وظائف عسكرية بما نسبته (١٠.٩٪). وجاء في المرتبة الخامسة ما نسبته (١٠.٥٪) متقاعدين عن العمل. بينما في المرتبة السادسة ما نسبته (١.٣٪) لا يعملون.

جدول رقم (٣) مستوى تعليم رب الأسرة

المستوى التعليمي	ك	٪
تعليم ابتدائي فأقل	٦٢	٢٠.٤
تعليم متوسط أو ثانوي	٩٠	٢١.٦

تعليم جامعي	١٤٦	٤٨,٠
أعلى من الجامعي	٦	٢,٠
الإجمالي	٣٠٤	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (٣) إلى توزيع المبحوثين حسب مستوى تعليم رب الأسرة. حيث توصلت الدراسة إلى أن ما يقرب من نصف العينة هم من يحملون مؤهلاً جامعياً بما نسبته (٤٨,٠٪). وفي المرتبة الثانية جاء ما نسبته (٢١,٦٪) يحملون المؤهل المتوسط والثانوي. وفي المرتبة الثالثة جاء من يحمل تعليم الابتدائي فأقل بما نسبته (٢٠,٤٪). بينما هناك نسبة ضئيلة (٢,٠٪) جاءت في المرتبة الرابعة لمن يحمل المؤهل أعلى من الجامعي.

جدول رقم (٤) مستوى دخل الأسرة الشهري لرب الأسرة

الدخل الشهري	ك	٪
متدني	٧٧	٢٥,٣
متوسط	١٤٦	٤٩,٤
مرتفع	٧٧	٢٥,٣
الإجمالي	٣٠٤	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (٤) إلى توزيع المبحوثين حسب الدخل الشهري لرب الأسرة. حيث توصلت الدراسة إلى أن ما يقرب من نصف العينة (٤٩,٤٪) دخلهم الشهري متوسط، بينما تساوت الفئتان الأخيرتان المتدني والمرتفع بما نسبته (٢٥,٣٪).

جدول رقم (٥) البيئة الاجتماعية للأسرة

البيئة الاجتماعية للأسرة	ك	٪
محافظة	١٦٣	٥٣.٦
مركز	٧٣	٢٤.٠
هجرة	٦٨	٢٢.٤
الإجمالي	٣٠٤	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (٥) إلى توزيع المبحوثين حسب البيئة الاجتماعية لعينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أن ما نسبته (٥٣.٦٪) يقيمون في محافظة أي في منطقة حضرية. بينما ما نسبته (٢٤.٠٪) من عينة الدراسة يقيمون في مراكز وهي أشبه ما تكون بمناطق ريفية قروية. وبقية النسبة (٢٢.٤٪) هم من البادية يقيمون في هجر. وبالتالي فإن أكثر من نصف عينة الدراسة هم من سكان المناطق الحضرية، بينما النصف الآخر توزع ما بين مناطق قروية، أو مناطق بدوية.

جدول رقم (٦) عدد الأولاد في الأسرة

عدد الأولاد في الأسرة	ك	٪
٢	٣٦	١١.٨
٤	٧٩	٢٥.١
٥	١١٧	٣٨.٥
٧	٢٦	٨.٦
٨	٤٦	١٥.١
الإجمالي	٣٠٤	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (٦) إلى توزيع المبحوثين حسب عدد الأولاد في الأسرة لعينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أن ما نسبته (٣٨,٥٪) تتكون من (٥) أولاد. وفي المرتبة الثانية الأسر التي لديها (٤) أولاد بما نسبته (٢٥,١٪). بينما ما نسبته (١٥,١٪) لديهم (٨) أولاد. وفي المرتبة الرابعة ما نسبته (١١,٠٨٪) لديهم ولدان فقط. أما بقية النسبة فقد جاءت في المرتبة الخامسة ما نسبته (٨,٦٪) لديهم (٧) أولاد.

ثالثاً: خصائص التركيب الزواجي:

جدول رقم (٧) توزيع المبحوثين حسب عدد الزوجات

عدد الزوجات	ك	٪
زوجة	٢٥٤	٨٣,٦
زوجتان	٢٦	٨,٦
ثلاث زوجات	٢٤	٧,٨
أربع زوجات	-	-
الإجمالي	٣٠٤	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (٧) إلى توزيع المبحوثين حسب عدد الزوجات في أسر عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أن غالبية الأسر مكونة من زوجة واحدة بما نسبته (٨٣,٦٪). بينما كان هناك ما نسبته (٨,٦٪) كانت تتكون من زوجتين، وما نسبته (٧,٨٪) تتكون من ثلاث زوجات. ونلحظ هنا قلة التعدد في الأسر عينة الدراسة.

جدول رقم (٨) توزيع المبحوثين حسب طبيعة الزواج

طبيعة الزواج	ك	٪
داخلي	١٣٩	٥٤,٣
خارجي	١٦٥	٤٥,٧
غير سعودية	٠	٠
الإجمالي	٣٠٤	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (٨) إلى توزيع المبحوثين حسب طبيعة الزواج في أسر عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى ما نسبته (٥٤,٣٪) من عينة الدراسة أي أكثر من النصف كانت طبيعة زواجهم داخلي أي من الأقارب. بينما ما نسبته (٤٥,٧٪) تزوجوا من زواج خارجي أي من غير أقاربهم. وليس هناك من عينة الدراسة من تزوج من زوجة غير سعودية.

جدول رقم (٩) تفضيل زواج الأولاد من الأقارب

تفضيل زواج الأولاد من الأقارب	ك	٪
نعم	٢٣٣	٧٦,٦
لا	٧١	٢٣,٤
الإجمالي	٣٠٤	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (٩) إلى توزيع المبحوثين حسب تفضيل زواج الأولاد من الأقارب كما تراه عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أن ما نسبته (٧٦,٦٪) يفضلون زواج أبنائهم من أقاربهم. بينما ما نسبته (٢٣,٤٪) لا يفضلون ذلك، وهي نسبة عالية إذا ما قارنا ذلك بنمط عينة الدراسة والبيئة الاجتماعية لها.

جدول رقم (١٠) النمط المفضل لزواج الأولاد داخل النمط الداخلي للزواج

النمط الزواجي الداخلي	ك	٪
من الأعمام	٢٦٧	٨٧,٨
من الأخوال	٣٧	١٢,٢
الإجمالي	**٣٠٤**	**١٠٠**

تشير بيانات الجدول رقم (١٠) إلى توزيع المبحوثين حسب النمط المفضل لزواج الأولاد داخل النمط الداخلي للزواج كما تراه عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أن غالبية المبحوثين يفضلون زواج أولادهم من أقاربهم الأعمام بما نسبته (٨٧,٨٪). بينما نسبة قليلة (١٢,٢٪) هي التي تفضل زواج أولادهم من أخوالهم. ويبدو أن عينة الدراسة وهي كانت لرب الأسرة دور في هذا الاختيار.

جدول رقم (١١) توزيع المبحوثين حسب الموافقة على تعدد زواج الأبناء

الإجابة	ك	٪
نعم	٢٦٠	٨٥,٥
لا	٤٤	١٤,٥
الإجمالي	**٣٠٤**	**١٠٠**

تشير بيانات الجدول رقم (١١) إلى توزيع المبحوثين حسب الموافقة على تعدد زواج الأبناء كما تراه عينة الدراسة. حيث توصلت الدارسة إلى أن غالبية المبحوثين يؤيدون تعدد زوجات أبنائهم بما نسبته (٨٥,٥٪). بينما نسبة قليلة هي التي لا تؤيد ذلك بما نسبته (١٤,٥٪).

جدول رقم (١٢) توزيع المبحوثين حول الموافقة على ترك الحرية للأولاد الذكور في زواجهم

الخيار في الزواج للأولاد الذكور	ك	٪
نعم	٢٦١	٨٥,٩
لا	٤٣	١٤,١
الإجمالي	٣٠٤	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (١٢) إلى توزيع المبحوثين حول الموافقة على ترك الحرية للأولاد الذكور في زواجهم كما تراه عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أن الغالبية يؤيدون ترك الحرية للأولاد الذكور في اختيار شريكة الحياة بما نسبته (٨٥,٩٪). بينما النسبة الباقية (١٤,١٪) لا تؤيد ذلك.

جدول رقم (١٣) توزيع المبحوثين حول الموافقة على ترك الحرية للبنات في زواجهم

الخيار في الزواج للبنات	ك	٪
نعم	١٩١	٦٢,٨
لا	١١٣	٣٧,٢
الإجمالي	٣٠٤	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (١٣) إلى توزيع المبحوثين حول الموافقة على ترك الحرية للبنات في زواجهم كما تراه عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أن أكثر من نصف العينة تؤيد ترك الحرية للبنات لاختيار زوجها بما نسبته (٦٢,٨٪). بينما نسبة عالية تقارب أكثر من الثلث (٣٧,٢٪) لا تؤيد ذلك. ونلحظ في هذه

الإجابة الفرق بين ترك الحرية للأولاد الذكور عنه عند ترك الحرية للبنات لصالح الأولاد الذكور.

جدول رقم (١٤) توزيع المبحوثين عند تفضيل زواج الأبناء من الأقارب حسب الجنس

الجنس	ك	٪
الذكور	١١٥	٣٧.٩
الإناث	١٨٩	٦٣.١
الإجمالي	**٣٠٤**	**١٠٠**

تشير بيانات الجدول رقم (١٤) إلى توزيع المبحوثين عند تفضيل زواج الأبناء من الأقارب حسب الجنس كما تراه عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أن غالبية المبحوثين يفضلون تزويج بناتهم من أقاربهم بما نسبته (٦٣.٢٪). بينما بقية النسبة (٣٧.٩٪) يفضلون زواج أبنائهم الذكور من أقاربهم.

جدول رقم (١٥) توزيع للمبحوثين للنمط الأسري المفضل

نمط الأسرة	ك	٪
أسرة من زوج وزوجة وأولادهم المباشرين	١٨٥	٦٠.٩
أسرة من زوج وزوجة ووالدين أو أحدهما والأولاد	٠	٠
أسرة ممتدة أب وأخوان وأسرهم	٠	٠
أسرة ممتدة تشمل آباء وأبناء وأسرهم	١١٩	٣٩.١
الإجمالي	٣٠٤	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (١٥) إلى النمط الأسري المفضل لعينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أن ما نسبته (٦٠.٩٪) يفضلون نمط (الأسرة النووية) المكونة من الزوج والزوجة وأولادهم. بينما ما نسبته (٣٩.١٪) يفضلون نمط (الأسرة الممتدة) التي تشمل الأب والأم وأبنائهم وأسر الأبناء. بينما لم يفضل أي من عينة الدراسة نمط الأسرة الممتدة التي تشمل الآباء وإخوانهم وأسرهم. أو نمط أسرة من زوج وزوجة ووالدين أو أحدهما والأولاد.

رابعاً: العوامل المؤثرة على الأسرة:

جدول رقم (١٦) العوامل المؤثرة على التغير الأسري ن =٣٠٤

العوامل المؤثرة في التغير الأسري	موافق بشدة		موافق		لا ادري		غير موافق		غير موافق بشدة		الترتيب
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
الحياة الحضرية	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢٥	٨.٢	٢٧٩	٩١.٨	١٠
ضعف الوازع الديني	١٨٤	٦٠.٥	١١٩	٣٩.١	٠	٠	١	٠.٣	٠	٠	٢
صراع الأدوار داخل الأسرة	١٨٧	٦١.٥	٠	٠	٢٦	٨.٦	٤٦	١٥.١	٤٥	١٤.٨	١
المنفعة والمصالح	١١٤	٣٧.٥	١١٨	٣٨.٨	٠	٠	٢٦	٨.٦	٤٦	١٥.١	٤
التباعد المكاني	٩٨	٢٢.٤	١٠٠	٣٢.٩	٤٦	١٥.١	٠	٠	٩٠	٢٩.٦	٦
كبر حجم الأسر	١٢٦	٨.٦	٩١	٢٩.٩	٠	٠	٩٥	٣١.٣	٩٢	٣٠.٣	٧
قوة تأثير وسائل الإعلام	٧٢	٢٣.٧	١٦٢	٥٣.٣	٤٥	١٤.٨	٢٥	٨.٢	٠	٠	٥
الاتصال الثقافي بالآخرين	١١٧	٣٨.٥	١١٥	٣٧.٨	٠	٠	٧٢	١٣.٧	٠	٠	٣
عدم مساعدة المجتمع للأسرة	٧٢	٢٣.٧	٢٠٦	٦٧.٨	١	٠.٣	٢٨	٨.٢	٠	٠	٥
ظهور مؤسسات سلبية في المجتمع	١	٠.٣	١٤١	٤٦.٤	٠	٠	١٦٢	٥٣.٣	٠	٠	٩
تدني الأوضاع الاقتصادية	٢٤	٧.٩	١٤٠	٤٦.١	٤٩	١٦.١	٠	٠	٩١	٢٩.٩	٨

تشير بيانات الجدول رقم (١٦) إلى لعوامل المؤثرة على التغير الأسري كما تراه عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أنه قد جاء ترتيب العوامل المؤثرة على التغير الأسري كما تراها عينة الدراسة، جاء في المرتبة الأولى صراع الأدوار داخل الأسرة بما نسبته (٦١,٥٪). وجاء في المرتبة الثانية ضعف الوازع الديني بما نسبته (٦٠,٥٪). وجاء في المرتبة الثالثة الاتصال الثقافي بالآخرين بما نسبته (٣٨,٥٪). وجاء في المرتبة الرابعة المنفعة والمصالح بما نسبته (٣٧,٥٪). وجاء في المرتبة الخامسة عاملان هما عامل قوة تأثير وسائل الإعلام، وعامل عدم مساعدة المجتمع للأسرة بما نسبته (٢٣,٧٪) لكل منها. وجاء في المرتبة السادسة عامل التباعد المكاني بما نسبته (٢٢,٤٪). وجاء في المرتبة السابعة كبر حجم الأسر بما نسبته (٨,٦٪). وجاء في المرتبة الثامنة تدني الأوضاع الاقتصادية بما نسبته (٧,٩٪). وجاء في المرتبة التاسعة ظهور مؤسسات سلبية في المجتمع وبنسبة متدنية جداً بما نسبته (٠,٣٪). وجاء في المرتبة العاشرة الحياة الحضرية بما نسبته (٠٪) أي لم يجب أي مبحوث بالموافقة على اختيار هذا العامل.

خامساً: صور التغير الأسري الواضحة في الأسرة:

جدول رقم (١٧) صور التغير الأسري ن =٣٠٤

صور التغير الأسري	موافق بشدة		موافق		لا ادري		غير موافق		غير موافق بشدة		الترتيب
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
تغير علاقات أفراد الأسر الواحدة	٢٤	٧,٩	١٨٩	٦٢,٦	٠	٠	٤٦	١٥,١	٤٥	١٤,٨	٤
تغير علاقات العائلة والقبيلة	٦٧	٢٢,٠	١٦٨	٥٥,٣	٠	٠	٢٤	٧,٩	٤٥	١٤,٨	٥
علاقات جماعات الجيرة وسكان الحي	٦٩	٢٢,٧	١١٩	٣٩,١	١	٠,٣	٧٠	٢٣,٠	٤٥	١٤,٨	٧

تغير أدوار ومكانات بعض أفراد الأسرة	٩٢	٣٠,٣	٢١٢	٦٩,٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢
تغير قيادة الأسرة	٠	٠	٢٥٨	٨٥,٠	٤٦	١٥,٠	٠	٠	٠	٠	١
الاستقلالية في المسكن والدخل	٤٦	١٥,١	١٦٣	٥٣,٦	٢٤	٧,٩	٧١	٢٣,٤	٠	٠	٦
النزعة الفردية لدى أفراد الأسرة	١٤٥	٤٧,٧	٨٩	٢٩,٣	٠	٠	٢٤	٧,٩	٤٦	١٥,١	٩
انخفاض الغيرة والحمية الأسرية	٢٥	٨,٢	٢٠٨	٦٨,٤	٠	٠	٧١	٢٣,٤	٠	٠	٣
تغير تأثير الأسرة على التنشئة الاجتماعية	٢٥	٨,٢	٩٣	٣٠,٦	٠	٠	٩٥	٣١,٣	٩١	٢٩,٩	٨

تشير بيانات الجدول رقم (١٧) إلى صور التغير الأسري كما تراها عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أنه قد جاء ترتيب صور التغير الأسري وفق من أجاب بموافق، جاء في المرتبة الأولى تغير قيادة الأسرة بما نسبته (٨٥,٠٪). وجاء في المرتبة الثانية تغير أدوار ومكانات بعض أفراد الأسرة بما نسبته (٦٩,٧٪). وجاء في المرتبة الثالثة انخفاض الغيرة والحمية الأسرية بما نسبته (٦٨,٤٪). وفي المرتبة الرابعة تغير علاقات أفراد الأسر الواحدة بما نسبته (٦٢,٦٪). وجاء في المرتبة الخامسة تغير علاقات العائلة والقبيلة بما نسبته (٥٥,٣٪). وفي المرتبة السادسة الاستقلالية في المسكن والدخل بما نسبته (٥٣,٦٪). وجاء في المرتبة السابعة علاقات جماعات الجيرة وسكان الحي بما نسبته (٣٩,١٪). وجاء في المرتبة الثامنة تغير تأثير الأسرة على التنشئة الاجتماعية بما نسبته (٣٠,٦٪). وجاء في المرتبة التاسعة النزعة الفردية لدى أفراد الأسرة بما نسبته (٢٩,٣٪).

أما عن صور التغير الأسري في عدم الموافقة فقد جاءت منخفضة إلى حد كبير، فقد جاءت صورة تغير تأثير الأسرة في التنشئة الاجتماعية بما نسبته (٣١,٣٪). ثم صورة تغير الاستقلالية في الدخل والمسكن، وصورة انخفاض الغيرة والحمية الأسرية بما نسبته (٢٣,٤٪) لكل منها، ثم صورة تغير علاقات الجيرة وسكان الحي بما نسبته (٢٣,٠٪). بينما بقية صور التغير الأسري جاءت عدم الموافقة على وجودها بصور متدنية جداً.

سادساً: المشكلات الناجمة عن التغيرات الأسرية:

جدول رقم (١٨) المشكلات التي تعاني منها الأسر ن =٣٠٤

المشكلات الأسرية	موافق بشدة		موافق		لا ادري		غير موافق		غير موافق بشدة		الترتيب
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
سلبية العلاقات الاجتماعية	٤٦	١٥,١	١٦٥	٥٤,٣	٢٣	٧,٦	٢٥	٨,٢	٤٥	١٤,٨	٢
تدني المستوى المعيشي	٦٧	٢٢,٠	٩٤	٣٠,٩	٧٢	٢٣,٧	٢٦	٨,٦	٤٥	١٤,٨	٦
العنف	٤٥	١٤,٨	١١٨	٣٨,٨	٢٦	٨,٦	٢٤	٦,٩	٩١	٢٩,٩	٤
مشكلات أخلاقية	٤٤	١٤,٥	٩٦	٣١,٦	٤٨	١٥,٨	١١٦	٣٨,٢	٠	٠	٥
مشكلات توجيه وإرشاد للأبناء	٩٠	٢٩,٦	٧٤	٢٤,٣	٢٥	٨,٢	٦٩	٢٢,٧	٤٦	١٥,١	٧
انتشار السلوك الاستهلاكي والتفاخري	٦٩	٢٢,٧	٩٧	٣٠,٩	٥٠	١٦,٤	٩١	٢٩,٩	٠	٠	٦
انخفاض الدخل وازدياد تكلفة المعيشة	١١٤	٣٧,٥	١٢٢	٤٠,١	٢٣	٧,٦	٠	٠	٤٥	١٤,٨	٣
تأثير استخدام التقنية على الأسرة (الانترنت، الجوال، الفضائيات)	٤٧	١٥,٥	١٨٥	٦٠,٩	٠	٠	٢٧	٨,٩	٤٥	١٤,٨	١

تشير بيانات الجدول رقم (١٨) إلى المشكلات الأسرية كما تراها عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أنه قد جاء ترتيب المشكلات الأسرية، في المرتبة الأولى

مشكلات تأثير استخدام التقنية على الأسرة (الإنترنت، الجوال، الفضائيات) بما نسبته (٦٠,٩٪). وجاء في المرتبة الثانية مشكلة سلبية العلاقات الاجتماعية بما نسبته (٥٤,٣٪). وجاء في المرتبة الثالثة مشكلة انخفاض الدخل وازدياد تكلفة المعيشة بما نسبته (٤٠,١٪). وفي المرتبة الرابعة مشكلة العنف بما نسبته (٣٨,٨٪). وجاء في المرتبة الخامسة مشكلات أخلاقية بما نسبته (٣١,٦٪). وجاء في المرتبة السادسة كل من مشكلة تدني المستوى المعيشي، ومشكلة انتشار السلوك الاستهلاكي والتفاخري بما نسبته (٣٠,٩٪). وجاء في المرتبة السابعة مشكلات توجيه وإرشاد للأبناء بما نسبته (٢٤,٣٪).

سابعاً: الوظائف الاجتماعية للأسرة:

جدول رقم (١٩) الوظائف الاجتماعية للأسرة ن =٣٠٤

الوظائف الأسرية	موافق بشدة		موافق		لا ادري		غير موافق		غير موافق بشدة		الترتيب
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
حفظ واستمرارية النوع	١١٥	٣٧,٨	١٨٩	٦٢,٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣
الحفاظ على القيم والأخلاق	٩٠	٢٩,٦	١٦٨	٥٥,٣	٤٦	١٥,١	٠	٠	٠	٠	٥
توفير الاستقرار النفسي	١١٣	٣٧,٢	١٩١	٦٢,٨	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢
التنشئة الاجتماعية	٩٢	٣٠,٣	٢١١	٦٩,٤	٠	٠	١	.٣	٠	٠	١
توفير الأمن الاجتماعي والاقتصادي	٤٦	١٥,١	١٩٠	٦٢,٥	٦٦	٢١,٧	١	.٣	١	.٣	٣
حث أفراد الأسرة على العطاء والتضحية	٧١	٢٣,٤	١٨٨	٦١,٨	١	.٣	٤٤	١٤,٥	٠	٠	٤

تشير بيانات الجدول رقم (١٩) إلى الوظائف الاجتماعية للأسرة كما تراها عينة الدراسة. حيث توصلت الدراسة إلى أنه قد جاء ترتيب الوظائف الاجتماعية

للأسرة، في المرتبة الأولى وظيفة التنشئة الاجتماعية بما نسبته (٦٩,٤٪). وجاء في المرتبة الثانية وظيفة توفير الاستقرار النفسي بما نسبته (٦٢,٨٪). وجاء في المرتبة الثالثة وظيفة توفير الأمن الاجتماعي والاقتصادي بما نسبته (٦٢,٥٪). وجاء في المرتبة الرابعة وظيفة حفظ واستمرارية النوع بما نسبته (٦٢,٢٪). وجاء في المرتبة الخامسة وظيفة حث أفراد الأسرة على العطاء والتضحية بما نسبته (٦١,٨٪). وجاء في المرتبة السادسة وظيفة الحفاظ على القيم والأخلاق بما نسبته (٥٥,٣٪).

* * *

مناقشة النتائج:

في ضوء أهداف وتساؤلات الدراسة، نعرض فيما يلي لنتائج الدراسة وعلاقتها بالدراسات السابقة، مصنفة حسب تساؤلات الدراسة، وهي كما يلي:

س١- ما خصائص النمط الأسري من حيث الخصائص الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية للأسرة وحجم الأسرة ونوعها؟

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج حول خصائص النمط الأسري في محافظة الخرج، من أهمها:

١- اختلاف الوظائف التي يعمل بها أرباب الأسر، حيث إن نسبة من يعملون بوظائف حكومية (٢٩,٩٪). بينما ما نسبته (٢٧,٦٪) يعملون في الزراعة. ومن يعملون أعمالاً حرة بما نسبته (١٩,٧٪). وبقية النسب لبقية الوظائف.

٢- ما يقرب من نصف العينة هم من يحملون مؤهلاً جامعياً. ويليهم من يحملون المؤهل المتوسط والثانوي. بينما نسبة ضئيلة تحمل أعلى من المؤهل الجامعي.

٣- ما يقرب من نصف العينة دخلهم الشهري متوسط، بينما تساوت الفئتان الأخيرتان (المتدني والمرتفع).

٤- أكثر من نصف العينة يقيمون في محافظة أي في منطقة حضرية. بينما النصف الأخر من العينة يقيمون في مناطق قروية وريفية، أو هجر بدوية.

٥- أكثر الأسر لديها (٥) أولاد. ويليهم الأسر التي لديها (٤) أولاد بما نسبته (٢٥,١٪). بينما ما نسبته (١٥,١٪) لديهم (٨) أولاد أما متوسط عدد الأولاد في الأسرة فيبلغ (٤,٧٩) أولاد.

وهذا يتفق مع ما جاءت به معظم الدراسات العربية، التي تناولت موضوع الأسرة ومنها، ، دراسة الثاقب (١٩٧٦)، ودراسة خيري (١٩٨٢)، ودراسة عثمان (١٩٨٦) للأسرة الحضرية في المجتمع الأردني ، ودراسة عجوبة (١٩٨٦)، ودراسة القيسي والعموش (١٩٩٧)، ودراسة الغانم (١٩٩٨) ، ودراسة مسلم (١٩٩٨)، ودراسة الكسادي (١٩٩٧)، ودراسة أحمد (١٩٨٩)، ودراسة الطويل (٢٠٠٥). والتي جميعها اتفقت على التحول الذي شهده التركيب البنيوي للأسرة من بروز الأسرة النووية، وتزايد وجودها في أوساط الجماعات المدنية المتعلمة، في حين أنها تقل في الأوساط الريفية والبدوية وغير المتعلمة.

كما يؤكد ما توصلت إليه العديد من الدراسات في المجتمع السعودي، ومنها دراسة العبدالله (١٩٩٩) التي كشفت عن تقلص شكل الأسرة من الأسرة الممتدة المركبة، وانتشرت الأسرة النووية. وتتفق مع ما أشارت إليه دراسة قريطم (١٩٨١) من أن الأسرة النووية تشكل غالبية الأسر عينة الدراسة. وكذلك توصل العرياني(١٩٩٤) في دراسته عن قرية سعودية إلى شيوع الأسرة النووية بدل الأسرة الممتدة. وتتفق مع دراسة الجوير (١٩٩٢) التي توصلت أن الأسرة تغيرت من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية. ومع دراسة العبيدي (١٩٩٦) التي أشارت إلى انخفاض حجم الأسرة الممتدة ، بينما ارتفع حجم الأسرة النووية.

س٢- ما التغيرات المعاصرة التي تعرض لها النظام الزواجي في الأسرة في محافظة الخرج ؟

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج فيما يتعلق بالنظام الزواجي، والتي من أهمها:

١- غالبية الأسر مكونة من زوجة واحدة، بينما كان هناك نسبة بسيطة هي التي تعددت زوجاتها من زوجتين أو ثلاث زوجات.

٢- أكثر من نصف المبحوثين كانت طبيعة زواجهم داخلي أي من الأقارب.

٣- غالبية عينة الدراسة يفضلون زواج أبنائهم من أقاربهم.

٤- غالبية المبحوثين يفضلون زواج أولادهم من أقاربهم الأعمام. بينما نسبة قليلة هي التي تفضل زواج أولادهم من أخوالهم.

٥- غالبية المبحوثين يؤيدون تعدد زوجات أبنائهم .

٦- الغالبية يؤيدون ترك الحرية للأولاد الذكور.

٧- أكثر من نصف العينة تؤيد ترك الحرية للبنات لاختيار زوجها .

٨- غالبية المبحوثين يفضلون تزويج بناتهم من أقاربهم، وأقل من ثلث العينة يفضلون زواج أبنائهم الذكور من أقاربهم.

وتتفق إحدى نتائج هذه الدراسة مع ما أشار إليه خيري (١٩٨٢) من وجود تغيرات في وظيفة متخذ القرار في الأسرة العربية، حيث أظهرت الدراسة إلى مشاركة الأبناء في عملية اختيار المهنة واختيار شريك الحياة. وكذلك تتفق مع ما توصلت إليه دراسة المجالي (١٩٩٦) من حدوث تحول في سيطرة الأب والأم على اتخاذ القرارت الأسرية، بحيث لم تعد سلطات الأب مطلقة، فأصبح للأم وجود مهم في اتخاذ القرارات الأسرية، مع مشاركة الأبناء في بعض القرارات ذات العلاقة بحياتهم الخاصة، مع اختلاف ذلك في ضوء بعض الخصائص الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية للأسرة.

كما تتفق مع ما يراه عرابي والعمري (٢٠٠٢) من زيادة فرص الاختيار للفتاة في المجتمع السعودي ؛ لأخذ رأيها عند تقدم شاب للزواج منها، وتغير نظرة التمييز بين الذكر والأنثى.

وقريباً من هذه النتيجة ما أشارت إليه دراسة خمش (٢٠٠٠) إلى اختلاف دور الأسر النووية اتجاه شبكة الأقارب، حيث اقتصرت الأسرة النووية في علاقتها بوالدي الزوج والزوجة بينما أصبحت علاقتها بغيرهم من الأقارب أقل وضوحاً كعوائل الأعمام والأخوال خصوصاً في المجتمعات الحضرية.

س٣- ما أهم العوامل المؤثرة على الأسرة في محافظة الخرج ؟

توصلت الدراسة إلى أنه قد جاء ترتيب العوامل المؤثرة على التغير الأسري كما تراها عينة الدراسة، مرتبة الأعلى فالأدنى، عامل صراع الأدوار داخل الأسرة، ضعف الوازع الديني، الاتصال الثقافي بالآخرين، عامل المنفعة والمصالح، عامل قوة تأثير وسائل الإعلام، عامل التباعد المكاني، عامل كبر حجم الأسر، عامل تدني الأوضاع الاقتصادية، ظهور مؤسسات سلبية في المجتمع، الحياة الحضرية. ومثل هذه العوامل تتفق مع ما يراه عرابي والعمري (٢٠٠٢) من أن التعليم والاستقرار الحضري والعمل ساهم في التغير الأسري.

س٤- ما صور التغير الأسري الواضحة في الأسرة في محافظة الخرج ؟

توصلت الدراسة إلى أن ترتيب صور التغير الأسري كما تراها عينة الدراسة، هي، تغير قيادة الأسرة، تغير أدوار ومكانات بعض أفراد الأسرة، انخفاض الغيرة والحمية الأسرية، تغير علاقات أفراد الأسر الواحدة، تغير علاقات العائلة والقبيلة، الاستقلالية في المسكن والدخل، علاقات جماعات الجيرة وسكان الحي، تغير تأثير الأسرة على التنشئة الاجتماعية، النزعة الفردية لدى أفراد الأسرة.

وهو ما يتفق مع ما سبق أن عرضنا له في الدراسات السابقة من وجود تحول في الوظائف الأسرية، وقد ترتب على هذا التحول في بنيان الأسرة السعودية تغيراً في الأدوار بالنسبة للزوج وكذلك للزوجة.

كما تتفق مع ما أشار إليه الثاقب (١٩٨٦) أن تأثير التغير الاجتماعي وما يضمه من تصنيع وحضرية على النسق العائلي كبير جد شمل تغير نمط العائلة، وتفكك الروابط بين العائلة وشبكة الأقارب، وتخلي العائلة عن معظم وظائفها، واختفاء كثير من العادات والتقاليد وظهور قيم جديدة احتلت مكانها. كما تتفق مع ما أشارت إليه دراسة عثمان (١٩٨٦) من وجود تغيرات اجتماعية واقتصادية للأسرة الأردنية. وكذلك دراسة العيسي (١٩٨٢) التي أكدت على وجود تحولات في البناء الأسري للمجتمع القطري بشكل خاص جراء التعليم والحضرية، وانتشار وسائل الاتصال، وتغير حجم الأسرة واستقلالها اقتصادياً، وتغير أساليب التنشئة الاجتماعية الوالدية نتيجة التعليم وتنوع مصادر القيم الثقافية. ودراسة جلبي وآخرين (١٩٩٥) من وجود تغيرات اجتماعية هامة في الأسرة الإماراتية جراء العملية الانتقالية التي عاشها مجتمع الإمارات مما خلق مشكلات عدة ناجمة عن تلك التغيرات سواء في بنية الأسرة أو وظائفها.

س٥- ما المشكلات التي تعاني منها الأسرة في محافظة الخرج؟

توصلت الدراسة إلى أنه قد جاء ترتيب المشكلات الأسرية كما تراها عينة الدراسة، في المرتبة الأولى تأثير استخدام التقنية على الأسرة (الإنترنت، الجوال، الفضائيات). وفي المرتبة الثانية سلبية العلاقات الاجتماعية. والمرتبة الثالثة انخفاض الدخل وازدياد تكلفة المعيشة. وجاء في المرتبة الرابعة العنف. والمرتبة الخامسة مشكلات أخلاقية. والمرتبة السادسة مشكلة تدني المستوى المعيشي. ومشكلة انتشار السلوك الاستهلاكي والتفاخري. والمرتبة السابعة مشكلات توجيه وإرشاد للأبناء.

وعن مشكلات العنف نجد أن هذا يتفق مع ما أشارت إليه الدراسات العلمية من الحالات التي تعرضت فيها المرأة لصور مختلفة من العنف والإساءة،

حيث أشارت دراسة جان (٢٠٠٦) ، ودراسة الفايز (٢٠٠٦) إلى صور مختلفة تتعرض لها المرأة السعودية من صور العنف والإساءة المختلفة (الجسدية ، المادية ، الجنسية ، العاطفية). وما توصل إليه الزهراني (٢٠٠٣) من تفشي ظاهرة إيذاء الأطفال في المجتمع السعودي جراء طبيعة التركيبة الأسرية في المجتمع.

س٦- ما الوظائف المتبقية للأسرة في محافظة الخرج وفق رؤية عينة الدراسة؟

توصلت الدراسة إلى أن الوظائف المتبقية للأسرة في محافظة الخرج ، جاءت مرتبة حسب نسبها ، وظيفة التنشئة الاجتماعية ، وظيفة توفير الاستقرار النفسي ، وظيفة توفير الأمن الاجتماعي والاقتصادي ، وظيفة حفظ واستمرارية النوع ، وظيفة حث أفراد الأسرة على العطاء والتضحية ، وظيفة الحفاظ على القيم والأخلاق. وهذا يختلف مع ما يراه خيري (١٩٩١) من أنه قد طرأت تغيرات هامة على عملية التنشئة وهي الوظيفة الرئيسة التي تقوم بها الأسرة تجاه أطفالها. فمساهمة الكبار في التنشئة لم تعد كما كانت عليه حينما كانت التنشئة عملاً جماعياً ، ويتم في إطار القيم الاجتماعية السائدة. كما أشار الشطي (١٩٩٨) إلى حدوث تغير في وظيفة المرأة الخليجية عامة والكويتية على وجه الخصوص خصوصاً بعد توفر فرص العمل لديها ، في الإنفاق على الأسرة وعدم اقتصار ذلك على الزوج فقط ، مع ما لهذا الخروج من تأثير على وظيفتها الرئيسة في الأسرة خصوصاً رعاية أطفالها.

وتتفق مع دراسة الجوير (١٩٩٥)، من أن للأسرة وظائف مهمة تقوم بها في المجتمع والتي منها إشباعات الفرد ، والضبط الاجتماعي ، والمحافظة على منجزات المجتمع ، وحفظ واستمرارية النوع ، والحفاظ على الأخلاق وتوفير الاستقرار ، والتنشئة الاجتماعية حسب الثقافة والقيم ، والأمن الاجتماعي والاقتصادي ،

والحث على العطاء والتضحية. كما تتفق مع ما توصل إليه القيسي والعموش (١٩٩٦) من أنه صاحب هذا التغير في بنية الأسرة تغيرٌ في وظائفها. فمسؤولية الأسرة الممتدة كانت شاملة. أما الأسرة الصغيرة فبالرغم من احتفاظها ببعض الوظائف التقليدية إلا أن العديد من الوظائف انتقلت إلى مؤسسات أخرى في المجتمع.

س٧ – ما النمط الأسري المفضل لدى عينة الدراسة؟

توصلت الدراسة إلى أن غالبية عينة الدراسة يفضلون نمط الأسرة النووية سواءً من حيث حجم الأسرة، أو في عدد أطفالها. بينما ما نسبته (٣٩,١٪) يفضلون نمط (الأسرة الممتدة) التي تشمل الأب والأم وأبناءهم وأسر الأبناء. ويتفق ذلك مع ما أشارت إليه دراسة باقادر (١٩٨٤) من تفضيل بلوغ حجم الأسر أربعة أطفال. وتتفق ما أشار إليه الزعل (٢٠٠١) من أن متوسط حجم الأسرة على الرغم من كبره النسبي إلا أنه بدأ يتناقص تدريجياً ويتنوع من قطر عربي إلى آخر. وكذلك أشار الشطي (١٩٩٨) إلى أن المجتمع الكويتي كنموذج لمجتمعات الخليج العربية، يميل أفراده للتقليل قدر الإمكان من عدد الأطفال.

* * *

التوصيات:

في ضوء ما سبق نستطيع القول بأنه قد حدثت تغيرات بنيوية في الأسرة في محافظة الخرج، منها ما هو مقبول جداً بل يعد إيجابياً، ومنها ما يعد سلبياً تصبح الأسرة معه بحاجة للمساعدة من قبل مؤسسات المجتمع المختلفة.

فمن أهم التغيرات البنيوية الإيجابية ارتفاع المستوى التعليمي لأرباب الأسرة، حيث كان ما يقرب من نصف العينة هم ممن يحملون مؤهلاً جامعياً. وكذلك تناسب دخولهم وأوضاعهم الاقتصادية. كما نلحظ ارتفاع مستوى الحضرية في محافظة الخرج إذ أن أكثر من نصف العينة يقيمون في محافظة أي في منطقة حضرية. ومن ثم نوصي هنا بالنظر إلى تلك التغيرات نظرة إيجابية يستعين بها المخطط الحضري للمحافظة لمراعاتها عند تقديم نوعية الخدمات الاجتماعية والتعليمية والثقافية لأسر المحافظة.

وفيما يتعلق بالتغيرات التي لحقت بالنسق الزواجي، فنجد أن هناك تغيرات بنيوية إيجابية جداً، والتي من أبرزها اتساق الحجم الأسري لأسر المحافظة مع المعدل الطبيعي للأسرة السعودية حيث تبين أن أكثر الأسر لديها (٥) أولاد. وكذلك ارتبط به انحسار التعدد الزواجي حيث إن غالبية الأسر مكونة من زوجة واحدة. وكذلك تبين أن نمط (الأسرة النووية) المكونة من الزوج والزوجة وأولادهم هو النمط المفضل لنوعية الأسرة في محافظة الخرج.

بينما من الصور التقليدية للنسق الزواجي استمرارية تفضيل الزواج القرابي حيث تبين أن أكثر من النصف كانت طبيعة زواجهم داخلي أي من الأقارب. وأن غالبيتهم يفضلون زواج أبنائهم من أقاربهم. وأن غالبية المبحوثين يفضلون زواج أولادهم من أقاربهم الأعمام. وأن غالبية المبحوثين يؤيدون تعدد زوجات أبنائهم.

وهي سمات نسقية نوصي بالتدخل من قبل المؤسسات الثقافية والاجتماعية والصحية والشرعية للتوعية بشأنها، خصوصاً إذا ما علمنا المخاطر من جراء استمرارية الزواج القرابي على الجانب الصحي، وعلى جوانب الانتماء والقبلية في المجتمع. أما أبرز الإيجابيات في النسق الزواجي فهي، أن الغالبية يؤيدون ترك الحرية للأولاد ذكوراً وإناثاً لاختيار شريك حياتهم. وهي سمة تعني تخلي الآباء عن جزء من سمات القرار في الأسرة التقليدية بحيث أصبح هناك إشراك للقرار داخل النسق الأسري.

كما اتضح تأثر الأسرة في محافظة الخرج بالمتغيرات الحضرية، والتي برزت بصورة العوامل المؤثرة على التغيرات الأسرية، فهي إقرار بوجود التغيرات، وكذلك تحديد للعوامل المؤثرة بها. وهي مهمة جداً لمؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة مما يجعلنا نوصي بضرورة مشاركة مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة (المدرسة، المسجد، وسائل الحي، جماعات القرابية، مؤسسات المجتمع المدني، جماعات أصدقاء العمل)، لمعالجتها.

كما تعبر صور التغير الأسري في جانب كبير منها على تغيرات تمس البناء النسقي للأسرة، والتي من أهمها حدوث تغير قيادة الأسرة، وتغير أدوار ومكانات بعض أفراد الأسرة، وانخفاض الغيرة والحمية الأسرية، وهي تغيرات متوقعة إذا ما علمنا أن أكثر من نصف عينة الأسرة أصبحت من الأسر الحضرية في نطاقها المكاني، وبالتالي يؤثر هذا في النمطية الحضرية، للتغير المعنوي والثقافي لقيم الحضرية التي حلت محل القيم التقليدية. والتي عبرت عنها بشكل واضح الصور السلبية كما تراه الأسرة التقليدية للمتغيرات الأسرية، والتي منها تغير علاقات أفراد الأسر الواحدة، وتغير علاقات العائلة والقبيلة، والاستقلالية في

المسكن والدخل، وعلاقات جماعات الجيرة وسكان الحي، وتغير تأثير الأسرة على التنشئة الاجتماعية، النزعة الفردية لدى أفراد الأسرة. والتي قد لا تكون تغيرات أسرية بقدر ما هي صور لطبيعة الحياة الحضرية وآثارها. لذلك نوصي بضرورة مراعاة ذلك في البرامج التنموية والإنمائية لأبناء محافظة الخرج.

وبالتالي في ظل تلك التغيرات عبرت عينة الدراسة عن تدني الوظائف التي تقوم بها الأسرة كمؤسسة اجتماعية، والذي بدوره قلل من وظائف الأسرة الحضرية في المحافظة، حيث تبقى لها وظيفة التنشئة الاجتماعية. ووظيفة توفير الاستقرار النفسي، وظيفة توفير الأمن الاجتماعي والاقتصادي، ووظيفة حفظ واستمرارية النوع، ووظيفة حث أفراد الأسرة على العطاء والتضحية، ووظيفة الحفاظ على القيم والأخلاق. وهي أيضاً صورة إيجابية تعبر عن رؤية أرباب الأسر للمهام المنوط بأسرهم من أجل القيام بها. مما يجعلنا نوصي بتدعيم مثل تلك الرؤية ونوصي أن تقوم مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى بمساعدة الأسرة للقيام بتلك الوظائف، وهي وظائف رئيسة للأسرة.

وفي ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج تبين بوضوح بعض التغيرات البنيوية للأسرة في المحافظات المتحولة في المجتمع السعودي وهي نتائج من الضروري أن تؤخذ بعين الاعتبار للمخطط الإنمائي لمثل تلك المحافظات. مما يجعلنا نوصي ونؤكد على مزيد من الدراسات والبحوث الميدانية في ظل التغيرات الأسرية والحضرية التي تعرضت لها الأسر السعودية في عدد من المحافظات بالمجتمع السعودي التي لم تحظ بأي دراسة حتى الآن. من أجل الخروج برؤية لطبيعة التخطيط المراد القيام به في هذا النوع من الأنماط الحضرية.

المراجع :

١- **أحمد، صبيح** (١٩٨٩). أثر التنمية على الأسرة المتعلمة في الإمارات. مجلة كلية الآداب، العدد (٥)، جامعة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ص١٩٣- ٢٥٦.

٢- **إسماعيل، سيد** (١٩٩٤). الأسرة في القرن الحادي والعشرين. في كتاب: دعم دور الأسرة في مجتمع متغير، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، العدد (٢٨)، المكتب التنفيذي لمجلس وزارة الشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، البحرين، ص ١٤١–٢١٣.

٣- **باقادر، أبو بكر** (١٩٨٤) . بنية الأسرة العربية. مجلة جامعة الملك عبدالعزيز الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٤)، جامعة الملك عبدالعزيز، جده، ص٢٥٣- ٢٧٤.

٤- **باقادر، أبو بكر، والخزرجي ، يحيى** (١٩٩٤) . تكاليف الزواج في التسعينات. في كتاب: دعم دور الأسرة في مجتمع متغير ، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، العدد (٢٨)، المكتب التنفيذي لمجلس وزارة الشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، البحرين، ص ٥٨٥- ٦١٢.

٥- **البريكان، لولوة** (٢٠٠٠). تغير دور المسن في الأسرة السعودية . جامعة الملك سعود، كلية الآداب ، قسم الدراسات الاجتماعية ، رسالة ماجستير غير منشورة .

٦- **ابن هاني، عبدالرزاق، ومحمد، الروابده** (١٩٩٣). الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للأسرة الأردنية. مجلة أبحاث اليرموك، العدد (٣)، جامعة اليرموك، ص٩- ٤٧.

٧- **التويجري، محمد، عبدالحميد، محيي** (٢٠٠٢). التحديات التي تواجه كبار السن في المجتمع المعاصر، مجلة شؤون اجتماعية، العدد (٧)، جمعية الاجتماعيين، الشارقة، ص ١٢٢- ١٣٠.

٨- **الثاقب، فهد** (١٩٧٦). حول حجم وبنية الأسرة العربية والكويتية. مجلة العلوم الاجتماعية، العدد (١)، جامعة الكويت، ص ٨١- ٩١.

٩- **الثاقب، فهد** (١٩٨٦). التحضر وأثره على البناء العائلي. مجلة العلوم الاجتماعية، العدد (٤)، جامعة الكويت، ص ٢٠٩- ٢٢٣.

١٠- **الجابري، شريقي** (٢٠٠٢). التحولات الاجتماعية والاقتصادية وتأثيرها في بعض القيم الاجتماعية في المجتمع السعودي. رسالة دكتوراه منشورة، قسم الاجتماع، جامعة عين شمس، القاهرة.

١١- **جان، نادية** (٢٠٠٦). العنف ضد المرأة. ورقة عمل قدمت في ندوة الحماية الأسرية، كلية التربية للبنات، وزارة التربية والتعليم، الرياض.

١٢- **جلبي، علي وآخرون** (١٩٩٥). دراسات في علم الاجتماع العائلي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

١٣- **الجوير، إبراهيم** (١٩٩٥). الأسرة والمتغيرات التنموية في المملكة العربية السعودية. الرياض: مكتبة العبيكان.

١٤- **الجوير، إبراهيم** (١٩٩٥). عمل المرأة في المنزل وخارجه. الرياض: مكتبة العبيكان.

١٥- **الجوير، إبراهيم** (٢٠٠٤). العولمة وأثرها على الأسرة السعودية. قدمت في ندوة الجمعية السعودية لعلم الاجتماع. الرياض: مركز الأمير سلمان الاجتماعي.

١٦- **الحديب، عبدالله** (١٩٩٥). موجز تاريخ الخرج. الرياض: غير محدد دار النشر.

١٧- **حسن، محمود** (١٩٨٢). الأسرة ومشكلاتها. بيروت: دار النهضة العربية.

١٨- **الخطيب، جمال** (١٩٩٦). مدخل حول المسؤولية الأسرية في تربية الأبناء ورعايتهم. البحرين: المكتب التنفيذي لمجلس وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

١٩- **خمش، مجد الدين** (٢٠٠٠). الأسرة العربية المعاصرة والعلاقات مع الأقارب. مجلة المنهل، العدد (٥٦٢)، جدة، ص١٢٤- ١٣١.

٢٠- **الخولي، سناء** (١٩٨٤). الأسرة والحياة العائلية. بيروت: دار النهضة العربية.

٢١- **خيري، مجد الدين** (١٩٨٢). بناء السلطة في الأسرة العربية المعاصرة. المجلة الاجتماعية القومية، العدد (١- ٢- ٣)، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ص٤٧- ٥٦.

٢٢- **خيري، الدين** (١٩٩١). أشكال التدخل الأسري في بعض شؤون الأبناء من الشباب الجامعي. مجلة مؤتة للدراسات والبحوث، العدد (١)، جامعة مؤتة، الأردن، ص ٢٣٧- ٣٧٣.

٢٣- **الدريهم، سعد** (١٩٩٣) الخرج. سلسلة هذه بلادنا، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

٢٤- **زايد، أحمد** (١٩٩٣). المداخل النظرية لدراسة الأسرة. في كتاب: الأسرة في الجزيرة العربية، الرياض: جامعة الملك سعود، مركز بحوث كلية الآداب، ص ٤- ٥٥.

٢٥- **زايد، أحمد** (١٩٩٨). الأسرة والمدينة والخدمات الاجتماعية المنظور السوسيولوجي. في كتاب: الأسرة والمدينة والخدمات الاجتماعية، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية العدد (٣٦)، المكتب التنفيذي لمجلس وزارة الشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، البحرين، ص ١١- ٦٥.

٢٦- **الزعل، علي** (٢٠٠١). التغير في الخصائص الاقتصادية للأسرة الأردنية. مجلة أبحاث اليرموك، العدد (٢)، جامعة اليرموك، الأردن، ص٣٥٩- ٤٢٢.

٢٧- **الزهراني، سعد** (٢٠٠٣). ظاهرة إيذاء الأطفال في المجتمع السعودي. الرياض: مركز أبحاث الجريمة.

٢٨- **الزهراني، عبدالرزاق** (٢٠٠٠). بنية الأسرة المسلمة. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٢٥)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص ٥٦٥- ٥٩٦.

٢٩- **الساعاتي، حسن** (١٩٨٩). الإطار الاجتماعي للمجتمع العربي. في كتاب (المجتمع العربي) تحرير إحسان عباس، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ص٣٨٧- ٤٤١.

٣٠- **الشطي، عدنان** (١٩٩٨) . الاتجاه نحو بعض وظائف الأسرة الكويتية. حوليات كلية الآداب، الحولية الثامنة عشر، جامعة الكويت، الكويت.

٣١- **شكري، علياء** (١٩٨٥). الاتجاهات المعاصرة في دراسات الأسرة. القاهرة: دار المعارف .

٣٢- **الطويل، هاشم** (٢٠٠٥). التغير الاجتماعي لبعض خصائص الأسر في الريف الأردني. مجلة جامعة الملك خالد، العدد (٤)، جامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية، ص١- ٢٨.

٣٣- **العبد الله، إبراهيم** (١٩٩٩). التغير الاجتماعي في المملكة العربية السعودية. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٢٤)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص ٥٣٧- ٥٨٧.

٣٤- **العبيدي، إبراهيم** (١٩٩٦). العوامل المرتبطة بنمط الأسرة في مدينة الرياض. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد(٨١)، جامعة الكويت، الكويت، ص ٣٣- ٥٩.

٣٥- **عثمان، إبراهيم** (١٩٨٦). التغيرات في الأسرة الحضرية. مجلة العلوم الاجتماعية، العدد (٣)، جامعة الكويت، ص ١٥٣- ١٧٧.

٣٦- **عجوبة، مختار** (١٩٨٦). التغيرات البنيوية في المجتمعات المستحدثة: دراسة لأحد مشروعات التنمية في السودان. مجلة كلية الآداب، العدد (١)، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٩٩- ٣٢٢.

٣٧- **عجوبة، مختار** (١٩٩٣). أنظمة الرعاية الأسرية. في كتاب: الأسرة في الجزيرة العربية، الرياض: جامعة الملك سعود، مركز بحوث كلية الآداب، ص ٥٥- ١٠٧.

٣٨- **عرابي، عبد القادر، والعمري، عبيد** (٢٠٠٢) . التحديث والتغير الثقافي والقيمي في المجتمع العربي السعودي. جامعة الملك سعود، عمادة البحث العلمي، الرياض .

٣٩- **العرياني، محمد** (١٩٩٤). التنمية وتغير البناء الاجتماعي في الريف السعودي – دراسة ميدانية عن مجتمع بلعريان القروي. رسالة ماجستير، قسم الاجتماع ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، جده.

٤٠- **العمري، سلمان** (٢٠٠٣) . المرأة السعودية والخادمة. الرياض: غير محدد دار النشر.

٤١- **العيسى، جهينة** (١٩٨٢). المجتمع القطري. القاهرة: مطابع سجل العرب، ص٢١٣- ٢٢١.

٤٢- **الغامدي، سعيد** (١٩٨٩). تغير الأدوار في الأسرة الريفية. مجلة جامعة الملك عبدالعزيز الآداب والعلوم الإنسانية، مجاد (٢)، جامعة الملك عبدالعزيز، جده، ص١- ٣٢.

٤٣- **الغانم ، كلثم** (١٩٩٨) .التحولات الاجتماعية ومظاهر التحول في المجتمع القطري. مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد (٢١)، جامعة قطر، دولة قطر، ٢٧١- ٢٨٩.

٤٤- **الغريب، عبدالعزيز** (٢٠٠٥). التدابير المجتمعية لمواجهة بعض المشكلات الاجتماعية. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، عدد (١١٦)، جامعة الكويت ، الكويت، ٩٧- ١٥٠.

٤٥- **الغريب، عبدالعزيز** (٢٠٠٥). المكانة الاجتماعية للمسنين في ضوء التغيرات الحضرية. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٤٦- **الغريب، عبدالعزيز، العود، ناصر** (٢٠٠٦). الإساءة لكبار السن في المجتمع السعودي. قيد النشر، مركز البحوث الاجتماعية بجامعة أم القرى.

٤٧- **الفايز، ميسون** (٢٠٠٦). الإساءة ضد المرأة. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، وزارة التربية والتعليم، الرياض.

٤٨- **قريطم، عبدالهادي** (١٩٨١). الأسر السعودية: الدور والتغير وأثرها في اتخاذ القرارات. : جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، مركز البحوث والتنمية.

٤٩- **القيسي، سليم، والعموش، أحمد** (١٩٩٦). الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن. مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (١٠)، جامعة الملك عبدالعزيز، جده، ص٢٥- ٧٢.

٥٠- **الكسادي، عادل** (١٩٩٧). مظاهر تغير الأسرة الحضرية في مدينة المكلا – اليمن. مجلة شؤون اجتماعية، العدد (٥٣)، جمعية الاجتماعيين، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص٤٧- ٨٢.

٥١- **المجالي، قبلان** (١٩٩٦). وجهة نظر الأبناء في سيطرة الأب والأم على اتخاذ القرار الأسري. مجلة مؤتة للدراسات والبحوث، العدد (٣)، جامعة مؤتة، الأردن، ص ٤٣- ٧٦.

٥٢- **المرعول، محمد** (١٩٩٨). تكامل دور الأسرة والمؤسسات الاجتماعية في رعاية المسنين. جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم الدراسات الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة.

٥٣- **مركز أبحاث الجريمة** (١٩٩٢). الأسرة السعودية. الرياض: وزارة الداخلية.

٥٤- **مسلم، عدنان** (١٩٩٨). أثر التصنيع على بنية الأسرة السورية. مجلة شؤون اجتماعية، العدد (٥٩)، جمعية الاجتماعيين، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص ٧٩- ١٠٦.

٥٥- **مصلحة الإحصاءات العامة** (٢٠٠١). التقرير الإحصائي. الرياض: المطابع الحكومية.

٥٦- **مصلحة الإحصاءات العامة** (٢٠٠١). المؤشر الإحصائي. الرياض: المطابع الحكومية.

٥٧- **المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول الخليج العربية** (١٩٩٤). التنشئة الاجتماعية بين تأثير وسائل الإعلام ودور الأسرة. سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، العدد (٢٥)، البحرين، ص ٣٤- ٣٧.

٥٨- **النجار، سليمان** (١٩٩٤). الأسرة والتغير الاجتماعي في المرحلة الانتقالية في مجتمع الخليج العربي. في كتاب: دعم دور الأسرة في مجتمع متغير، سلسلة الدراسات

الاجتماعية والعمالية، العدد (٢٨)، المكتب التنفيذي لمجلس وزارة الشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، البحرين، ص ١٧- ٤٦.

٥٩- **النجار، سليمان** (١٩٩٩). سوسيولوجيا المجتمع في الخليج العربي. بيروت : دار الكنوز.

٦٠- **الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض** (٢٠٠٤). الرياض في خمسين عاماً. ص ٤٠.

٦١- **وزارة الاقتصاد والتخطيط** (٢٠٠٤). النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن لعام ١٤٢٥. الرياض: مطابع مصلحة الإحصاءات العامة.

٦٢- **وزارة التخطيط والاقتصاد** (٢٠٠٣). منجزات التنمية. الإصدار الحادي والعشرون ١٩٧٠- ٢٠٠٣. الرياض: مطابع الوزارة ، ص ٢٩٠.

٦٣- **وزارة التخطيط والاقتصاد** (٢٠٠٥). منجزات التنمية. الإصدار الثالث والعشرون ١٩٧٠- ٢٠٠٤. الرياض: مطابع الوزارة، ص ٣٩١- ٣٩٤.

٦٤- **اليوسف، عبدالله** (٢٠٠٢) . الأطفال الباعة والمتسولون. الرياض: وزارة الشؤون الاجتماعية.

* * *

صورة المملكة العربية السعودية في العالم: دراسة مسحية على عينة من الأكاديميين الإعلاميين في المملكة العربية السعودية

د. علي بن شويل القرني
قسم الإعلام ـ كلية الآداب
جامعة الملك سعود

ملخص البحث :

أثرت أحداث ١١ سبتمبر على صورة العرب والمسلمين والسعوديين لدى الغرب، ويرى العرب والمسلمون أن هذه الصورة جاءت مجحفة ظالمة وغير متسقة مع المنطق العقلاني للفكر الغربي. ويرى العرب والمسلمون أن هذه الصورة التي كانت عبر العقود الماضية متسمة بالسلبية، إلا أنها بعد هذه الأحداث تنامت هذه السلبية وانتشرت وراجت بفعل وسائل الإعلام الغربية عامة والأمريكية خاصة. وانطلاقا من هذه الخلفية، يسعى هذا البحث إلى التعرف على هذه الصورة كما يراها السعوديون عن مجتمعهم ومؤسساتهم ومواطنيهم من خلال استظهار هذه الاتجاهات لدى السعوديين من خلال دراسة مسحية تستقصي رؤيتهم نحو هذه الحملات الغربية/ الأمريكية الموجهة إلى العرب والمسلمين وإلى بلدهم ومجتمعهم السعودي، وأشارت النتائج إلى أن صورة الإسلام قد تأثرت كثيرا بفعل هذه الحملات السلبية، تلتها في التأثر السعودية، ثم العرب. كما أوضحت الدراسة أن المنظمات اليهودية/الصهيونية في الولايات المتحدة كانت خلف كثير من هذه الحملات، كما يراها السعوديون. أما على مستوى المؤسسات السعودية التي ساهمت في الدفاع عن المملكة ضد هذه الحملات، فقد جاءت المؤسسات الدبلوماسية في المقدمة. كما أظهرت نتائج الدراسة أن المؤسسات الدينية السعودية جاءت في مقدمة المؤسسات التي تأثرت بفعل هذه الحملات ضد المملكة.

مقدمة:

منذ تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في مدينتي نيويورك وواشنطن الأمريكيتين، يواجه العرب والمسلمون بمن فيهم السعوديون حملات إعلامية نالت من عقيدتهم ومجتمعاتهم ومؤسساتهم ودولهم. ولا تزال هذه الحملات تتضاعف في قوتها وحجمها ورواجها وتأثيرها، تستعر يوماً وتختفي يوماً، ولكنها مستمرة ومتعددة المراحل والأهداف. وقد شعر السعوديون قيادة ومؤسسات ومواطنين بتأثير هذه الحملة عليهم في مجتمعهم داخلياً وخارجياً. ومن هنا فإن هذا الموقف يعبر عن مشكلة يواجهها الناس وتواجهها المؤسسات السعودية، وهذه هي مشكلة الدراسة التي يعمل هذا البحث في إطارها. وتتلخص في سؤال أساسي عن كيف ينظر السعوديون إلى هذه الحملات الموجهة ضدهم، وما مدى إدراكهم لها، ومعرفتهم بالقوى المغذية لها ، ومدى نجاح المؤسسات السعودية في التصدي لهذه الحملات.

أهمية الدراسة:

تنطلق أهمية الدراسة من تناولها لموضوع الحملة التي تواجهها المملكة العربية السعودية منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، والتي تطرقت لموضوعات كثيرة، ولم تستثن أي جانب من جوانب الحياة العامة أو الخاصة للمجتمع السعودي.

وتأتي الأهمية المباشرة لهذه الدراسة من التعرف على اتجاهات السعوديين نحو هذه الحملة المستمرة وتقييمهم لحجمها وتأثيرها ومدى إدراكهم للقوى الدافعة لهذه الحملة والوسائل المستخدمة فيها، وتقييم دور المؤسسات السعودية في مواجهة هذه الحملة. وهذا الاستقصاء العلمي من خلال نخبة من الأكاديميين الإعلاميين يدركون أكثر من غيرهم مجريات مثل هذه الحملات الإعلامية. ومن الملاحظ أن هذه الحملات التي تواجهها المملكة من الخارج، والحملة الإعلامية

التي تعمل المملكة من خلالها للرد على تلك الحملات السلبية لم تحظ باهتمام أكاديمي أو دراسة مستفيضة في مثل هذا الخصوص.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى دراسة أبعاد صورة المملكة العربية السعودية في الولايات المتحدة الإمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م كما يراها السعوديون في الداخل، وتحديدا تعمل الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- التعرف على درجة التحول في الصورة الخارجية للسعوديين بعد أحداث ١١ سبتمبر، نظراً لما تعرضت له المملكة العربية السعودية ومؤسساتها ومجتمعها ومواطنيها من حملات إعلامية من قبل وسائل الإعلام الغربية وخاصة الأمريكية.

٢- تحديد مستوى الأضرار التي حدثت في المؤسسات السعودية بحكم طبيعة الحملة الموجهة إلى المملكة العربية السعودية، كما يراها السعوديون من الداخل.

٣- تحديد مدى مساهمة وسائل الإعلام الأمريكية المختلفة في الحملة ضد المملكة، كما يراها السعوديون.

٤- التعرف على مدى مساهمة القوى السياسية والعسكرية والاستخباراتية والاقتصادية الأمريكية في تغذية الحملة ضد المملكة، كما يراها السعوديون.

٥- تقويم دور المؤسسات السعودية في التصدي للحملة ضد المملكة العربية السعودية.

المراجعات النظرية :

مرت الصورة الذهنية للعرب والمسلمين لدى الثقافة الغربية بمراحل عديدة عبر العقود الماضية. وقد أشار إدموند غريب Ghareeb [١] إلى صورة العربي بالتحديد، حيث كانت هذه الصورة عن العربي قبل نشوء إسرائيل عبارة عن جمال وأهرامات وفتيات راقصات، ثم تحولت هذه الصورة بعد بداية النزاع العربي الإسرائيلي إلى كون صورة العربي تمثل الشخصية المتخلفة، غير الأمينة، المتطرفة المتسمة بالكسل. أما بعد حرب عام ١٩٦٧م بين العرب والإسرائيليين فقد انتقلت الصورة لتركز أكثر على صورة القيادة العربية وتجسدت فيها صورة الفساد والمحسوبية.. ومع بداية حركة التحرير الفلسطينية تحولت الصورة في الغرب عن العربي إلى صورة الإرهابي المتطرف. وفي نفس الاتجاه أشار إدوارد سعيد Said [٢] إلى أن الإسلام كما تغطيه وسائل الإعلام الغربية كان قد وقع تحت طائلة التحيز والمصالح السياسية. وفي تحليله التاريخي رأى سعيد[٣] بأن الإسلام لم يمر بدرجة من الظلم والتحيز لدى الغرب منذ العصور المظلمة مثلما يحدث في هذا العصر الحديث، ورأى أن وسائل الإعلام الغربية تعمد إلى تشويه مستمر للإسلام والمسلمين، وتسعى إلى تعميق فكرة كونه يهدد الحضارة الغربية، وقد ساهم في تكوين هذه الصورة المستشرقون والخبراء الذين تأتي بهم وسائل الإعلام ليتحدثوا عن الإسلام والعرب.

---

(١) Ghareeb, Edmund (ed), 1983, Split Vision: the portrayal of Arabs in American media, American Arab Affairs Council.

(٢) Said, Edward, (1981) Covering Islam: How the media and the expert determine how we see the rest of the world. London: Routledge & keganpaul.

(٣) المرجع السابق

وخلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات ظهرت العديد من الطروحات الغربية من بينها كتاب "صراع الحضارات" لهنتنجتون[١]، وكتاب "نهاية التاريخ" لفوكوياما[٢]، وغيرهما من الكتب، التي إما أنها أشارت إلى ظهور الإسلام كقوة معادية للغرب والحضارة الغربية، أو إلى طروحات رأت أن كل الثقافات والحضارات الأخرى لم يعد لها ذكر وأن الحضارة الغربية هي التي بقيت وستبقى، وهي تمثل الفصل الأخير من التاريخ الإنساني، وهذا الطرح يهمش وجود الحضارات الأخرى ومنها الإسلام وغيره من الديانات والثقافات الإنسانية.

وبطبيعة الحال فقد رسخت بعض هذه الصور السلبية وخصوصاً صورة العربي المسلم الإرهابي بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، حيث تكرس في مفهوم الرأي العام الغربي عامة والرأي العام الأمريكي خاصة مفهوم أن العرب والمسلمين هم إرهابيون حتى تثبت براءتهم.

وينبغي التأكيد هنا على أن وسائل الإعلام بذاتها لا تصنع الصورة الوطنية أو تغير منها، ولكن توجد مؤسسات أخرى تعمل في هذا الاتجاه وتسعى إلى تحقيقه. وذكر روزي وزملاؤه Rosie [٣] أن في المجتمعات مؤسسات تعمل على تقديم المواد والمعلومات الخام التي يتم منها تشكيل الصورة النمطية للمجتمع. وتتلقف وسائل الإعلام هذه المواد وتشكلها وتصيغها في مواد وبرامج إعلامية مناسبة يتم

---

(١) Huntington, Samuel, The Clash of Civilizations and the Remaking of the World order, New York: Touchstone, 1996.

(٢) Fukuyama, Francis, The End of History and the last Man, New York: Avon Books, 1992.

(٣)Rosie, Michael, Pille Petersoo, John MacInnes & Susan Condoer, "Newspapers and national identity in the devolved UK", Edinburgh University, www.institute-of-governance.org

الاعتماد عليها في صناعة أو تغيير أو تعديل أو تأكيد الصورة الذهنية للمجتمعات والدول والمؤسسات.

وفي جانب من الجوانب المهمة لتكوين الصورة، أشارت عدد من الدراسات إلى أن الصورة التي يحملها الأمريكيون عن الجماعات والشرائح الاجتماعية وشعوب العالم تتأثر بالمناهج التعليمية التي يقرأها الطلاب الأمريكيون في مدارسهم، حيث أشارت هذه الدراسات إلى عدم تمثل الصورة التي يلتقطها الأمريكيون لصورة الواقع لحياة وتاريخ وحضور الجماعات الإسبانية وجماعات السود والصينيين والعرب والهنود الأصليين الذين يعيشون في المجتمع الأمريكي، وكذلك صورة المجتمعات والشعوب الخارجية. وقد أوضح ديفيد بيرلموتر Perlmutter [1] أن العمليات التي يتم بموجبها إعداد وصناعة المناهج التعليمية هي ذات ارتباط بوسائل الإعلام، من عدد من النواحي، من بينها:

* تنافس بين مناهج التعليم ومضامين وسائل الإعلام في صناعة الثقافة الجماهيرية للناس، وادعاءات كل جهة إلى كونها تقدم صورة حقيقية لما يدور داخل المجتمع الأمريكي أو في مجتمعات العالم الأخرى.
* ملكية دور النشر التي تنتج الكتب المنهجية في التعليم الأمريكي وخصوصاً تلك المعنية بكتب العلوم الاجتماعية تعود في ملكيتها إلى شركات إعلامية ضخمة. وعلى سبيل المثال في عام ١٩٦٠م كانت توجد مائة شركة أو دار نشر أمريكية تعد وتنتج مقررات العلوم

(١) Perlmutter, David (1997), Manufacturing visions of society and history in textbooks, Journal of Communication, summer.

الاجتماعية في المدارس الأمريكية، وفي عام ١٩٩٥م، أصبحت سبع شركات إعلامية أمريكية كبيرة تنتج ٩٠٪ من الصورة التي يرى بها طلاب الثانويات الأمريكيm مجتمعهم والعالم من خلال مقررات هذه المرحلة.

في المقابل، تتنامى الثقافة الأمريكية وتنتشر في المجتمعات العالمية، وخصوصاً بعد انهيار الشيوعية بتفكك الاتحاد السوفيتي، ودخول المنظومة الاشتراكية تحت لواء الرأسمالية الغربية/ الأمريكية. ولم يعد مستغرباً كما ذكر سبارك Spark [١] أن أكبر فرع لشركة مطاعم مكدونالد الأمريكية موجود في ساحة "رد سكوير Red Squire" أمام مبنى الكرملين، المعقل السابق للشيوعية العدو الأكبر للرأسمالية. كما أن من خطط شركة كوكاكولا الأمريكية خلال السنوات القادمة أن يشرب العالم من مشروبها أكثر من كمية الماء التي يشربها هذا العالم. وكذلك فإن أفضل السيجار في أفريقيا هو من شركة مالبورو الأمريكية. وعلى الرغم من جهود الثقافات الأخرى للتصدي لمشروع الأمركة، إلا أنها تظل هامشية وغير ذات جدوى، مثل ما يحدث في "يورو ديزني" الموجود حول مدينة باريس الفرنسية عندما يحيي ميكي ماوس الجمهور بقوله "بنجور" بدلا من "جودمورننج". ومن منطلق مفهوم الثقافة الكونية، نجد أن شركة عالمية مثل كوكاكولا لم تعد تتوجه في إعلاناتها إلى جمهور معين في أي مكان في العالم، بل باتت تتوجه إلى جماهير كل العالم بدون أي تخصيص، وذلك لأن كل شخص يحب ذات الموسيقى يفهم ذات الصور وكل شخص يشرب كوكاكولا [٢].

---

(١) Spark, Alasdair (1996) Wrestling with America: media national images and global village, Journal of Pupular Culture, vol: 29:4.

(٢) Halleck, Dee & Nathalie Magnan, (1993) "Access for others: alter (native) media practice" Visual Anthropology Review: 9:1, pp. 154-63.

وفي دراسة استعرض فيها سام باك Pack [١] كيف أن الجمهور في العالم النامي ينظر إلى التلفزيون كأداة قمعية تفرض الأجندة الإمبريالية على جمهور ضعيف لا حول له ولا قوة.. ولكن في رأي آخر في إطار المدرسة الثقافية الإعلامية يرى بعض الباحثين أن الجمهور هو طرف نشيط ويؤدي دوراً فاعلا في بناء المعاني التي تصله من البرامج التلفزيونية، دون الاستسلام للمعاني المبرمجة التي يرغب فرضها عليه المرسل الإعلامي. ويجادل سام باك بقوله بأن جمهور العالم النامي يسأل عادة سؤال "من نحن"؟ إضافة لسؤال "من هم"؟ وفي كلتا الإجابتين نجد أن هذا الجمهور يبحث عن هوية له، ويستظهر صورة ذهنية يريدها لمجتمعه، وكلما زاد تعرض الناس لوسائل الإعلام، أمكنهم بناء صورة لما يدور في العالم من أحداث.

أشار فريدن وكوسيكي Fredin & Kosicki [٢] إلى موضوع مصداقية ودقة أداء وسائل الإعلام، حيث إنه كلما نشرت وبثت وسائل الإعلام أخباراً سارة وإيجابية رأى الجمهور درجة عالية من المصداقية في هذه الوسائل، وعلى العكس فالجمهور يرى أن الأخبار السلبية وغير السارة تولد لديه قناعات بأن وسائل الإعلام تفتقد المصداقية والدقة المطلوبة في تقاريرها وتحليلاتها.

أجرى كل من وانتا وجولان ولي Wanta, Golan and Lee [٣] دراسة

---

(١) Pack, Sam (2000), "Reception, identity and global village: televison in the fourth world. M/C: a journal of media & culture: 3:1.

(٢) Fredin, E. & G. Kosicki (1989), "Cognitions and attitudes about community: compensating for media images". Journalism Quarterly: 66, 571-8.

(٣) Wanta, Wayne, (2003) Agenda setting and international news: media influnce on public perceptions of foreign nations, paper submitted to AEJMC, Kansas, USA.

شاملة ربطت بين تحليل مضمون نشرات أخبار التلفزيون الأمريكي ونتائج استطلاعات الرأي العام الأمريكي عن مجموعة من الدول، من بينها المملكة العربية السعودية. وكانت الدراسة تسعى إلى اختبار تأثير نظرية ترتيب الأولويات على المستوى الأول للتأثير والمستوى الثاني من التأثير. وأوضحت نتائج دراساتهم إلى أنه كلما زادت التغطية الإعلامية عن دولة من الدول، اعتقد الناس أن هذه الدولة تعتبر حيوية بالنسبة لعلاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية. وهذه النتيجة تؤكد المستوى الأول من نظرية ترتيب الأولويات، وبالنسبة للمستوى الثاني، فقد أشارت نتائج تلك الدراسة إلى أنه كلما زادت التغطية السلبية عن دولة من الدول زادت الاتجاهات السلبية عن تلك الدولة بالنسبة للرأي العام الأمريكي. أما العلاقة بين التغطيات الإعلامية الإيجابية عن الدول فلم ترتبط بأي علاقة تذكر مع اتجاهات الناس نحو تلك الدول.

وأشارت ذات الدراسة[1] التي أجريت خلال العام ١٩٩٨م - أي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م - إلى أن المملكة العربية السعودية احتلت المرتبة الثالثة بين الدول التي كان الرأي العام الأمريكي يرى أهميتها بالنسبة للمصالح الأمريكية، وتأتي بعد كل من اليابان وروسيا، وتليها الصين وكندا وإسرائيل. أما على مستوى التغطيات الإعلامية ، فلم تجد المملكة تغطيات كبيرة مقارنة بتغطيات دول أخرى في العالم. وعلى العكس تماماً احتلت دول مثل الهند وأندونيسيا مرتبة أقل في الأهمية التي يعطيها الرأي العام لهاتين الدولتين، بينماً كانت التغطية الإعلامية لهما في مرتبة عالية بين الدول التي وجدت اهتماما

(١) المرجع السابق

إعلامياً كبيراً.

وفي استعراضه لأدبيات صورة الإسلام في الإعلام الغربي، أوضح محمد الهواري[1] أن عمليات التشويش التي يتعرض لها الإسلام في وسائل الإعلام في الدول الغربية لم تكن وليدة أحداث الحادي عشر من سبتمر، بل إن هذه الأحداث أعطت دفعة وحافزاً للحملات الدعائية ضد الإسلام والمسلمين، مما ساهم في تردي صورة الإسلام لدي المجتمعات الغربية، وخاصة ما يتعلق منها برؤيتهم نحو موقف الإسلام من العنف ومن الأديان الأخرى ومن المرأة وغيرها من القضايا.

في دراسة لزيد الدكان[2] عن الصحافة الأسترالية وصورتها للمملكة العربية السعودية قبل وبعد الحادي عشر من سبتمبر، أشار الباحث إلى أن تغطية صحيفة الديلي تلغراف الأسترالية للسعودية قد تضاعفت ٢٠٠٪ بعد الحادي عشر من سبتمبر، بينما لم تزد هذه النسبة إلا حوالي ٣٠٪ لدول شرق أوسطية مثل مصر. كما أوضحت الدراسة أن الصحف الأسترالية نزعت إلى ذكر أصل أسامة بن لادن بصفة مستمرة على أنه "مولود في السعودية" في التغطيات التي كانت بعد الحادي عشر من سبتمبر، بينما لم يتم ذكر ذلك إلا نادراً في التغطيات التي سبقت تلك الأحداث، ونفس النتيجة مع استخدام "الوهابية"، حيث تنامى استخدامها بعد

(١) الهواري، محمد (٢٠٠٤) "صورة المرأة المسلمة في الإعلام الغربي"، ورقة مقدمة في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢-٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

(٢) الدكان، زيد علي (٢٠٠٤) " قراءة في الصحف الأسترالية وتصويرها للمملكة قبل وبعد ١١ سبتمبر مع التركيز على صحيفة ديلي تلغراف"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢-٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

الحادي عشر من سبتمبر وربطها بالتشدد الديني والإرهاب الفكري.

واستعرض شفيق الرحمن عبدالله [1] الأساليب التي تلجأ إليها وسائل الإعلام الغربية لتشويه صورة السعودية، وجميعها ترتكز على مهاجمة الأوضاع السياسية والأوضاع الاجتماعية والأوضاع الثقافية. حيث تغذي وسائل الإعلام فكرة أن المملكة العربية السعودية هي دولة ترعى الإرهاب وتباركه، وأنه ينمو على أرضها ومنها يخرج إلى مختلف دول العالم. وفي الشأن الاجتماعي توجد ثلاث قضايا محورية تدور عادة حولها الحملات العدائية للمملكة، وهي قضية حقوق الإنسان، وقضية حقوق المرأة، وقضية الوحشية في تطبيق الأحكام الشرعية مثل قطع يد السارق وقتل الجناة. وفي الجانب الثقافي والتعليمي تتوجه هذه الحملات إلى مناهج الدراسة وأنها تغذي الإرهاب وتدعو إلى العنف [2].

أجرى أحمد تركستاني [3] دراسة مسحية على عينة من الجمهور الكندي للتعرف على صورتهم الذهنية عن السعودية من خلال معرفة معلوماتهم وانطباعاتهم ومصادر تلك المعلومات والانطباعات. وأشارت نتائج هذه الدراسة إلى أن الصورة الذهنية لدى العينة ليست متسقة مع الصورة السلبية

---

(١) عبدالله، شفيق الرحمن (٢٠٠٤) "صورة المملكة العربية السعودية في وسائل الإعلام المرئية: دراسة لبعض البرامج التلفزيونية الأسترالية قبل وبعد أحداث سبتمبر"، ورقة مقدمة في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢-٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

(٢) المرجع السابق، ص ١-٢ .

(٣) تركستاني، أحمد سيف الدين (٢٠٠٤) "صورة المملكة العربية السعودية في أذهان الكنديين: دراسة ميدانية في الصورة الذهنية وإسهام وسائل الإعلام في تكوينها"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢-٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

الموجودة في وسائل الإعلام، حيث إنها أقل حدة وأكثر مرونة من الصورة السلبية الجامدة في وسائل الإعلام الغربية. كما أوضحت الدراسة أن التلفزيون هو الوسيلة الأولى التي اعتمدت عليها العينة الكندية كمصدر للمعلومات، حيث وصلت النسبة إلى حوالي ٤٥٪ من مجمل أفراد العينة.

وأشار تركستاني [١] إلى أن وسائل الإعلام الغربية قد أسهمت إسهاماً واسعاً وخطيراً في نقل الصورة المشوهة والنمطية عن العرب والمسلمين من دوائر الاستشراف والدراسات الأكاديمية إلى أعماق الثقافة الشعبية. وقد أظهرت وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة عدداً من المصطلحات التي تشير إلى مثل هذا الانحياز ضد المسلمين والعرب، ومن ذلك الإرهاب، الاستبداد، معاداة الديمقراطية، التطرف، الأصولية، الخطر الأخضر.

وفي دراسة عن الخطاب الإعلامي الفرنسي وصورة المملكة في هذا الخطاب، أشار عبدالله الخطيب [٢] إلى أن خطاب المثقف الفرنسي يدرك حقيقة أن المملكة العربية السعودية جزء لا يمكن تجزئته أو تحييده عن الإسلام، ولهذا فهناك علاقة جبرية بين المملكة كدولة، والإسلام كدين، ولكن على الرغم من ذلك فإن الصورة التي استنتجها الباحث في دراسته عن أهم الصحف الفرنسية (لوموند، لوفيجارو، لوموند دبلوماتيك، مجلة الإكبرس، ومجلة لوبوه) كانت تعكس صورة مشوهة عن المملكة العربية السعودية.

---

(١) المرجع السابق

(٢) الخطيب، عبدالله (٢٠٠٤) "صورة المملكة العربية السعودية في الخطاب الإعلامي الفرنسي: الصحافة نموذجا"، ورقة مقدمة في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢-٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

وجاءت دراسة مرعي مدكور [1] عن صورة المملكة العربية السعودية لدى المصريين إيجابية بنسبة حوالي ٤٦٪ وسلبية بنسبة حوالي ١٧٪، حيث تعود بعض أنماط الصور السلبية للمصريين إلى أصحاب التجارب غير الناجحة أثناء عملهم أو تواجدهم في السعودية، أو لذويهم. وترى نسبة ٦٧٪ أن العلاقات السياسية بين المملكة ومصر هي علاقات إيجابية، بينما ترى نسبة ضئيلة (٦٪) أن هذه العلاقات تتسم بالسلبية. وفيما يتعلق بمصادر تكوين الصورة عن المملكة، أشارت نتائج هذه الدراسة إلى أن وسائل الإعلام قد احتلت المرتبة الأولى في تكوين صورتهم عن المملكة (٤٦٪) تلتها التجارب والخبرات العملية التي تولدت لديهم أثناء زياراتهم للمملكة بنسبة تصل إلى حوالي ١٨٪.

وفي دراسة شاملة على ٥٥ صحيفة ومجلة مصرية قام بها شعبان شمس ومرعي مدكور [2] للتعرف على صورة السعودية في الصحافة المصرية، أشار الباحثان إلى أن المملكة العربية السعودية لم تعتمد على الإعلانات التحريرية المدفوعة لمساعدتها في رسم صورتها الذهنية، وأثبتت الدراسة الاعتماد على الفعاليات والنشر الصحافي. وتحتل الفعاليات السعودية مساحة كبيرة في الصحافة المصرية من مجمل التغطيات عن السعودية. كما أشارت الدراسة إلى وضوح كبير في المعالجات الإيجابية في الصحافة المصرية عن السعودية بشكل عام وبنسبة كبيرة، وخاصة في الصحف القومية الكبرى. ولاحظت الدراسة أن التغطيات السلبية كانت في معظمها مبنية على مصادر خارجية غير سعودية.

---

(١) مدكور، مرعي (٢٠٠٤) "صورة المملكة العربية السعودية لدى المصريين: دراسة ميدانية في أبعاد الصورة واتجاهاتها"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢-٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

(٢) شعبان، شمس ومرعي مدكور (٢٠٠٤) " صورة المملكة العربية السعودية في الصحافة المصرية: دراسة مسحية للصحف والمجلات"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢-٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

وفي دراسة مسحية على عينة من السعوديين قام بها حمزة بيت المال وعثمان العربي [1] عن كيفية تصور السعوديين لأنفسهم ولبعض الشعوب الأخرى، أوضحت النتائج عن فروق واضحة بين نظرة السعوديين الى الحكومات ونظرتهم إلى الشعوب، حيث اتسمت النظرة بالعدائية لكل من إسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا، بينما خفت النظرة العدائية نحو شعبي الولايات المتحدة وبريطانيا. وفي المقابل حصلت حكومات وشعوب مصر وسوريا على مستويات عالية من الصداقة. وأشارت الدراسة إلى وجود درجة معينة من العدائية نحو حكومات قطر وإيران وروسيا نتيجة العلاقات الباردة التي تربط هذه الحكومات بالحكومة السعودية، أو نتيجة وجود قضايا عقدية تحول دون وجود علاقات شعبية صديقة. أما ما يخص نظرة السعوديين نحو أنفسهم، فيرى بعض السعوديين مجتمعهم من بين المجتمعات التي تتصف بالمحافظة والتسامح والمسالمة، بينما يرى البعض الآخر أن مجتمعهم يميل إلى الانغلاق والاتكالية والتقليدية.

وعن اتجاهات مقالات الرأي في الصحافة السعودية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أوضحت دراسة حمزة بيت المال وخالد السهيل [2] عن صحيفة الشرق الأوسط كنموذج لهذه الصحافة تبايناً فكرياً في اتجاه هذه المقالات، حيث بلغت نسبة المقالات ذات التوجه الغربي حوالي ٤١٪، ونسبة المقالات ذات التوجه القومي العربي حوالي ٢٦٪، بينما لم تتعد المقالات ذات التوجه الإسلامي ١٥٪. وفيما يخص الموقف من الولايات المتحدة أشارت الدراسة إلى أن نسبة

(١) بيت المال، حمزة وعثمان محمد العربي (٢٠٠٤) " كيف يتصور السعوديون أنفسهم؟ دراسة مسحية على عينة ممثلة للمجتمع السعودي"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢-٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

(٢) بيت المال، حمزة وخالد السهيل (٢٠٠٤) "اتجاهات المقالات الصحفية بعد ١١ سبتمبر في الصحافة السعودية: صحيفة الشرق الأوسط نموذجا"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢-٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

نصف المقالات اتسمت بالهجومية ضد مواقف وسياسات الولايات المتحدة، وحوالي ٣٨٪ بالحياد، بينما كانت نسبة المقالات التي دافعت عن المواقف الأمريكية حوالي ١١٪.

وفي إطار التأثير على صورة السعودية استعرض إبراهيم المهنا [١] تأثير مراكز الدراسات الإستراتيجية في الولايات المتحدة على الرأي العام الأمريكي، وكيف أن بعض هذه المراكز لها تأثيرها الكبير على السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط. وحيث هذه المراكز تحمل مواقف عدائية من الدول العربية ومن قضايا المنطقة، فمن المتوقع أن تدفع هذه المراكز بمزيد من التأثير السلبي على أصحاب القرار السياسي نحو المنطقة. وأشار المهنا[٢] إلى أن تأثير مراكز الدراسات الإستراتيجية على الرأي العام الأمريكي يعود إلى أسباب منها المصداقية التي يمتلكها أصحاب هذه المراكز والمستشارون فيها نتيجة لخلفياتهم العلمية والمهنية، باعتبار مراكزهم مستقلة عن الحكومة. وكذلك فإن الظهور المتكرر لبعض الشخصيات المرتبطة بهذه المراكز في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة يعزز من وجهات نظر هذه المراكز تجاه القضايا والموضوعات التي تشارك فيها.

وفي الموضوع نفسه، استعرض عبدالله الطائر[٣] دور مراكز الدراسات الإستراتيجية في التأثير على قضايا منطقة الشرق الأوسط، حيث أشار إلى أن تطور

---

(١) المهنا، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠٤) " مراكز الدراسات ودورها السياسي وتأثيرها على الرأي العام وتكوين الصورة النمطية"، ورقة مقدمة في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢-٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

(٢) المرجع السابق

(٣) الطائر، عبدالله بن موسى (٢٠٠٤) " دور مراكز الدراسات المستقلة في تحسين صورة المملكة العربية السعودية في أمريكا"، ورقة مقدمة في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢-٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

هذه المراكز مر بثلاثة أجيال، هي (١) الجيل الأول: تأسيس عدد من المراكز التي كانت مهتمة بمناقشة الشؤون الخارجية للولايات المتحدة. (٢) الجيل الثاني: بروز ظاهرة التعاقد الحكومي مع مراكز الدراسات، حيث تحولت من مراكز أو نواد لمناقشة قضايا خارجية إلى مراكز استشارية تقدم خدماتها لبعض الأجهزة الحكومية الأمريكية. (٣) الجيل الثالث: بروز مراكز الدراسات المهتمة بصناعة الرأي العام وتوجيهه، وقد اعتمدت هذه المراكز خلال هذه الفترة على توليفة من الأبحاث المتعمقة في السياسة الخارجية الأمريكية مع وسائل تسويق إعلامي ذات فعالية كبيرة، وتشترك في ذلك جماعات الضغط وجماعات المصالح العرقية إضافة إلى منظمات سياسية داخلية ذات مصالح خارجية كما هي الحالة مع "إيباك" (اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشؤون العامة) التي تعمل في خدمة المصالح الإسرائيلية في المجتمع الأمريكي.

خلاصة الدراسات السابقة:

تشير الدراسات السابقة عن الصورة إلى أن صورة العرب والمسلمين في المجتمعات الغربية قد تأثرت بحكم العلاقة الجدلية بين المسلمين والغرب المسيحي على مر القرون الماضية ولكون الرؤية إلى الإسلام على أنه قوة تهدد بقاء الحضارة الغربية. وتحديداً فصورة العرب تأثرت بشكل سلبي نتيجة الصراع العربي الإسرائيلي، وتم تشويه هذه الصورة عبر العقود الماضية، وخاصة من خلال بعض الطروحات العنصرية التي ركزت على صراع الحضارات ونهاية التاريخ وغيرها من الطروحات. إلا أن أحداث الحادي عشر من سبتمر كانت هي المحرض الأقوى في التأثير على صورة العرب والمسلمين. كما أن صورة السعوديين تأثرت بحكم هذه الأحداث، وقناعات المؤسسات الغربية باشتراك بعضهم في هذه العمليات الإرهابية. وعلى الرغم من أن صورة العرب والمسلمين ومعهم السعوديون قد

أصابها الكثير من التشويش في كثير من دول العالم، إلا أن المجتمعات الغربية من خلال وسائل إعلامها المختلفة هي التي حظيت بالنصيب الأكبر من الصور السلبية عن مجتمعاتنا العربية والإسلامية، والسعودية خاصة.

منهج الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج المسحي، بهدف استقصاء آراء عينة الدراسة حول مفهومهم عن الحملة الإعلامية الموجهة الى المملكة العربية السعودية بشكل خاص في المجتمعات الغربية ووسائل الإعلام هناك. وقد تم – لهذا الغرض - إعداد استبانة خاصة بهذه الدراسة، مكونة من سبعة أجزاء على النحو التالي :

١- الصورة العامة للسعوديين والعرب والمسلمين.
٢- صورة المؤسسات السعودية في الخارج.
٣- دور وسائل الإعلام الأمريكية في الحملة ضد المملكة.
٤- دور المؤسسات والقوى المؤثرة في المجتمع الأمريكي على صورة المملكة.
٥- دور المؤسسات السعودية في التصدي للحملة ضد المملكة.
٦- المتابعات الإعلامية لوسائل الإعلام المحلية والعربية والدولية بالنسبة لأفراد العينة.
٧- معلومات شخصية عن أفراد العينة.

وتم تحكيم هذه الاستبانة عن طريق خمسة من أساتذة الإعلام بجامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وأجرى الباحث التعديلات اللازمة بعد ملاحظات المحكمين على النسخة الأولية من الاستبانة. وقد وقع الاختيار على مجموعة من الأسئلة على شكل عبارات، وطلب من المبحوثين أن يقوموا درجة موافقتهم على مضمون هذه العبارات. وأعطيت كل إجابة قيمة

رقمية حتى يمكن أعطاء وزن قيمي لمجمل الإجابات ، كما يشير إلى ذلك الجدول رقم (١):

جدول (١)

توزيع قيم المتغيرات حسب المقياس الخماسي

طبيعة السؤال	١	٢	٣	٤	٥
مدى النجاح	نجاح كبير	نجاح متوسط	نجاح محدود	لم تنجح	لا أعلم
مدى الانتظام	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	لا أتابعها
مدى الموافقة	موافق تماما	موافق	لا اعلم	غير موافق	غير موافق إطلاقا
مدى التأثير	تأثرت كثيرا	تأثرت الى حد ما	تأثرت قليلا	لم تتأثر	لا أعلم
مدى المساهمة	ساهمت كثيرا	ساهمت الى حد ما	ساهمت قليلا	لم تساهم	لا أعلم

عينة الدراسة:

نظراً لما يتطلبه موضوع البحث من معرفة وتخصص في مجال الحملات الإعلامية والاطلاع الواسع على مجريات الشأن الإعلامي المحلي والدولي، فقد قرر الباحث أن تكون العينة من منسوبي الأسرة الأكاديمية الإعلامية في مدينة الرياض. ولم يتم الاختيار من بين الإعلاميين الممارسين في حقول الإعلام المختلفة، وذلك حتى تستقيم الحيادية تجاه بعض الأسئلة التقويمية عن دور وسائل الإعلام السعودية (صحافة، إذاعة، تلفزيون.. إلخ). وتم لهذه الدراسة اختيار كل من قسم الإعلام بكلية الآداب بجامعة الملك سعود وقسم الإعلام بكلية الدعوة

والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ليمثلا المجتمع البحثي لهذه الدراسة، وتقرر أن تشمل العينة جميع أعضاء هيئة التدريس بالقسمين من أساتذة وأساتذة مشاركين وأساتذة مساعدين ومحاضرين ومعيدين وطلاب في الدراسات العليا، إضافة إلى طلاب المستويين السابع والثامن في الدراسات الجامعية. وقد بلغت عينة الدراسة ١٥٣ موزعة بين جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية. حيث تم توزيع هذه الاستبانات على أفراد مجتمع الدراسة، كما اختار الباحث بطريقة العينة العشوائية عددا من الشعب الدراسية لطلاب المستويات العليا (السابع والثامن) من مرحلة البكالوريوس. ووصلت الأعداد المستجيبة ١٦٩ استبانة، تم استبعاد ١٦ استبانة لعدم استيفائها الحد الأدنى من المعلومات المطلوبة في متغيرات الدراسة، ووصل مجمل الاستبانات التي دخلت في التحليل ١٥٣ استبانة. ويجب التنويه أن الأسئلة التي احتوت عليها الاستبانة البحثية تركزت على الصورة التي يستطيع الفرد استنتاجها من خلال ما يقرأ ويسمع ويشاهد عن تغطيات وسائل الإعلام الأجنبية وخاصة الأمريكية عن السعوديين والعرب والمسلمين، وشهدت السنوات التي تلت الحادي عشر من سبتمبر نشراً مكثفاً عن الحملات الإعلامية التي واجهتها المملكة العربية السعودية بمختلف تداعياتها ودوافعها في وسائل الإعلام السعودية، مما أتاح فرصة لاطلاع المواطنين السعوديين على ذلك، بمن فيهم أفراد عينة الدراسة من الأساتذة والطلاب في أقسام الإعلام في الجامعات السعودية، بحكم اهتماماتهم الإعلامية.

النتائج والمناقشة :

تم تقسيم نتائج هذه الدراسة إلى ستة أقسام، تتوزيع على النحو التالي :

١- السمات الشخصية لأفراد العينة.

٢- الصورة العامة للسعوديين والعرب والمسلمين.

٣- صورة المؤسسات السعودية في الخارج.

٤- دور وسائل الإعلام الأمريكية في الحملة ضد المملكة.

٥- دور المؤسسات والقوى المؤثرة في المجتمع الأمريكي على صورة المملكة.

٦- دور المؤسسات السعودية في التصدي للحملة ضد المملكة.

أولا : السمات الشخصية لأفراد العينة :

يبين الجدول رقم (٢) توزيع أفراد العينة حسب المتغيرات الديموغرافية. ويتضح أنه من مجموع أفراد العينة البالغة ١٥٣ ، وصلت نسبة السعوديين ٨٩٪ بينما يمثل الباقي من العينة غير سعوديين، معظمهم من جنسيات عربية. أما توزيع العينة حسب الدرجة العلمية، فيتضح من الجدول أن نسبة من يحمل ماجستير ودكتوراة بلغت ١٤٪، بينما بلغت نسبة من يحمل البكالوريوس ١٣٪، وهولاء محاضرون وطلاب دراسات عليا منضمين لبرامج الدراسات العليا بالجامعتين السعوديتين. ويوضح الجدول كذلك أن حوالي ثلاثة أرباع العينة هم عزاب، بينما كان حوالي ٢٤٪ هم من المتزوجين. أما بخصوص توزيع العينة حسب الارتباط المؤسسي، فقد توزعت العينة بين جامعة الملك سعود بنسبة ٥٣٪ وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بنسبة ٤٧٪.

جدول رقم (٢)

توزيع عينة الدراسة حسب المتغيرات الديموغرافية

المتغير	القيمة	النسبة
الجنسية	سعودي	٨٩٪
	غير سعودي	١١٪
	المجموع	١٠٠٪
الدرجة العلمية	دكتوراه	١٢٪
	ماجستير	٢٪
	بكالوريوس	١٣٪
	طالب جامعي	٧٣٪
	المجموع	١٠٠٪
الحالة الاجتماعية	أعزب	٧٦٪
	متزوج	٢٤٪
	المجموع	١٠٠٪
جهة العمل	جامعة الملك سعود	٥٣٪
	جامعة الإمام	٤٧٪
	المجموع	١٠٠٪

وفي جانب آخر من جوانب التعرف على شخصية العينة، يوضح الجدول رقم (٣) أن السياسة تتصدر اهتمامات أفراد العينة، وهذا لم يكن مستغرباً من مختصين ودارسين في الشأن الإعلامي، وتلت السياسة اهتمامات إعلامية بحكم الدراسة والتخصص، ثم تلت ذلك الاهتمامات الرياضية، بينما توزعت باقي الموضوعات بنسب ضعيفة في سلم اهتمامات أفراد العينة.

جدول رقم (٣)

الاهتمامات الموضوعية لأفراد العينة

الاهتمامات	النسبة
السياسية	٤٨
الإعلامية	٢٥
الرياضية	١٣
العلمية	٤
الدينية	٢
الاقتصادية	٢
الفنية	٢
غير ذلك	٤
المجموع	٪١٠٠

وتوضح الجداول ٤ – ٦ حجم متابعة أفراد العينة لوسائل الإعلام المحلية والعربية والدولية. ويبين الجدول (٤) مدى المتابعة لوسائل الإعلام المحلية، حيث تصدرت الصحافة هذه الوسائل بنسبة تزيد على الستين في المائة من العينة، حيث يحرصون على القراءة الدائمة لها، ونسبة إضافية أخرى تصل إلى ربع العينة يطلعون على الصحافة المحلية في أغلب الأيام. وتلي الصحافة وسيلة التلفزيون بنسبة قريبة من الصحافة، ويأتي الإنترنت تالياً، ثم المجلات والكتب.

جدول (٤)

مدى متابعة وسائل الإعلام المحلية

المؤسسات	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	لا أتابعها	المجموع
الصحافة	٦٣	٢٤	١٢	-	١	٪١٠٠
المجلات	١٥	٢٦	٣٨	١٨	٣	٪١٠٠
الإذاعة	١٩	٢١	٣١	١٦	١٣	٪١٠٠

التلفزيون	٥٦	١٩	١٥	٥	٥	٪١٠٠
الإنترنت	٣٤	٢٤	٢٤	٩	٩	٪١٠٠
الكتب	١٤	١٩	٢٩	٢٧	١٢	٪١٠٠

ويوضح الجدول (٥) مدى متابعة أفراد العينة لوسائل الإعلام العربية، ويتضح بروز التلفزيون كوسيلة رئيسة تتصدر سلم المتابعة في وسائل الإعلام العربية بنسبة ٥٦٪ من الأفراد يتابعونها بصفة دائمة، ونسبة ٢٧٪ يتابعونها في أغلب الأحوال، أي أن أكثر من ثمانين في المائة يتابعون التلفزيون بصفة منتظمة (دائمة أو غالبة). ويلي التلفزيون الإنترنت، ثم الصحافة والمجلات، وأخيراً وسيلة الكتاب، التي تعد من الوسائل الضعيفة في ظل تزاحم الوسائل الإلكترونية والوسائل الإعلامية التقليدية.

جدول (٥)

مدى متابعة وسائل الإعلام العربية

المؤسسات	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	لا أتابعها	المجموع
الصحافة	١٧	١٩	٣٧	١٤	١٣	٪١٠٠
المجلات	٩	٢١	٣٦	٢٣	١١	٪١٠٠
الإذاعة	١١	٣٠	٢٧	١٦	١٦	٪١٠٠
التلفزيون	٥٦	٢٧	١٠	٥	٢	٪١٠٠
الإنترنت	٢٦	٢٥	٢٣	١٣	١٣	٪١٠٠
الكتب	١٢	١٢	٢٤	٢٨	٢٤	٪١٠٠

أما بالنسبة لوسائل الإعلام الدولية، فيوضح جدول (٦) تشابها مع وسائل الإعلام العربية كما بينها الجدول السابق وذلك في ترتيبة الوسائل، وليس في الدرجة ومستوى المتابعة، ويظل التلفزيون والإنترنت هما الوسيلتان الأساس في

الوسائل الدولية، تليهما وسائل الإعلام المطبوعة، المتمثلة على التوالي في الصحافة والكتب والمجلات.

جدول (٦)

مدى متابعة وسائل الإعلام الدولية

المؤسسات	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	لا أتابعها	المجموع
الصحافة	٨	١٣	٢٧	٢٣	٢٩	١٠٠٪
المجلات	٣	١٠	١٩	٣٤	٣٤	١٠٠٪
الإذاعة	٧	١٦	١٨	٢٤	٣٥	١٠٠٪
التلفزيون	٢٤	٢٧	١٩	١٤	١٦	١٠٠٪
الإنترنت	٢٥	١٨	١٨	١٥	٢٤	١٠٠٪
الكتب	٧	١١	١٥	١٨	٤٩	١٠٠٪

ثانياً: الصورة العامة للسعوديين والعرب والمسلمين:

يرتكز هذا البحث على التعرف على طبيعة الصورة التي يراها السعوديون عن العرب والمسلمين وعن أنفسهم في الخارج. ويوضح الجدول (٧) مدى تأثر هذه الصورة في العالم بشكل عام، حيث كان السؤال على شكل جملة تستدعي الإجابة عن مدى تأثر صورة السعوديين والعرب والمسلمين في العالم بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م. وقد أوضحت نتائج هذا الجدول أن نسبة كبيرة من أفراد العينة متفقون تماماً على أن كلا من المسلمين والعرب ومن بينهم السعوديون قد تأثروا بمجريات أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وبخصوص الاختلافات بين هذه المجموعات أشارت الدراسة إلى أن المسلمين قد تأثروا كثيراً بواقع هذه الأحداث بما يقرب من ستين في المائة، ثم جاء السعوديون ثانياً بنسبة ٥١٪، ثم جاء العرب ثالثاً بنسبة ٤٣٪.. وتشكل هذه النتائج نسباً كبيرة تشير إلى تقديرات السعوديين لتأثير

أحداث ١١ سبتمبر عليهم وعلى المحيط العربي والإسلامي الذي ينتمون إليه. وعند جمع نسبة من أشار إلى درجة "موافق تماماً" إلى نسبة من أشار إلى "موافق"، تكون النسبة عالية جداً، حيث تصل إلى أكثر من تسعين في المائة بالنسبة لتأثر صورة المسلمين، ونسبة (٨٩٪) بالنسبة للسعوديين، و ٨٤٪ بالنسبة للعرب.

جدول (٧)

مدى تأثر صورة السعوديين والعرب والمسلمين في العالم

درجة التوافق	السعوديون	العرب	المسلمون
موافق تماما	٥١	٤٣	٥٩
موافق	٣٨	٤١	٣٢
لا أدري	٢	٥	٣
غير موافق	٩	١٠	٥
غير موافق إطلاقا	-	-	١
المجموع	٪١٠٠	٪١٠٠	٪١٠٠

وعن مدى تأثر صورة العرب والمسلمين والسعوديين في الغرب (في المجتمعات الغربية)، يوضح الجدول (٨) مدى هذا التأثر، حيث يشير إلى أن السعوديين يعتقدون بأن صورتهم تأثرت كثيراً إلى درجة عالية وصلت الى ٩٢٪ بدرجة موافق تماما ودرجة موافق، كما أن المسلمين قد تأثرت صورتهم بدرجة مقاربة، حيث وصلت في مجملها إلى ٨٩٪، بينما تأتي صورة العرب ثالثاً بنسة تصل إلى ٨٤٪. وتعكس مجمل الأرقام نسباً عالية في إدراك السعوديين بتأثر صورة المسلمين والعرب والسعوديين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر نتيجة الحملات الإعلامية والسياسية التي تعرضت لها بصفة منهجية ومنتظمة خلال الأعوام التي تلت تلك الأحداث.

جدول (٨)

مدى تأثر صورة السعوديين والعرب والمسلمين في الغرب

درجة التوافق	السعوديون	العرب	المسلمون
موافق تماما	٥٦	٤٦	٥٧
موافق	٣٦	٣٨	٣٢
لا أدري	٤	١٢	٥
غير موافق	٣	٣	٥
غير موافق إطلاقا	١	١	١
المجموع	٪١٠٠	٪١٠٠	٪١٠٠

يوضح الجدول (٩) أن عينة الدراسة ترى أن السعوديين ينظرون إلى أن صورتهم تأثرت كثيراً (موافق تماماً) في الولايات المتحدة بنسة وصلت إلى ٧٧٪، وجاء المسلمون ثانياً بفارق عشرة في المائة أقل من السعوديين، أي بنسبة ٦٧٪، ثم جاء العرب ثالثاً بنسبة أقل من السعوديين بـ ٢٠٪ في درجة تأثرهم في الولايات المتحدة الأمريكية. وإجمالا إذا تم في الاعتبار جمع نسبة من رأي الموافقة والموافقة التامة على تأثر الصورة في الولايات المتحدة، نجد كما يوضح الجدول أن الأرقام متقاربة تصل إلى أكثر من تسعين في المائة، مما يعكس درجة عالية من الاتفاق على تأثر الصورة داخل الولايات المتحدة.

جدول (٩)

مدى تأثر صورة السعوديين والعرب والمسلمين في الولايات المتحدة

درجة التوافق	السعوديون	العرب	المسلمون
موافق تماما	٧٧	٥٧	٦٧
موافق	١٩	٣٦	٢٣
لا أدري	١	٥	٦

غير موافق	٢	١	٣
غير موافق إطلاقا	١	١	١
المجموع	٪١٠٠	٪١٠٠	٪١٠٠

يشير الجدول رقم (١٠) إلى متوسط القيمة التي حددها أفراد العينة في إجاباتهم على خيارات الأسئلة الخمسة (موافق تماماً، موافق، لا أدري، غيرموافق، وغير موافق إطلاقاً). وكلما زادت القيمة من النقاط ارتفعت درجة الموافقة على مضمون السؤال المطروح. ويشير الجدول إلى تقسيمات المجموعات المتضررة (السعوديون، العرب، المسلمون) في مجموعات المناطق الثلاث (العالم، الغرب، أمريكا). ويتبين من الجدول ارتفاع القيم الرقمية مما يعكس توافقاً متقارباً بين مجموعات المناطق إلى حد كبير. ويوضوح الجدول اختلافاً بين السعوديين والعرب والمسلمين فيما يخص كل منطقة جغرافية، سواء كانت العالم، أو الغرب عامة أو الولايات المتحدة تحديداً. وفيما زادت درجة التأثر للسعوديين والعرب والمسلمين إجمالا في الولايات المتحدة أكثر من المناطق الأخرى، إلا أن المسلمين يمثلون الفئة الثانية في التأثر، يليهم العرب.

جدول (١٠)

متوسط القيمة الرقمية عن مدى تأثر السعوديين والعرب والمسلمين

المجموعات	العالم	الغرب	أمريكا
السعوديون	٤.٢٨	٤.٥٨	٤.٧٠
العرب	٤.١٦	٤.٢٧	٤.٤٤
المسلمون	٤.٤٠	٤.٤١	٤.٥٢

ويلخص الجدول (١١) مدى تأثر السعوديين بشكل خاص بأحداث ١١ سبتمبر، وقد تمثل السؤال في طرح جملة تشير إلى أن السعوديين هم أكثر الشعوب

الإسلامية والعربية تضرراً من هذه الأحداث.. وأشارت النتائج إلى أن السعوديين يرون أنهم أكثر الشعوب تضرراً من أحداث ١١ سبتمبر، بنسبة ٥٨٪ بالاتفاق التام، و٢١٪ بدرجة اتفاق، أما باقي أفراد العينة فقد توزعت بين لا أدري (٨٪)، وغير موافق (٩٪)، وغير موافق إطلاقاً (٤٪).

جدول (١١)

مدى تأثر السعوديين أكثر من غيرهم تضررا بأحداث ١١ سبتمبر

درجة التوافق	السعوديون
موافق تماما	٥٨
موافق	٢١
لا أدري	٨
غير موافق	٩
غير موافق إطلاقا	٤
المجموع	١٠٠٪

ثالثاً: صورة المؤسسات السعودية في الخارج:

يوضح الجدول (١٢) مدى تأثر المؤسسات السعودية بأحداث ١١ سبتمبر، وصنفت الدراسة درجة التأثر في خمس قيم على النحو التالي: تأثرت كثيراً، تأثرت إلى حد ما، تأثير محدود، لم تتأثر، ولا أعلم.. وتضمنت الاستبانة عشر مؤسسات سعودية تم استطلاع أفراد العينة عن مدى تأثرها من جراء أحداث ١١ سبتمبر. وجاءت المؤسسات الدينية في مقدمة المؤسسات السعودية المتأثرة، حيث وصلت نسبة من رأى أنها تأثرت كثيراً ٨٠٪، تلتها المؤسسات الخيرية بنسبة ٦٦٪، ثم جاء المواطن السعودي ثالثاً، حيث يرى ٥٦٪ من أفراد العينة أنه تأثر كثيراً من هذه الأحداث.. وتلت ذلك المؤسسات التعليمية والأمنية والسياسية.. وأخيراً

حصلت المؤسسات الاقتصادية والإعلامية على أقل نسبة من هذا الضرر.

جدول (١٢)

مدى تأثر المؤسسات السعودية بأحداث ١١ سبتمبر

المؤسسات	تأثرت كثيرا	تأثرت الى حد ما	تأثير محدود	لم تتأثر	لا أعلم	المجموع
التعليمية	٣١	٤٤	١٣	٧	٥	١٠٠٪
الدينية	٨٠	١٢	٢	٤	٢	١٠٠٪
السياسية	٣١	٤٢	١٨	٤	٥	١٠٠٪
الإعلامية	٢٦	٣٣	٢٢	١٢	٧	١٠٠٪
الاقتصادية	٢٤	٣٥	١٦	١٣	١٢	١٠٠٪
الأمنية	٤٠	٢٥	١٧	٨	١٠	١٠٠٪
الاجتماعية	٢٧	٢٥	١٨	١٥	١٥	١٠٠٪
الخيرية	٦٦	١٥	٩	٦	٤	١٠٠٪
المواطن	٥٦	٢٤	١٠	٨	٢	١٠٠٪

وتوضيحاً لمدى تأثر المؤسسات السعودية بأحداث ١١ سبتمبر التي أشار إليها الجدول السابق، يوضح الجدول التالي (١٣) هذا التأثر من خلال القيم الرقمية، حيث وصل الاتفاق على الضرر الكثير إلى نسبة عالية للمؤسسات الدينية (٤.٦٥)، وتلتها المؤسسات الخيرية (٤.٣٣)، ثم المواطن (٤.٢٥)، ثم المؤسسات السياسية، والتعليمية، والأمنية، والإعلامية، والاقتصادية، والاجتماعية.

جدول (١٣)

متوسط القيمة عن مدى تأثر المؤسسات السعودية بأحداث ١١ سبتمبر

المؤسسات	المتوسط
التعليمية	٣.٨٩
الدينية	٤.٦٥
السياسية	٣.٩١
الإعلامية	٣.٦١
الاقتصادية	٣.٤٧
الأمنية	٣.٧٦
الاجتماعية	٣.٣١
الخيرية	٤.٣٣
المواطن	٤.٢٥

رابعاً: دور وسائل الإعلام الأمريكية في الحملة ضد المملكة:

طرح الاستبيان الخاص بهذه الدراسة سؤالا عن مدى مساهمة وسائل الإعلام الأمريكية في الحملة ضد المملكة العربية السعودية كما يراه أفراد العينة من السعوديين. ويوضح الجدول (١٤) درجة هذا الإسهام. ويتبين من هذا الجدول أن وسيلتي الصحافة والتلفزيون تتصدران الوسائل الأمريكية في الحملة ضد المملكة، حيث وصلت نسبة المساهمة الكبيرة إلى ٨٠٪ و ٧٣٪ على التوالي. ثم تلت ذلك وسائل الإعلام الأمريكية الموجهة إلى منطقة الشرق الأوسط (قناة الحرة، وإذاعة صوت أمريكا، ومجلة هاي) وكذلك وكالات الأنباء الأمريكية المتمثلة في الأسوشيتدبرس واليونايتد برس إنترناشونال.. ووسيلة الإنترنت.. وتأتي بعد ذلك المجلات والإذاعات ودرو النشر الأمريكية.

جدول (١٤)

مدى إسهام وسائل الإعلام الأمريكية في الحملة ضد المملكة العربية السعودية

المؤسسات	ساهمت كثيرا	ساهمت الى حد ما	ساهمت قليلا	لم تساهم	لا أعلم	المجموع
الصحافة	٨٠	١٥	١	١	٣	١٠٠٪
المجلات	٤٩	٢٢	٧	١	٢١	١٠٠٪
التلفزيون	٧٣	١٥	٣	١	٨	١٠٠٪
الإذاعة	٤٧	٢٨	٣	١	٢١	١٠٠٪
الإنترنت	٥٧	٢٤	٦	٣	١٠	١٠٠٪
دور النشر	٣٢	٢٤	١٣	٤	٢٧	١٠٠٪
وكالات الأنباء	٥١	٢٤	٥	٣	١٧	١٠٠٪
الإعلام الأمريكي في الشرق الأوسط	٥٣	٢٢	١٥	٣	٧	١٠٠٪

وتتجسد النسب التي عرضها الجدول السابق على شكل قيم رقمية تعكس مدى إسهام وسائل الإعلام الأمريكية في الحملة ضد المملكة كما يمثلها الجدول (١٥). ويتضح من هذا الجدول ترتيب الوسائل حسب قوة تأثيرها في الحملة ضد المملكة، بداية بالصحافة، وانتهاء بدرو النشر، وبينهما الوسائل الأخرى التي ساهمت كذلك في تكريس الحملة ضد المملكة، كما يراها أفراد العينة السعوديون.

جدول (١٥)

متوسط القيمة عن مدى إسهام وسائل الإعلام الأمريكية في الحملة ضد المملكة

المؤسسات	المتوسط
الصحافة	٤.٧٠
المجلات	٣.٧٥
التلفزيون	٤.٤٥

الإذاعة	٣.٨٠
الإنترنت	٤.١٥
دور النشر	٣.٣٠
وكالات الأنباء	٣.٩٠
الإعلام الأمريكي في الشرق الأوسط	٤.١١

خامساً: دور المؤسسات والقوى المؤثرة في المجتمع الأمريكي على صورة المملكة:

تتعدد القوى المؤثرة في أي مجتمع، وتسعى هذه القوى التي تنتظم داخله إلى التأثير على مجريات الشأن العام. ومن خلال القراءة العامة لتداعيات الحملة الإعلامية على المملكة العربية السعودية أشارت دراسة قام بها علي القرني وعبدالرحمن العتيبي[1] وتحليلات عديدة أخرى[2] إلى مشاركة مؤسسات مختلفة من داخل المجتمع الأمريكي في مجريات الحملة. ومن خلال هذه الخلفية، طرح البحث سؤالا عن مدى مساهمة المؤسسات والقوى المؤثرة في المجتمع الأمريكي في التأثير على صورة المملكة، وهذا ما يكشفه الجدول رقم (١٦). ومن النتائج التي يوضحها الجدول تقدم المنظمات اليهودية/الإسرائيلية في سلم المؤسسات المؤثرة، حيث يرى أكثر من ثمانين في المائة من أفراد العينة أن هذه المنظمات هي وراء الحملة ضد المملكة بشكل كبير. أما المؤسسات الرسمية الأمريكية، فقد جاءت المؤسسات السياسية في المقدمة، تلتها المؤسسات الاستخباراتية ثم العسكرية. وأشارت الدراسة إلى أن حوالي ثلث العينة ترى أن مراكز الدراسات الإستراتيجية ساهم

(١) القرني، علي شويل وعبدالرحمن عبدالله العتيبي (٢٠٠٣)، "صورة المملكة العربية السعودية في الصحافة الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر"، ورقة مقدمة للمنتدى الإعلامي السنوي الأول للجمعية السعودية للإعلام والإتصال، الرياض.

(٢) انظر ورقة المهنا، وورقة الطاير عن مراكز الدراسات الإستراتيجية في المجتمع الأمريكي.

بشكل كبير في تغذية هذه الحملة.

جدول (١٦)

مدى إسهام المؤسسات والقوى المؤثرة في المجتمع الأمريكي على صورة المملكة

المؤسسات	ساهمت كثيرا	ساهمت الى حد ما	مساهمة محدودة	لم تساهم	لا أعلم	المجموع
السياسية	٦٦	٢٣	٧	١	٣	١٠٠٪
العسكرية	٤١	٢٨	١٢	١١	٨	١٠٠٪
الاستخباراتية	٦٣	٢٠	٤	٤	٩	١٠٠٪
الاقتصادية	٢٣	٣٤	١٩	٩	١٥	١٠٠٪
التعليمية	٢٥	٢٣	١٦	١٤	٢٢	١٠٠٪
مراكز الدراسات	٣٦	٢٤	١٢	٤	٢٤	١٠٠٪
السفارات	٢٢	٢٤	١٦	١٢	٢٦	١٠٠٪
المنظمات اليهودية	٨٢	٩	٤	-	٥	١٠٠٪

ويبين الجدول رقم (١٧) متوسط القيمة لمدى مساهمة هذه المؤسسات الأمريكية في الحملة ضد المملكة، مشيراً إلى تصدر المؤسسات اليهودية، بمتوسط عالي جداً وصل إلى ٤.٦٢ نقطة، أي أن هذه القيمة تضع معظم أفراد العينة في مكانة قريبة من تقديرهم أن المؤسسات اليهودية ساهمت كثيراً في الحملة ضد المملكة. ثم تلت ذلك المؤسسات السياسية والمؤسسات الاستخباراتية.. وتشير العينة إلى أن نشاط السفارات الأمريكية في الخارج، بما فيها طبعاً السفارة الأمريكية في المملكة العربية السعودية، أقل المؤسسات إسهاما في الحملة ضد المملكة، على الرغم من أن متوسط القيمة يظل مرتفعاً إلى (٣.٠٦)، مما يعكس شعوراً لدى أفراد العينة باسهام متوسط في تغذية هذه الحملة من قبل هذه السفارات.

جدول (١٧)

متوسط القيمة عن مدى إسهام المؤسسات الأمريكية في تغذية الصورة السلبية عن المملكة

المؤسسات	متوسط القيمة
السياسية	٤.٤٨
العسكرية	٣.٨٠
الاستخباراتية	٤.٢٣
الاقتصادية	٣.٤٢
التعليمية	٣.١٤
مراكز الدراسات	٣.٤٥
السفارات	٣.٠٦
المنظمات اليهودية	٤.٦٢

سادساً: دور المؤسسات السعودية في التصدي للحملة ضد المملكة:

بعد أن تعرضت المملكة العربية السعودية للحملة الإعلامية ضدها من قبل المؤسسات الإعلامية الغربية، سعت المؤسسات السعودية إلى التصدي لهذه الحملة. وحدد هذا البحث سؤالا عن مدى نجاح هذه المؤسسات في تحقيق هذا الهدف. ويوضح الجدول رقم (١٨) مدى نجاح المؤسسات السعودية، بما فيها الوسائل الإعلامية، في التصدي لهذه الحملة التي أفرزتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وتشير الأرقام بشكل عام إلى أداء متواضع لمختلف المؤسسات السعودية في حملتها الدفاعية عن المملكة، مما يعني أن جمهور العينة لم ير جهوداً كافية من قبل المؤسسات السعودية في مواجهة الحملات العدائية ضدها. وتأتي وزارة الخارجية في مقدمة المؤسسات التي حصلت على نسبة متقدمة على باقي المؤسسات الأخرى، حيث رأى ٢٥٪ من أفراد العينة أن الخارجية السعودية حققت نجاحاً

كبيراً في جهودها لمواجهة الحملات الدعائية ضد المملكة. وقريباً منها جاءت السفارات السعودية في الخارج بنسبة ٢٢٪. أما المؤسسات الدينية فتشير النتائج إلى جهود "نجاح كبير" يصل إلى حوالي ١٨٪، ونجاح متوسط بنسبة ٢٢٪، ونجاح محدود بنسبة ٢٨٪. ووجدت الصحافة تقديراً جيداً بين أفراد العينة مقارنة بباقي وسائل الإعلام الأخرى، حيث رأى ١٩٪ أن الصحافة قد أدت نجاحاً كبيراً في جهودها للتصدي للحملات الدعائية ضد المملكة، مقارنة بـ ١٤٪ للتلفزيون و١٠ ٪ للإعلام الخارجي، و ٧٪ للإذاعة، مما يعكس عدم الرضا عن جهود المؤسسات الإعلامية في هذا الخصوص.

جدول (١٨)

مدى نجاح المؤسسات السعودية في التصدي للحملة ضد المملكة العربية السعودية

المؤسسات	نجاح كبير	نجاح متوسط	نجاح محدود	لم تنجح	لا أعلم	المجموع
الصحافة	١٩	٢٥	٢٦	٣٠	-	١٠٠٪
الإذاعة	٧	١٥	٢٥	٥٠	٣	١٠٠٪
التلفزيون	١٤	١٦	٢٤	٤٤	٢	١٠٠٪
الإعلام الخارجي	١٠	٢٢	٢١	٣٢	١٥	١٠٠٪
المؤسسات الدينية	١٨	٢٢	٢٨	٣٠	٢	١٠٠٪
الوفود الرسمية	١٣	٢٦	٢٩	١٧	١٥	١٠٠٪
الوفود الخاصة	١٠	٢٢	٢٥	١٩	٢٤	١٠٠٪
الجامعات	١١	١٨	٣٣	٣٢	٦	١٠٠٪
القطاع الخاص	١٠	١٠	٢٤	٣٤	٢٢	١٠٠٪
وزارة الخارجية	٢٥	٢١	٢٧	١٦	١١	١٠٠٪
السفارات السعودية	٢٢	١٦	٢٣	٢٠	١٩	١٠٠٪

ويوضح الجدول (١٩) مدى هذا النجاح للمؤسسات السعودية في جهودها لمواجهة الحملات الدعائية ضد المملكة وفق متوسط القيمة المبني على المقياس الخماسي (السقف الأعلى خمس نقاط). وتتصدر وزارة الخارجية هذه المؤسسات بمتوسط قيمة بلغ ٣,٣٣، تلتها الصحافة بقيمة ٣,٣٢، ثم المؤسسات الدينية بقيمة ٣,٢٤، ثم السفارات الخارجية، والوفود الرسمية، والتلفزيون، والجامعات، والإعلام الخارجي، وأخيراً الوفود الخاصة، والإذاعة وجهود القطاع الخاص.

جدول (١٩)

متوسط القيمة عن مدى نجاح المؤسسات السعودية في التصدي للحملة ضد المملكة

المؤسسات	نجاح كبير
الصحافة	٣,٣٢
الإذاعة	٢,٧٢
التلفزيون	٢,٩٩
الإعلام الخارجي	٢,٨٢
المؤسسات الدينية	٣,٢٤
الوفود الرسمية	٣,٠٥
الوفود الخاصة	٢,٧٦
الجامعات	٢,٩٧
القطاع الخاص	٢,٥٠
وزارة الخارجية	٣,٣٣
السفارات السعودية	٣,٠٢

* * *

الخاتمة:

هدفت الدراسة الحالية إلى تقصي آراء عينة من المجتمع الأكاديمي الإعلامي في المجتمع السعودي للتعرف على اتجاهاتهم نحو الحملة الإعلامية/ الدعائية التي واجهتها المملكة العربية السعودية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وأجابت الدراسة عن أسئلة البحث الرئيسة، المتمثلة في النقاط التالية:

* التعرف على درجة التحول في صورة السعوديين بعد أحداث ١١ سبتمبر، نظراً لما تعرضت له المملكة العربية السعودية ومؤسساتها ومجتمعها ومواطنوها من حملات إعلامية من قبل وسائل الإعلام الغربية وخاصة الأمريكية. وأشارت نتائج البحث إلى أن صورة السعوديين قد تأثرت كثيراً طبقاً لما يراه السعوديون عن أنفسهم، ومع السعوديين تأثرت صورة العرب وصورة المسلمين، في العالم أجمع، وفي الغرب عامة، وفي الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص. وقد أشارت عدد من الدراسات إلى أن صورة العرب والمسلمين وخاصة السعوديين قد تعرضت إلى تشويه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، على الرغم من كون صورة العرب والمسلمين قد تأثرت خلال العقود الماضية بسبب صورة نمطية عكستها وسائل الإعلام الغربية وخاصة الأمريكية منها.
* تحديد مستوى الإضرار الذي حدث في المؤسسات السعودية بحكم طبيعة الحملة الموجهة إلى المملكة العربية السعودية، كما يراها السعوديون من الداخل. وقد أشارت الدراسة إلى أن كافة المؤسسات السعودية تأثرت بهذه الحملات، وتأتي في مقدمتها المؤسسات الدينية والمؤسسات

الخيرية. وقد أشارت دراسة الخطيب [١] إلى أن وسائل الإعلام الفرنسية قد عكست صورة مشوهة عن المملكة ومؤسساتها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، كما أن دراسة تركستاني [٢] أشارت إلى الصورة التي تولدت على العينة الكندية لم تكن متسقة مع الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام في كندا، مما يعني أن الصورة الذهنية للمملكة لدى الجمهور تقل سلبيتها عن الصورة التي تحملها وسائل الإعلام الكندية، وهذا عكس ما أشارت إليه دراسة وانتا وجولان ولي [٣] إلى أنه كلما زادت التغطيات السلبية في وسائل الإعلام عن دولة من الدول، تنامت معها الاتجاهات السلبية لدى الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية. ولكن تظل النتيجة لمعظم الدراسات تشير إلى أن وسائل الإعلام تقود إلى الاتجاهات السلبية التي تتولد لدى الناس.

* تحديد مساهمة وسائل الإعلام الأمريكية المختلفة في الحملة ضد المملكة. وكشفت الدراسة أن مختلف وسائل الإعلام الأمريكية قد ساهمت بشكل كبير في تغذية وتقوية هذه الحملة، وتأتي الصحافة والتلفزيون في مقدمة هذه الوسائل. وتشير الدراسات الإعلامية إلى أن التلفزيون والصحافة تمثلان أقوى الوسائل الإعلامية في التأثير على الاتجاهات والصور لدى الجمهور.
* التعرف على مدى مساهمة القوى السياسية والعسكرية والاستخباراتية

---

(١) الخطيب، مرجع سابق .

(٢) تركستاني، مرجع سابق .

(٣) Wanta, Ibid.

والاقتصادية الأمريكية في تغذية الحملة ضد المملكة، كما يراها السعوديون. وجاءت المنظمات اليهودية في مقدمة المؤسسات التي رأت العينة أنها تساهم بشكل قوى ومؤثر في تعزيز الصورة السلبية عن المملكة، تلتها المؤسسات السياسية الأمريكية، ثم العسكرية. وقد أوضح روزي [1] أن المجتمعات الغربية مؤسسات تعمل على تقديم المواد والمعلومات الخام التي يتم منها تشكيل الصورة النمطية، وتتلقف وسائل الإعلام هذه المواد وتشكلها بما يساهم في تغيير أو تعديل أو تأكيد الصورة النمطية.

* تقويم دور المؤسسات السعودية في التصدي للحملة ضد المملكة كما يراها أفراد العينة. كشفت الدراسة عن دور متواضع رأته العينة في مساهمة المؤسسات السعودية للتصدي للحملات العدائية ضدها. وتقدمت جهود وزارة الخارجية على باقي الجهات الرسمية، بينما تقدمت المؤسسات الصحافية على باقي المؤسسات الإعلامية الأخرى في جهود التصدي لهذه الحملات.

* * *

(١) Rosie, Ibid.

المراجع :

أولاً : المراجع العربية :

١- **بيت المال، حمزة، وعثمان محمد العربي** (٢٠٠٤) " **كيف يتصور السعوديون أنفسهم؟** دراسة مسحية على عينة ممثلة للمجتمع السعودي"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢- ٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

٢- **بيت المال، حمزة وخالد السهيل** (٢٠٠٤) "اتجاهات المقالات الصحفية بعد ١١ سبتمبر في الصحافة السعودية: صحيفة الشرق الأوسط نموذجا"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢- ٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

٣- **تركستاني، أحمد سيف الدين** (٢٠٠٤) "صورة المملكة العربية السعودية في أذهان الكنديين: دراسة ميدانية في الصورة الذهنية وإسهام وسائل الإعلام في تكوينها"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢- ٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

٤- **الخطيب، عبدالله** (٢٠٠٤) "صورة المملكة العربية السعودية في الخطاب الإعلامي الفرنسي: الصحافة نموذجا"، ورقة مقدمة في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢- ٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

٥- **الدكان، زيد علي** (٢٠٠٤) " قراءة في الصحف الأسترالية وتصويرها للمملكة قبل وبعد ١١ سبتمبر مع التركيز على صحيفة ديلي تلغراف"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢- ٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

٦- **شعبان، شمس ومرعي مدكور** (٢٠٠٤) " صورة المملكة العربية السعودية في الصحافة

المصرية: دراسة مسحية للصحف والمجلات"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢- ٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

٧- **الطائر، عبدالله بن موسى** (٢٠٠٤) "دور مراكز الدراسات المستقلة في تحسين صورة المملكة العربية السعودية في أمريكا"، ورقة مقدمة في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢- ٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

٨- **عبدالله، شفيق الرحمن** (٢٠٠٤) "صورة المملكة العربية السعودية في وسائل الإعلام المرئية: دراسة لبعض البرامج التلفزيونية الأسترالية قبل وبعد أحداث سبتمبر"، ورقة مقدمة في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢- ٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

٩- **القرني، علي شويل وعبدالرحمن عبدالله العتيبي** (٢٠٠٣)، "صورة المملكة العربية السعودية في الصحافة الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر"، ورقة مقدمة للمنتدى الإعلامي السنوي الأول للجمعية السعودية للإعلام والإتصال، الرياض.

١٠- **مدكور، مرعي** (٢٠٠٤) "صورة المملكة العربية السعودية لدى المصريين: دراسة ميدانية في أبعاد الصورة واتجاهاتها"، بحث مقدم في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢- ٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

١١- **المهنا، إبراهيم عبد العزيز** (٢٠٠٤) "مراكز الدراسات ودورها السياسي وتأثيرها على الرأي العام وتكوين الصورة النمطية"، ورقة مقدمة في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢- ٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

١٢- **الهواري، محمد** (٢٠٠٤) "صورة المرأة المسلمة في الإعلام الغربي"، ورقة مقدمة في المنتدى الإعلامي السنوي الثالث: صورة المملكة العربية السعودية في العالم، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال: الرياض، ٢- ٥ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

ثانياً: المراجع الأجنبية :

1- Fredin, E. & G. Kosicki (1989), "Cognitions and attitudes about community: compensating for media images". Journalism Quarterly: 66, 571-8.
2- Fukuyama, Francis, The End of History and the last Man, New York: Avon Books, 1992.
3- Hamad, Basyouni Ibrahim ( ) Arab image in the minds of Western image-makers, Journal of International Communication: 7:1, pp. 7-35.
4- Huntington, Samuel, The Clash of Civilizations and the Remaking of the World order, New York: Touchstone, 1996.
5- Ghareeb, Edmund (ed), 1983, Split Vision: the portrayal of Arabs in American media, American Arab Affairs Council.
6- Halleck, Dee & Nathalie Magnan, (1993) "Access for others: alter (native) media practice" Visual Anthropology Review: 9:1, pp. 154-63.
7- Pack, Sam (2000), "Reception, identity and global village: televison in the fourth world. M/C: a journal of media & culture: 3:1.
8- Perlmutter, David (1997), Manufacturing visions of society and history in textbooks, Journal of Communication, summer.
9- Rosie, Michael, Pille Petersoo, John MacInnes & Susan Condoer, "Newspapers and national identity in the devolved UK", Edinburgh University, www.institute-of-governance.org
10- Said, edward, (1981) Covering Islam: How the media and the expert determine how we see the rest of the world. London: Routledge & keganpaul.
11- Spark, Alasdair (1996) Wrestling with America: media national images and global village, Journal of Pupular Culture, vol: 29:4.
12- Wanta, Wayne, (2003) Agenda setting and international news: media influnce on public perceptions of foreign nations, paper submitted to AEJMC, Kansas, USA.

* * *

دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بُعْد من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين

د. عبدالمحسن بن عبد الرزاق الغديان
قسم التربية ـ كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث :

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين. وقد تألف مجتمع الدراسة من جميع مديري المدارس والمشرفين التربويين الذين التحقوا ببرنامجي التدريب الخاصين بالإدارة المدرسية والإشراف التربوي اللذين تم تنفيذهما بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعددهم (٥٦) متدرباً. وقد قام الباحث بإعداد استبانة والتأكد من صدقها وثباتها لتكون أداة لهذه الدراسة. وكان من أهم نتائج الدراسة أن ٨٤,٣٪ من مجتمع الدراسة لديهم خبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت. وكما أن ٩٨٪ من المستجيبين يرون ضرورة عمل برامج تدريبية عن طريق الإنترنت لتمكين المعلمين من الالتحاق بها، بمتوسط حسابي قدره (٤,٥). ومن ناحية أخرى يرى ٩٤٪ أن البريد الإلكتروني وغرف المحادثة توفر للمتدرب مرونة في الوقت والمكان في عملية التدريب، بمتوسط حسابي بلغ (٤,٥٥). كما يرى ٩٢٪ أن من مميزات تدريب المعلمين بوساطة البريد الإلكتروني وغرف المحادثة تقليل الجهد وتوفير الوقت، بمتوسط حسابي بلغ (٤,٢٩). كما أوضحت النتائج أيضا أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين يعود لجميع متغيرات الدراسة، نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد.

مقدمة :

منذ القدم وعملية التعليم عملية مركزية تتطلب حضور الطلاب للمكان الذي توجد فيه المعلومة ؛ ليتمكنوا من الحصول عليها. أما في الوقت الحاضر والمعروف بعصر التقنية وتطور الاتصالات فإن المعلومات والمعارف أصبحت متاحة للطلاب والمتدربين في أي مكان في العالم عند اتصالهم بالإنترنت، بمعنى أنه بدلا من أن يأتي الناس إلى المعلومة أصبحت المعلومة تصل إلى الناس وهم في بيوتهم أو مقار أعمالهم. ولهذا التغير العديد من المزايا التي تصاحب وصول المعلومة إلى المتعلمين في أي مكان وجدوا فيه عبر الشبكة العنكبوتية مثل: الوصول إلى كميات كبيرة من المعلومات بشكل مباشر، والتعامل مع بيئة تعليمية جديدة خارج نطاق التعليم التقليدي والمحاضرة التقليدية، وكذلك الحصول على فرص كبيرة لاكتساب خبرات تعليمية متنوعة من خلال مجموعات النقاش والتعليم التعاوني Ferry, et. al, ٢٠٠٠, P.٢).

أن الفرصة التي تجعل الإنسان يقرر متى وأين يتعلم من أفضل ما تقدمه التقنية الحديثة في هذا الوقت وخاصة في مجال التدريب مقارنة بالتدريب التقليدي. فبسبب نمو الإنترنت في الوقت الحاضر أضحت التقنية الحديثة قادرة على تمكين المتدربين من اكتساب الخبرات والمعارف بطرائق مختلفة لم تكن متاحة لهم في الماضي. فقاعات التدريب مثلاً لم تعد ذلك المكان المحاط بأربعة جدران، فالمتدربون الآن ومن خلال أدوات الإنترنت (البريد الإلكتروني وغرف المحادثة) قادرون على التخاطب مع الخبراء في مختلف التخصصات، ولديهم الفرصة بالتعاون مع زملائهم في أي مكان في العالم، كما أن باستطاعتهم الحصول على التدريب في منازلهم أو مقار أعمالهم. ومن ناحية أخرى فالتفاعل الذي يتم من خلال تلك

الأدوات سوف يعطي المتدرب الفرصة للمشاركة بفاعلية أكبر في العملية التدريبية، وسوف يكون الاتصال بين المتدربين سهلاً جداً، وكذلك بينهم وبين المدربين.

ونتيجة للكثير من الميزات التي يقدمها التدريب الإلكتروني، مثل: انخفاض تكلفته، وزيادة المرونة في التدريب، وزيادة أعداد المتدربين الملتحقين بالبرامج التدريبية استطاع أن ينمو بشكل سريع في العديد من القطاعات داخل المجتمعات المتقدمة، مثل: القطاع الصناعي والتجاري والحكومي والأكاديمي. والتدريب عن بعد باستخدام التقنية الحديثة (الإنترنت) لديه الإمكانات التي تمكنه من تأدية دور بارز في الوصول إلى كل راغب يريد أن يطور مهاراته أو اكتساب معارف جديدة في أي مكان في هذا العالم دون الحاجة إلى حضوره. ويعد التحاق المعلمين في برامج التدريب عن بعد عبر الإنترنت من أهم الأمور التي تساعد في تطوير قدراتهم التعليمية والتدريسية، والإحاطة بكل جديد في مجالات عملهم.

فالمعلم أحد أهم مكونات العملية التعليمية وأحد المدخلات الرئيسة فيها، ولكن دوره في الوقت الحاضر في ظل دخول واندماج التقنية الحديثة في التعليم والتدريب أصبح مختلفاً كثيراً عما كان في السابق. فلم يعد دور المعلم نقل المعلومات من المقرر الدراسي إلى الطلاب، بل تحول دوره إلى موجه للطلاب يدفعهم للمشاركة بإيجابية في الحصول على المعلومات من خلال إعطائهم بعض المعلومات الرئيسة عن الموضوع المراد شرحه، ومن ثم حثهم على البحث عن بقية المعلومات المرتبطة بالدرس من مصادر مختلفة عن طريق استخدام الإنترنت. فالهدف من التعليم في الوقت الحاضر لم يعد النجاح في الاختبارات بل بناء التفكير الإبداعي والتفكير العلمي وتطوير المهارات للطلاب (سالم: ٢٠٠٤، ص٢٥٧).

فمن ناحية ونتيجة لهذه التغيرات في العملية التعليمية والتدريبية في عصرنا الحاضر أضحى لزاماً على صناع القرار في المملكة العربية السعودية أن يواجهوا هذه التطورات بفهم وعناية ومتابعة. كما يجب على الجهات المسؤولة كوزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي أن تدرك أن للتقنية الحديثة دوراً مهماً في تسهيل الكثير من العمليات التعليمية والتدريبية، ولكنها تحتاج إلى بناء جيد للأهداف ورؤية واضحة وتخطيط بعيد المدى. ومن ناحية أخرى عندما نريد للمعلم في المملكة العربية السعودية مواكبة التطورات والتغيرات التي تحدث في النظام التعليمي، فلابد أن يتقن أبجديات العصر الحديث المتمثلة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت؛ لكي يستخدمها في مجال عمله ويستطيع الالتحاق بالتدريب عن بعد أثناء الخدمة لمتابعة كل جديد في تخصصه.

وعلى الرغم من عدم تطبيق هذه التقنية في المؤسسات التعليمية والتدريبية في المملكة، إلا أن الباحث رأى في هذه الدراسة أن من الضروري معرفة مدى إمكانية الاستفادة من البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين.

* * *

مشكلة البحث :

تزايد أعداد المستخدمين للبريد الإلكتروني وغرف المحادثة على المستوى العالمي أظهر مدى أهمية هذه الأدوات في المجالات المختلفة سواء كانت علمية أو اجتماعية أو تجارية أو تربوية. وقد حصل مجال التدريب عن بعد على نصيب كبير في استخدام هذه الأدوات في الكثير من الدول الصناعية والمتقدمة في كلا القطاعين العام والخاص. وعلى الرغم من وجود أعداد ليست بالقليلة تستخدم هذه الأدوات في العالم العربي ومنها المملكة العربية السعودية، إلا أن هذا الاستخدام غالباً ما ينحصر في المجالات الاجتماعية أو استخدامها للمتعة وإضاعة الوقت. ومن ناحية أخرى قلة أو عدم وجود جهات رسمية أو غير رسمية في المجتمع السعودي تتبنى إدخال هذه الأدوات في العملية التعليمية والتدريبية بسبب عدم إدراكهم لأهميتها. مما أدى إلى بروز مشكلة في المجتمع السعودي تتمحور في توفر البنية التحتية القوية للاتصالات، وكذلك توفر الأجهزة في مقار الأعمال أوفي المنازل وازدياد عدد المستخدمين لهذه التقنية يوماً بعد يوم إلا أن الاستخدام الأمثل لأدوات التدريب والتعليم الإلكتروني، مثل: البريد الإلكتروني وغرف المحادثة وغيرها لم يستخدم بالشكل الصحيح. ونتيجة لذلك فإن الباحث من خلال هذه الدراسة يسعى للكشف عن وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين حول دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد.

أهمية الدراسة

نظراً للانتشار الواسع في استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في المجالات المختلفة بشكل عام، وفي مجال التدريب بشكل خاص أصبحت الجامعات والمعاهد العليا المتخصصة بالتدريب في الدول الصناعية والمتقدمة تتنافس فيما بينها في

الاستفادة من خدمات الإنترنت في تقديم برامج التدريب بطرائق جديدة وإتاحة الفرص للجميع بالتساوي. فالبريد الإلكتروني برز بصفته أحد أهم أساليب التدريب غير المتزامن بين المدرب والمتدرب. والذي يقصد به عدم ضرورة وجود كل من المدرب والمتدرب على اتصال بالإنترنت في الوقت نفسه. بينما تمثل غرف المحادثة أسلوب التدريب المتزامن حيث تتواصل الأطراف المختلفة من مدرب ومتدرب مباشرة. وكلا الأسلوبين يعدان مهمين جداً في التدريب عن بعد ؛ حيث يتيحان الفرصة لكل متدرب التدرب حسب وقته وسرعته في التدرب. وكذلك يمكن من خلالها الوصول إلى أعداد كبيرة من المتدربين والتعامل معهم كل حسب قدرته وإمكاناته.

ونتيجة لاقتناع الباحث بأهمية هذه الأدوات في مجال التدريب عن بعد، وقلة الدراسات التي أجريت في هذا المجال. فإن نتائج هذه الدراسة يمكن أن توفر لمتخذي القرار والمتخصصين أداة موضوعية يمكن الاستفادة منها في التعرف على أهمية دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في مجال تدريب المعلمين عن بعد من أجل رفع مستواهم العلمي والعملي. وخاصة أن هذه النتائج تم التوصل إليها من خلال التعرف على وجهات نظر وآراء مديري المدارس والمشرفين التربويين والذين يمثلون عنصرين مهمين من عناصر العملية التعليمية.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة بشكل أساسي إلى التعرف على وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين حول دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد، كما تسعى إلى تحقيق الأهداف الفرعية الآتية :

١- التعرف على مدى إلمام مديري المدارس والمشرفين التربويين بإدخال التقنية الحديثة (أدوات الإنترنت) في تدريب المعلمين عن بعد.

٢- التعرف على أهمية استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين.

٣- التعرف على مدى إدراك مديري المدارس والمشرفين التربويين للمزايا التي يمكن الحصول عليها من خلال استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد.

٤- تحديد ما إذا كانت هناك اختلافات في وجهات النظر بين مديري المدارس والمشرفين تعود لمتغيرات العمر وطبيعة العمل الحالي وسنوات الخبرة في مجال العمل وسنوات الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت.

٥- تقديم خلاصة توضح وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين حول دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد.

٦- تقديم توصيات وعناوين لأبحاث مستقبلية تتعلق باستخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة وغيرها من أدوات الإنترنت في التدريب عن بعد.

أسئلة الدراسة :

تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية :

١- ما مدى إلمام مديري المدارس والمشرفين التربويين بدمج التقنية الحديثة بالتدريب عن بعد؟

٢- ما الأهمية في استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين ؟

٣- ما مزايا استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين ؟

٤- ما المقترحات المناسبة التي يراها مديرو المدارس والمشرفون التربويون حول دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد؟

فرضيات الدراسة:

كما تسعى هذه الدراسة من التحقق من صحة الفرضيات الآتية:

الفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين حول استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير العمر.

الفرضية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير طبيعة العمل الحالي.

الفرضية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير سنوات الخبرة في مجال العمل.

الفرضية الرابعة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على التعرف على دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين. كما تتحدد هذه الدراسة بمجتمع الدراسة وهم مديرو المدارس والمشرفون التربويون الملتحقون بالدورات التدريبية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض في الفصل الدراسي الثاني ١٤٢٦/ ١٤٢٧ هـ.

مصطلحات الدراسة:

البريد الإلكتروني (E-mail): يقصد به تبادل الرسائل الإلكترونية عبر الشبكة العنكبوتية بسرعة فائقة سواء كانت الرسائل نصية أو مرفقاً بها أحد الوسائط المتعددة كالصوت أو الصورة أو الرسوم وغيرها.

غرف المحادثة (Internet Relay Chat) : هي إحدى أدوات الإنترنت التي تتيح إمكانات الاتصال المباشر بين شخصين أو أكثر عبر شبكات الحاسب الآلي عن طريق النصوص المكتوبة أو المحادثات والحوارات الصوتية سواء كانت فردية أو جماعية (توفيق، ٢٠٠١، ص٢٨٦).

التدريب عن بعد (Distance Training): هو النظام التدريبي غير التقليدي الذي يسمح للمتدرب من الاستفادة من المعلومات والخبرات التي يقدمها المدرب، بالرغم من عدم وجودهم في مكان واحد، غير أنهم متصلون ببعضهم عن طريق المراسلة البريدية أو استخدام المذياع وغيره من وسائل الاتصال الحديثة.

التدريب الإلكتروني (E-Training): هو التدريب باستخدام الحاسبات الآلية وبرمجياتها المختلفة سواء على شبكات مغلقة أو شبكات مشتركة أو شبكة الإنترنت (الغراب، ٢٠٠٣، ص٢٥).

المقصود بالمعلمين في هذه الدراسة: هم جميع العاملين في مجال التدريس في مراحل التعليم العام (ابتدائي، متوسط، ثانوي) في المملكة العربية السعودية.

الإطار النظري:

التدريب عن بعد باستخدام التقنية الحديثة:

يعد التدريب عن بعد مصطلحاً يوضح مدى وجود فاصل مكاني ملحوظ بين المدرب والمتدرب، وهذا النوع من التدريب يستخدم المقررات الدراسية المطبوعة، كما يستخدم غيرها من وسائل الاتصال الحديثة. وهو بهذا الأسلوب يشتمل على جميع الأنماط التدريبية التي لا تحتاج إلى مدرب يديرها أو إلى قاعات تدريبية معينة، وإنما يكتفي هذا النوع من التدريب بوجود مدرب يوجه وجهات تدريبية تدير هذه البرامج في أماكن خاصة بعيدة عن المتدرب. ولكن التدريب عن بعد ينظر له على أنه تجديد وإصلاح للتدريب التقليدي وليس بديلا عنه (الحميدي، ١٩٩٧، ص٧٩).

فالتطورات المتسارعة لتقنية الاتصالات والمعلومات وتقنية الحاسبات الآلية سهلت على مستخدميها استخدام الإنترنت في جميع المجالات وخاصة في مجال التعليم والتدريب. فمن جهة أسهمت هذه الشبكة بشكل كبير في وصول المتدرب والمتعلم إلى المعلومة بأسرع وقت دون جهدا يذكر في أي مكان كان. وهذا ما يؤكده بيلكنجتون وآخرون(٢٠٠٠، ص٢) Pilkington, et. al, حيث أوضحوا بأن الاستخدام المرن لتقنية المعلومات والاتصالات في مجال التدريب

يستطيع أن يزود المتدربين بالمعلومات والمعارف والمهارات سواء كانوا في منازلهم أو أعمالهم دون الحاجة إلى حضورهم إلى الجامعة. ويشير وقنر وآخرون (١٩٩٩، ص٢) Wegner, et. al بأنه نتيجة لتلك المزايا فإن معظم الجامعات في أكثر من ٧٥ ٪ من الولايات الأمريكية أصبحت تقدم التعليم والتدريب الإلكتروني بشكل أو بآخر. كما يتوقعون بأنه في عام ٢٠٠٧م ستكون ٥٠ ٪ من البرامج الدراسية والتدريبية للطلاب والمتدربين تقدم من خلال التعليم والتدريب الإلكتروني.

والحقيقة أن هناك العديد من الأسباب التي تدفع كثير من الجامعات والمعاهد العليا في العديد من الدول المتقدمة لتبني التعليم والتدريب الإلكتروني مثل:

١- تقليل مصروفات السفر وانتقال المتدربين.

٢- يحافظ على وقت المتدرب، من خلال إعطائه الفرصة في التدرب في الوقت المناسب له.

٣- تبادل الخبرات والثقافات بين المتدربين والمشاركة في مصادر المعلومات بغض النظر عن البلد الذي ينتمون إليه.

٤- التحكم في مراجعة وتحديث المعلومة المتعلقة بالبرنامج التدريبي.

٥- سرعة الوصول إلى مواقع التدريب على الإنترنت (Sugges, et. al, ٢٠٠٢, P.٦) و(توفيق، ٢٠٠١، ص ٥٥).

وخلاصة القول بأن قمة الاستغلال الأمثل للشبكة العالمية للمعلومات في مجال التدريب يتحقق عندما يتم استخدامها كبيئة للتدرب والتعلم مع انعدام الحدود وانخفاض التكاليف.

أنواع أدوات الاتصال :

ظهور الإنترنت واستخدامه من خلال استخدام الحاسب الآلي أو استخدام الهاتف النقال ليس مجالاً للترفيه، بل هو تطور في مجال الاتصالات والمعلومات، فمن خلالها يتمكن المستخدمون لها من التراسل والتحدث مع الآخرين، ومناقشتهم، وتبادل الخبرات والأفكار، ومتابعة ما يستجد من معلومات سواء المعلومات العامة، أو المعلومات في مجال التخصص واستخدامها في المجال التجاري والمصرفي والاستفادة منها في البحث العلمي والتعليم وغيرها. والإنترنت يوفر العديد من الأدوات والبرمجيات التي تمكن المشتركين بالشبكة من الاستفادة من خدماتها. ومن أهم هذه الخدمات التي أسهمت بالنمو والانتشار السريع كما يراها جايس وهولمز (٢٠٠٤ ، ص٢٢) ما يأتي :

١- البريد الإلكتروني (E-mail) .

٢- جوفر (Gopher) .

٣- بروتوكول نقل الملفات (FTP) .

٤- غرف المحادثة (Chat Rooms).

٥- مجموعات الأخبار (Usenet).

كما تضيف دوقلبي (٢٠٠٠ :٣٧) Duggleby أدوات أخرى مهمة مثل :

٦- الشبكة العنكبوتية (World Wide Web).

٧- القوائم البريدية (Mailing lists).

٨- مؤتمرات الفيديو(Video Conferencing).

٩- المؤتمرات المسموعة (Audio Conferencing)

فمن خلال هذه الأدوات يستطيع مستخدمو الإنترنت من نشر ما يريدونه وعرضه على الآخرين من خلال الكتابة أو استخدام الصوت أو الصورة وغيرها. كما أنهم يستطيعون تبادل الأفكار مع زملائهم في البلدان الأخرى بين حين وآخر.

وعند تطبيق هذه الأدوات في مجال التدريب نجد أن الاتصال في التدريب الإلكتروني يتم من خلال أسلوبين، أولهما: التدريب المتزامن أو المباشر (Synchronous e-training)، وثانيهما: التدريب غير المتزامن أو غير المباشر (Asynchronous e-training). وكلا الأسلوبين مهم في عملية التدريب الإلكتروني. ونظراً لأهمية المزج بين هذين الأسلوبين في هذا المجال، فسوف يركز الباحث من خلال هذه الدراسة على إحدى أدوات التدريب غير المتزامن وهي البريد الإلكتروني، كما سيركز على إحدى أدوات التدريب المتزامن وهي غرف المحادثة.

ولعل من الحكمة التحدث بشكل أكثر تفصيلاً في الفقرات القليلة القادمة عن التدريب الإلكتروني المتزامن وغير المتزامن لتوضيح بعض الأمور التي قد تخفى على البعض.

التدريب الإلكتروني غير المتزامن والتدريب الإلكتروني المتزامن:

١- التدريب غير المتزامن عن طريق الشبكة العنكبوتية:

يتم الاتصال غير المتزامن في التدريب الإلكتروني بين المدرب والمتدرب بشكل غير مباشر من خلال دخول كل منهم لشبكة الإنترنت في أوقات متفاوتة. فمن ناحية يقوم المدرب بإعطاء بعض المعلومات والتوجيهات للمتدربين تمكنهم من الحصول على المهارات والمعارف الجديدة التي يحتاجون إليها. والمتدربون بدورهم يقومون بإنجاز ما يكلفون به من أعمال، والعمل مع زملائهم في المشروعات

المتعلقة بالبرنامج التدريبي في الأوقات التي تناسبهم، وبهذه الطريقة يحصل المتدربون على ما يريدونه من مهارات ومعلومات في مجال تخصصهم، ويتبادلون الخبرات فيما بينهم بيسر وسهولة، إلا أنهم لا يتقابلون مع بعضهم البعض في الوقت نفسه.

ولكن هناك بعض الصعوبات التي قد تواجه هذا الأسلوب كما يرى راجونادن وبوردلى (٢٠٠٠، ص٧) Bordeleau & Ragoonaden بأن من مشكلات التدريب غير المتزامن أن اختلاف الوقت بين الأماكن التي يوجد بها المتدربون، وخاصة ما يتعلق بالعمل الجماعي عند استخدام البريد الإلكتروني فقد يؤدي إلى تأجيل الرد على الرسائل الإلكترونية أو إهمالها من قبل بعض الزملاء؛ مما يؤدي إلى الإحباط للبعض الآخر، وعدم قدرة المتدربين على العمل بشكل جماعي. وكما أن هناك مشكلة أخرى ترتبط بالمشكلة السابقة وهي أن بعض المتدربين يفضل العمل وحده ولا يرغب في العمل والتعامل مع الآخرين، بسبب اعتقاده بأن عمله معهم قد يؤدي إلى ضياع وقته، وشعوره بأنه قادر على إنجاز العمل بشكل فردي.

وعلى الرغم من وجود بعض السلبيات لهذا النوع من التدريب إلا أن البرامج التدريبية غير المتزامنة تتناسب مع بعض الموضوعات المحددة، التي يتم فيها تزويد المتدربين بالإرشادات والنظريات والمفاهيم التي تساعدهم على تطبيقها على تلك الموضوعات والمشكلات المتنوعة والتي لا تتوفر لها إجابة محددة ولكن يستطيع المتدربون من خلال طريقة العصف الذهني في مزج الخبرات التي لديهم والمعلومات والإرشادات التي حصلوا عليها في إيجاد الحلول التي يرون أنها مناسبة كل حسب وجهة نظره. ومن البرامج التي يمكن تطبيق التدريب غير المتزامن عليها

على سبيل المثال، برنامج تدريب الأطباء على كيفية تسجيل التاريخ الطبي للمرضى. فهذا البرنامج يتناسب مع هذا النوع من التدريب، نظراً لإمكانية تزويد المتدربين بمعلومات وإرشادات وخطوات محددة يمكن تطبيقها في مجال العمل. ويرى توفيق (٢٠٠٤ :١٥١) أن أهم مميزات برامج التدريب غير المتزامن تتمثل في استطاعتها جمع العديد من المتدربين من مناطق جغرافية متنوعة سواء كانوا من البلد نفسها أومن دول مختلفة، وكذلك عدم ارتباط هذا النوع من التدريب بوقت محدد كما هي الحال في التدريب التقليدي.

٢- التدريب المتزامن عن طريق الشبكة العنكبوتية:

التدريب المتزامن هو التدريب الذي يتم مباشرة بين المدربين والمتدربين في الوقت نفسه، حيث يتطلب وجودهم أمام أجهزة الحاسب الآلي كما يتطلب اتصالهم بالإنترنت؛ ليتمكنوا من نقاش بعضهم البعض، وإجراء المحادثات الكتابية أو الصوتية أوكلاهما معاً بين المتدربين أنفسهم، وبينهم وبين المدربين عبر غرف المحادثة أومن خلال المؤتمرات المرئية أو المؤتمرات المسموعة لتلقي الدروس من خلالها.

فالمؤتمرات المرئية والمسموعة تعد أساليب تدريبية متطورة. حيث تتيح للمتدرب والمدرب إمكانية التفاعل المباشر من خلال مشاهدة أو استماع بعضهم لبعض أوكلاهما معاً. أما ما يتعلق بغرف المحادثة فهي تتيح للمتدربين والمدربين الحوار المستمر من خلال كتابة التعليقات أو الإجابة على التساؤلات الخاصة بموضوع الدرس، وبناء المعارف الجديدة من خلال المشاركة الفاعلة والحوار مع الآخرين وتبادل الخبرات بينهم (توفيق، ٢٠٠٤ ،ص١٦٠). ويؤكد فريمان وآخرون (٢٠٠٠، ص٣) Freeman et al أهمية التفاعل في هذا النوع من التدريب،

حيث يرون أن الميزة الرئيسة للتدريب المتزامن هي التفاعل المباشر بين المدرب والمتدرب، مما يؤدي إلى انسياب المعلومات بشكل سلس ومتواصل دون انقطاع. ولكنهم أيضاً يرون أن لهذا النوع من التدريب عيوباً مثل: أنه يتطلب وجود المدرب والمتدرب على اتصال مباشر بشبكة الإنترنت في الوقت نفسه، على الرغم من أنه قد يكون ذلك غير مناسب لبعض المتدربين وخاصة المتدربين الذين يوجدون في مناطق بعيده، ويكون فارق التوقيت بين البلد الذي يعيشون فيه والبلد الذي يوجد فيه المدرب كبيراً.

والحقيقة التي لابد من الاعتراف بها أن الشبكة العنكبوتية استطاعت أن توفر كلا النوعين من التدريب. بمعنى أن التدريب يمكن أن يتم في كل وقت سواء كان مباشراً أو غير مباشر، حيث يمكن تخزين المعلومات والرجوع إليها في الوقت الذي يناسب المتدرب. ويشير كل من مكنرني وروبرتس (٢٠٠٤، ص٧٥) McInnerney & Roberts إلى أن كلا الأسلوبين المتزامن وغير المتزامن مطلوب بشكل كبير لإنجاح عملية التدريب الإلكتروني. ويوضحان بأن استخدام أسلوب التدريب غير المتزامن يؤدي إلى أن يكون مسار المعلومة متجه باتجاه واحد من المدرب إلى المتدرب، ويكون المتلقي دائماً سلبياً غير متفاعل. وللتغلب على هذه المشكلة فلابد من استخدام أسلوب التدريب المتزامن.

البريد الإلكتروني E-mail:

البريد الإلكتروني من أكثر أدوات الإنترنت انتشاراً بين المستخدمين على المستوى العالمي سواء كان استخدام هذه الخدمة على النطاق الفردي أو الجماعي. حيث يتيح البريد الإلكتروني لجميع المستخدمين الذين يمتلكون بريداً إلكترونياً على الشبكة العنكبوتية في أي مكان في العالم تبادل الرسائل والمقالات والنصوص

والصور وغير ذلك مع بعضهم البعض بيسر وسهوله وسرعة تفوق التصور مقارنة بسرعة البريد العادي. وهناك الكثير من المواقع التي تعطي بريداً مجانياً مثل Hotmail وYahoo، ولكن أيضاً توجد جامعات ومعاهد عليا وغيرها تقدم البريد الإلكتروني الخاص بها ولا تمنحه إلا لأعضاء هيئة التدريس والطلاب والإداريين المنتسبين لها فقط، بمعنى أنه ليس عام لجميع المستخدمين للإنترنت.

ونتيجة لهذا الاستخدام الواسع الانتشار أصبح مجال التدريب والتعليم من المجالات التي استفادت من هذه الخدمة. ويؤكد تيدمان (٢٠٠٢، ص٩) Tiedemann وساجس وآخرون (٢٠٠٢، ص٦) Sugges, et. al, ذلك حيث يرون بأن البريد الإلكتروني من أكثر أدوات التدريب عن بعد استخداماً وأكثرها دعماً للتفاعل بين المدرب والمتدرب. كما يرون بأنه أداة هامة من الأدوات التي تعد رئيسة وضرورية في التدريب عن بعد، وهي متاحة للمتدربين والطلاب وأعضاء هيئة التدريب في أكثر الجامعات.

فوائد استخدام البريد الإلكتروني بشكل عام:

١- سهولة استخدام البريد الإلكتروني.

٢- سرعة تبادل الرسائل بين المستخدمين للبريد الإلكتروني، فغالباً ما تكون خلال ثوان أو دقائق معدودة.

٣- تعد تكلفة إرسال رسائل بالبريد الإلكتروني منخفضة مقارنة بالبريد التقليدي، حيث تكون تكلفة إرسال الرسالة مجانية إذا كان لدى المستخدم اتصالاً بالإنترنت.

٤- بإمكان صاحب البريد الإلكتروني من كتابة رسالة أو قراءة أخرى في أي وقت شاء وفي أي مكان كان في هذا العالم الفسيح.

٥- يتميز استخدام البريد الإلكتروني بالسرية حيث يتطلب الدخول عليه اسم المستخدم وكلمة المرور التي لا يعلمها إلا المستخدم نفسه.

٦- إمكانية إرسال الرسالة نفسها إلى أكثر من جهة واحدة.

فوائد استخدام البريد الإلكتروني في التدريب عن بعد:

هناك العديد من الفوائد التي يمكن الاستفادة منها عند استخدام البريد الإلكتروني في التدريب عن بعد ومن أهمها الآتي:

١- البريد الإلكتروني يعد أداة فاعلة في التواصل بين المدرب والمتدرب من خلال إرسال التعليمات والتوجيهات والواجبات المنزلية والرد على الاستفسارات.

٢- أداة فاعلة في اكتساب المتدربين لمعارف ومهارات جديدة من خلال الاتصال بالمتخصصين من مختلف دول العالم.

٣- الاتصال بين المدربين والمتدربين والشؤون الأكاديمية والإدارية من خلال إرسال وتسلم التعميمات واللوائح والأوراق المهمة.

٤- الاتصال والتواصل بين مراكز التدريب في الجامعات والمعاهد والكليات سواء في البلد الواحد أو خارج الدولة، مارتين وفريمان (١٩٩٩، ص٧) Martine & Freeman وبارتون وسلنجر (٢٠٠٠، ص٢) Barton & Selinger (سالم، ٢٠٠٤، ص٣٣٧)، الموسى (١٤٢٥، ص ص٢٠٣- ٢٠٤).

ونتيجة لهذه الفوائد وغيرها فإن البريد الإلكتروني في التدريب عن بعد له آثار إيجابية لكثير من المتدربين الذين لا تسمح ظروفهم الاجتماعية أو الوظيفية من استخدام أدوات التعليم المتزامن والتي تحتاج أن يكون المتدرب على اتصال

بالشبكة العنكبوتية في الوقت نفسه الذي يكون فيه المدرب متصلاً. وهناك بعض الخبراء من يرى أن أعداد المستخدمين للبريد الإلكتروني في التدريب عن بعد يزداد يوماً بعد يوم بسبب كثرة الميزات التي يقدمها للجميع، والرضا الذي يحظى به بين أصحاب الشأن وخاصة فيما يتعلق بضمان السرية. فتؤكد شيري (٢٠٠١، ص١٠٢) Sherry ذلك، حيث ترى أن استخدام البريد الإلكتروني سوف يستمر في التزايد بسبب السرعة والسرية التي يتميز بها في تبادل الرسائل الإلكترونية في التدريب عن بعد؛ مما جعله مقبولاً بشكل كبير في الكثير من الجامعات ومراكز التدريب العليا.

غرف المحادثة (Chat Rooms):

تعد غرف المحادثة الأداة الأكثر انتشار بين المستخدمين بعد البريد الإلكتروني. حيث تعطي هذه الخدمة الفرصة للمستخدمين للتحدث مع بعضهما البعض سواء كان الحديث جماعياً أو فردياً. وغرف المحادثة تجمع بين استخدام الكتابة في التحاور مع الآخر كما أنها توفر فرصة التحادث الصوتي لمن يرغب. وهذه ميزة مهمة في العملية التعليمية والتدريبية.

تري جريجسبي (٢٠٠١، ص٢) Grigsby بأن مميزات استخدام غرف المحادثة تفوق سلبياتها. ومن الأمثلة على الإيجابيات أن المتدرب يستطيع أن يتخاطب عبر غرف المحادثة مع متدربين آخرين بالعمر نفسه تقريباً، ولديهم خبرات كبيرة، مما يجعلهم يستفيدون من بعضهم البعض. كما أن غرف المحادثة قدمت طريقة جديدة في تحفيز المتدربين على المشاركة والتعاون فيما بينهم. وهذا ما يؤكده كوكس وآخرون (٢٠٠٤، ص١٨٤) Cox, et. al, حيث يشير إلى أن غرف المحادثة أداة مهمة تشارك في تطوير التعاون بين المتدربين وكذلك بناء المعرفة لديهم.

ولكي تنجح عملية التدريب من خلال غرف المحادثة لابد من أن يعطى المتدربون بعض الوقت للتجريب والممارسة قبل البدء في الاستخدام الفعلي في التدريب. وهذه الطريقة تخفف الرهبة التي قد تعتري بعض المتدربين عند استخدامهم لها، وقراءة ما يكتبه الآخرون، كما أنها تعطيهم الفرصة لرؤية كيفية الاستخدام الأمثل لغرف المحادثة.

فوائد استخدام غرف المحادثة في التدريب عن بعد:

١- من خلال غرف المحادثة يمكن نقل الندوات والمحاضرات المتعلقة بالبرنامج التدريبي من المدربين إلى المتدربين وهم في منازلهم أو مقار أعمالهم. مما يوفر لهم ولجهاتهم التي يعملون بها الوقت والجهد والتكلفة المادية.

٢- غرف المحادثة توفر خدمة حفظ محتويات ما تتم مناقشته؛ مما يسمح للمتدربين إمكانية الاستماع إلى المحاضرات أو قراءتها حسب ظروفهم الخاصة .

٣- الاستفادة من خبرات المختصين في موضوعات محددة تهم المتدربين، مثل: دعوة أحد التربويين للتحدث عن موضوعات يتم تحديدها مسبقاً.

٤- غرف المحادثة تقدم خدمة للمتدربين من خلال عقد اجتماعات بالصوت والصورة حول موضوع معين مع جهات تدريبية أو تعليمية متخصصة في أي دولة من دول العالم في الوقت نفسه (سالم، ٢٠٠٤، ص٣٤١).

٥- يمكن الاستفادة من غرف المحادثة باستضافة أحد الخبراء من أي مكان في العالم لإلقاء محاضرة على المتدربين مباشرة وبتكلفة زهيدة.(الموسى والمبارك، ١٤٢٥، ص ٩٦)

ويضيف كريتز وآخرون (٢٠٠٠، ص٨) Kreutz, et. al, ميزات أخرى لاستخدام غرف المحادثة حيث يرون أن المحادثة تعطي المتدرب الفرصة في الحصول على المناقشات التي تمت في السابق من خلال تحميلها في الجهاز ومراجعتها في الأوقات التي تناسبه. كما أن المدرب يستطيع حفظ جميع ما يدور في المحاضرات التي تتم عن طريق المحادثة طول الفصل الدراسي. وهذه الميزة تساعد المتدربين الذين لم يتمكنوا من المشاركة في هذه المحاضرات على الإنترنت أن يحصلوا على نسخة منها وقراءة ما تمت مناقشته في الوقت الذي يناسبهم.

ويرجع بيلكنجتون وآخرون (٢٠٠٠، ص٢) Pilkington, et. al, أسباب عدم تمكن البعض من المشاركة بشكل مستمر من خلال غرف المحادثة إلى وجود صعوبات للدخول إلى غرف المحادثة التي تتم فيها المحاضرات. وكذلك وجود التزامات اجتماعية أو وظيفية للمتدرب تتعارض مع أوقات المحاضرات. ولكنهم في النهاية أبرزوا دور المشاركة وضرورة عدم التغيب عن المحاضرات وأوضحوا أن هناك علاقة بين كثرة المشاركة و الحصول على درجات عالية.

الدراسات السابقة:

هناك بحوث ودراسات أجريت بهدف التعرف على مدى أهمية دور أدوات الإنترنت وخاصة البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التعليم والتدريب عن بعد، وقد تمكن الباحث من التوصل إلى بعض تلك الدراسات والبحوث. فمن أهم الدراسات التي تطرقت للبريد الإلكتروني ودوره في التدريب والتعليم عن بعد،

دراسة وقنر وآخرين (١٩٩٩) Wegner et al حيث قامت بدراسة تأثير نظام التعليم القائم في استخدام التقنية الحديثة على اتصال الطلاب بعضهم مع بعض في بيئة التعليم عن بعد. عرضت هذه الدراسة تجربة استمرت لمدة سنتين لبرامج نفذت عن طريق الإنترنت. وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتائج من أهمها: أنه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية فيما يخص استخدام البريد الإلكتروني في التواصل بين الطلاب بعضهم مع بعض، وكذلك وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استخدام البريد الإلكتروني بين الطلاب والمعلم. ولا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية لاستخدام الطلاب للإنترنت لأغراض البحث. كما توصلت الدراسة إلى أن استخدام نظام التعليم عبر الإنترنت أظهر تأثيراً إيجابياً على الاتصال بين الطلاب من خلال البريد الإلكتروني. وأيضاً توصلت إلى أن برامج التعليم الإلكتروني يجب أن يهتم بها عند تصميم التعليم بشكل يوازي الاهتمام بتصميم التعليم التقليدي أو أكثر.

وفي دراسة فرانك وتولاند (٢٠٠٢) Frank & Toland التي أجريت بغرض التعرف على مدى تأثير اختلاف الخلفية الثقافة للطلاب في استخدام البريد الإلكتروني للاتصال ببعضهم البعض لمناقشة الموضوعات الخاصة بالبرنامج أو للاتصال بعضو هيئة التدريس في جامعتين إحداهما في أستراليا والأخرى في دولة فوجي. وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك استخداماً كبيراً للبريد الإلكتروني من قبل الطلاب الأستراليين مقارنة بزملائهم من دولة فوجي. حيث يتراسلون فيما بينهم ويراسلون المعلم لمناقشة الموضوعات ذات الأهمية الكبرى في البرنامج التعليمي من خلال البريد الإلكتروني. بينما تنحصر مشاركات الطلاب من فوجي عبر البريد الإلكتروني في مطالبتهم بتقليل الواجبات الغامضة وتخفيف العبء

الدراسي. كما أظهرت نتائج الدراسة أن الطلاب الأستراليين أكثر تطوعاً ومبادرة في الإجابة على تساؤلات المعلم أو تساؤلات الطلاب الآخرين من الفوجيين. ومن ناحية أخرى توصلت النتائج إلى أن الطلاب الفوجيين يستخدمون البريد الإلكتروني في التفاعل مع زملائهم اجتماعياَ وليس دراسياَ أكثر من اتصالهم بعضو هيئة التدريس.

وفي دراسة كومبس ورود (٢٠٠١) Coombs & Rodd عن دور الإنترنت في إيصال التعليم العالي للطلاب الذين يعيشون في مناطق نائية في جنوب غرب إنجلترا. وفي هذا الصدد تم استخدام البريد الإلكتروني ومؤتمرات الفيديو كأدوات لإيصال التعليم إلى أولئك الطلاب. وقد أظهرت نتائج الدراسة إلى أن كل من أعضاء هيئة التدريس والطلاب الذين شاركوا في هذا النوع من التعليم اكتسبوا خبرات إيجابية واستفادوا من استخدام البريد الإلكتروني ومؤتمرات الفيديو في التواصل فيما بينهم. وبشكل عام يرى الطلاب أن أفضل ميزة لهذا النوع من التعليم هو أنه يعطي الطالب الفرصة في التعليم والتدرب في المكان الذي يختاره والوقت الذي يناسبه، وكذلك يمنحهم التعلم حسب السرعة التي يستطيعون فيها إنجاز العمل الذي يكلفون به.

ومن ناحية أخرى أظهرت نتائج الدراسة أن هناك العديد من الصعوبات التي واجهت أعضاء هيئة التدريس والطلاب الذين شاركوا في تلك التجربة. فبالنسبة لعضو هيئة التدريس واجهه العديد من الصعوبات مثل: قلة الدعم الإداري من إدارة الجامعة، وكذلك قلة الدعم من المكتبة المركزية فيما يخص توفير مصادر المعلومة والمراجع لطلاب المناطق النائية عبر الإنترنت. ومن الصعوبات أيضاً قلة الدعم الفني الذي يحتاجونه عند حدوث بعض المشكلات التقنية أثناء عملية

التدريس. كما أن أعضاء هيئة التدريس يشتكون من قلة الوقت ومصادر التمويل المعطى لهم لتطوير مثل هذه البرامج. أما بالنسبة للطلاب فقد كان أكبر معوق واجههم هو صعوبة الدخول لموقع الجامعة للحصول على المعلومات والتوجيهات الخاصة بمواد البرنامج عن طريق الإنترنت. ومن الصعوبات أيضاً عدم وجود خبرات تقنية لدى الطلاب تمكنهم من حل المشكلات التي تواجههم.

وفي دراسة استطلاعية قام بها فري وآخرون (٢٠٠٠) Ferry, et. al, تناول البحث في كيفية استخدام الأدوات المختلفة للإنترنت في التدريب المتزامن وغير المتزامن، مثل: البريد الإلكتروني والمنتديات وغيرها لدعم الطرق البديلة في تدريب وتطوير المعلمين المبتدئين. وقد أظهرت النتائج أن بعض أفراد العينة استخدموا البريد الإلكتروني في التواصل فيما بينهم وتبادل الخبرات والمعارف. كما أوضحت النتائج أيضاً أن جميع المتدربين يفضلون استخدام المنتديات المتاحة للمشاركة فيها وطرح الأسئلة على الآخرين سواء من المتدربين أو أعضاء هيئة التدريس والاستفادة من إجاباتهم وخبراتهم. وأخيراً توصلت الدراسة إلى حقيقة مفادها أن العديد من المهارات المستخدمة في المناقشات التي تتم وجها لوجه في التدريب التقليدي قد انتقلت إلى المناقشات التي تحدث من خلال أدوات التدريب عبر الإنترنت.

أما دراسة راجونادن وبوردلي (٢٠٠٠) Bordeleau & Ragoonaden فقد ركزت في التعليم التعاوني من خلال الإنترنت، حيث عملت على تقويم استخدام أدوات التعليم الإلكتروني غير المتزامن، مثل: البريد الإلكتروني ومجموعات النقاش والمنتديات وغيرها. وفي هذه الدراسة تم التوصل إلى نتائج مهمة مثل أن معظم الطلاب الذين يدرسون عن بعد استمتعوا بالتواصل مع بعضهم

البعض، وكذلك مع عضو هيئة التدريس ومساعدي عضو هيئة التدريس، إلا أن حل الواجبات من خلال التعليم التعاوني ليس دائماً ناجحاً. وتوصلت الدراسة إلى وجود العديد من المشكلات التي واجهت استخدام هذا النوع من التعليم فعلى سبيل المثال اشتكى العديد من الطلاب من بعض الصعوبات التقنية التي تمثل العائق الكبير في إجراء الاتصال بالإنترنت، كما اشتكى آخرون من قلة التفاعل والتعاون بين الطلاب المنتشرين في المناطق المختلفة، حيث وجد أن بعض الطلاب الذين يعتمدون على أنفسهم في حل الواجبات وكتابة الأبحاث والتقارير يفضلون العمل حدهم لاعتقادهم أن العمل الجماعي سوف يحد أو يبطئ من إنجاز تلك الواجبات. أما الطلاب الذين لديهم الدعم الفني يواجهون صعوبة إنشاء وتطوير علاقات العمل التعاوني مع الطلاب من خارج البلاد.

وفي دراسة قام بها بارتون (٢٠٠٠) Barton لتقويم تجربة استخدام أدوات الإنترنت في تدريب المعلمين المبتدئين. توصلت الدراسة إلى أنه عند الرغبة في تطبيق التعليم الإلكتروني يجب عدم التركيز على الطلاب في استخدام أدوات التعليم الإلكتروني المتزامنة وغير المتزامنة، بل التركيز يجب أن ينصب في أعضاء هيئة التدريس، وتدريبهم على استخدام هذا النظام وأدواته، قبل أن يبدأ الطلاب باستخدامه. كما أن الدخول إلى الموقع الذي تتم فيه عملية التعليم عبر الإنترنت واستخدام أدواته في كثير من الأوقات يشكل عائقاً في استخدام هذا النظام. وخلاصة النتائج في هذه الدراسة أن استخدام التعليم الإلكتروني سيتم بشكل فاعل إذا أصبح جميع أعضاء هيئة التدريس والطلاب لديهم الاستعداد والخلفية الكاملة في استخدام النظام المتعلق بالتعليم الإلكتروني، مثل: استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة وغيرهما.

أما الدراسات التي تحدثت عن غرف المحادثة ودورها في التدريب الإلكتروني فقد كان من أبرزها ما توصل إليه كريتز وآخرون (Kreutz, et. al, (٢٠٠٠ في دراستهم لغرف المحادثة وأهميتها في الاتصال والتعاون بين المتدربين عبر الشبكة العنكبوتية. ومن أهم نتائج هذه الدراسة أن المدربين (أعضاء هيئة التدريس) استطاعوا حفظ جميع المناقشات التي تمت بينهم وبين المتدربين، مما أدى إلى تمكن المتدربين من الحصول على المناقشات التي تمت في الماضي عن طريق تحميلها في أجهزتهم واسترجاعها في الأوقات الملائمة لهم. كما توصلت الدراسة إلى أن المتدربين تمكنوا من الاتصال ببعضهم مباشرة سواء عن طريق الكتابة أو عن طريق المحادثة الصوتية، كما أنهم عملوا مع بعضهم البعض كفريق عمل في مجموعات صغيرة لمناقشة عناصر الدرس وحل الواجبات المعطاة لهم من خلال تكوين غرف محادثة مؤقتة خاصة بكل مجموعة.

وفي دراسة قام بها كوكس وآخرون (Cox, et. al, (٢٠٠٤ لتقويم التأثير التربوي لغرف المحادثة في برنامجين تم تدريسهم عن طريق الإنترنت. وتوصل الباحثون إلى أن استخدام الطلاب الأمثل لغرف المحادثة يعتمد بشكل كبير على جودة تصميم هذه البرامج. كما توصلت نتائج الدراسة إلى أن الطلاب مستمتعون بطريقة التدريس من خلال غرف المحادثة، حيث يقومون بالتحدث وكتابة إجاباتهم بوساطة تلك الغرف بكل ثقة حيث يشعرون بها أكثر من شعورهم بها أثناء مشاركتهم بالمناقشات في التعليم التقليدي. ومن ناحية أخرى يشعر الطلاب بشيء من الضيق لأنهم لم يتقابلوا مع المحاضر وجها لوجه. كما أن توقيت موعد بداية استخدام غرف المحادثة قد لا تناسب بعض الطلاب، وهذا يعد من أهم العوامل المؤثرة في حضور الطلاب وتفاعلهم.

كما قام بيلكنجتون وآخرون (٢٠٠٠) Pilkington, et. al. بدراسة هدفت إلى تقويم استخدام أدوات التدريب الإلكتروني لدعم حلقات النقاش في تدريب المعلمين. وكانت عينة الدراسة من المعلمين في المراحل المختلفة. وقد توصلت الدراسة إلى أنه يوجد علاقة بين زيادة نسبة المشاركة في غرف المحادثة بشكل عام والحصول على درجات عالية. ولكن ليست هناك علاقة بين التحدث من خلال غرف المحادثة والأداء الجيد في حل الواجبات. كما توصلت الدراسة أيضاً إلى أن أهم الأسباب التي تمنع المتدربين من المشاركة في حلقات النقاش هي صعوبات الدخول لغرف المحادثة عندما يتم الاتصال من منازلهم. وقد أبرزت هذه النتائج قضية مفادها أن النقاش حول بنية وتصميم البرنامج التدريبي عن بعد واجهت العديد من الاحتياجات التي تتعلق بالطلاب المنتظمين أو المتدربين جزئياً أو المتدربين عن بعد. ولكن الجميع استفاد من هذا البرنامج بطريقة أو بأخرى. فمثلا تمكن المتدربون جزئياً والمتدربون في المناطق النائية من الدخول إلى البرنامج التدريبي والحصول على المقررات وملحقاتها. أما المتدربون الذين اختاروا المشاركة في المناقشات من خلال غرف المحادثة استفادوا عدم السفر وتقليل الجهد والمحافظة على الوقت والمال. أما ما يتعلق بالطلاب من خارج الدولة فقد استفادوا من مرونة الدخول إلى غرف المحادثة والمشاركة في المناقشات التي تتم فيها وطباعتها.

أما جريجسبي (٢٠٠١) Grigsby فقد تقدمت بكتابة مقال تتحدث فيه عن خبراتها التدريسية من خلال غرف المحادثة. فقد توصلت إلى أن معظم المثقفين والمتعلمين لديهم الاستعداد لاستخدام غرف المحادثة في التدريب والتعليم ولا يشعرون بتخوف من ذلك. وترى أن الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) فيها الكثير من المواقع التي تقدم غرف المحادثة كإحدى الخدمات المجانية أو بأسعار رمزية، ولكنها

تنصح معلمي الإنترنت عندما يريدون تقديم دروس أو برامج تدريبية فلابد أن يختاروا المواقع التي توفر خدمة غرف المحادثة والتي تعطي العديد من المميزات، مثل: استخدام الرقم السري لدخول الغرف، وكذلك تمنع من وجود المحادثات الفردية، وهذا يعد أكثر ملائمة للمعلم والطلاب. ولهذا فهي ترى أن هذه المواقع موجودة، فمثلا يوجد مواقع تسمح بإنشاء غرف خاصة لا يمكن الدخول فيها إلا من خلال اسم المستخدم والرقم السري الخاص بهذه الغرف. وتذكر أنها استخدمت غرف المحادثة في أحد المواقع (www.epals.com)، وترى من خلال تجربتها أن الكثير من الطلاب يستمتعون بفكرة العمل التعاوني الجماعي مع الطلاب في مدارس أخرى في مدن أخرى من خلال غرف المحادثة.

وأخيراً دراسة فريمان وآخرين (٢٠٠٠) Freeman, et. al, حيث عملوا مقارنة بين أداء الطلاب ورضاهم في أربعة أنواع من التعليم هي على النحو الآتي:

١- التعليم عن طريق الإنترنت.

٢- التعليم عن طريق الأقمار الصناعية.

٣- التعليم عن طريق الدائرة التلفازية المغلقة.

٤- التعليم التقليدي.

وقد كان من أبرز نتائج هذه الدراسة ما يأتي: لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أداء الطلاب في التعليم التعاوني عبر الإنترنت ونظام التعليم عبر التلفاز أو التعليم التقليدي لطلاب الدراسات العليا. كما توصلت الدراسة أيضاً إلى أن الطلاب الذين يتعلمون من خلال الإنترنت يستطيعون العمل التعاوني وحل الواجبات في مجموعات من خلال غرف المحادثة. كما أظهرت النتائج بأنهم أكثر رضا من الطلاب الذين يتعلمون عبر الدائرة التلفازية المغلقة.

من خلال استعراض الدراسات والبحوث السابقة يتبين أنها تناولت أهمية استخدام البريد الإلكتروني بصفته أداة من أدوات التدريب أو التعليم الإلكتروني المتزامن، كما تناولت غرف المحادثة بصفتها أداة من أدوات التدريب والتعليم غير المتزامن. فبعضها استهدف التعرف على مزايا استخدام هذه الأدوات من خلال تقويم بعض البرامج التي نفذت في السابق، وبعضها استهدف التعرف على المشكلات التي تواجه مثل هذه البرامج. والبعض الآخر تم فيه عرض التجارب الشخصية للباحثين في استخدام التعليم والتدريب عن بعد باستخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة. ولقد توصلت نتائج معظم تلك الدراسات إلى حقيقة مفادها أن استخدام نظام التدريب عبر الإنترنت أظهر تأثيراً إيجابياً على الاتصال والعمل الجماعي بين المتدربين أو الطلاب من خلال البريد الإلكتروني وغرف المحادثة. كما توصلت النتائج إلى أن معظم المتدربين والطلاب الذين تدربوا عن بعد استمتعوا بالتواصل مع بعضهم البعض وكذلك بالاتصال بعضو هيئة التدريس. ومن النتائج أيضاً أن الكثير من الدراسات أبرزت إمكانية حفظ جميع المناقشات التي تمت بين عضو هيئة التدريس والمتدربين، مما يسهل على المتدربين الذين لم يشاركوا في تلك المناقشات الحصول عليها وتحميلها في أجهزتهم واسترجاعها في الأوقات الملائمة لهم.

ويستخلص من تلك النتائج أنه على الرغم من وجود العديد من الصعوبات التي واجهت المدربين أو المتدربين عند استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة، إلا أن هناك رضاً كبيراً من قبل المتدربين والطلاب وأعضاء هيئة التدريس في استخدام تلك الأدوات في التدريب عن بعد. كما أن هناك تحسناً في أداء المتدربين الملتحقين بتلك البرامج. ولكي تتم المحافظة على رضا الجميع فلابد أن يكون

تصميم برامج التدريب عن بعد ذي جودة عالية، واختيار أدوات التدريب الإلكتروني المناسبة للمدربين والمتدربين. لما توفره هذه البرامج من مزايا عدة للمتدرب، ومن أهمها التدرب في أي مكان يختاره، والوقت الذي يناسبه، وغيرها من المزايا.

وفيما يتعلق بالفائدة التي حصل عليها الباحث من استعراض تلك الدراسات والأبحاث أنها ساعدته في تكوين تصور واضح عن أهمية البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد، وما تقدمه هذه الأدوات من تسهيلات ومزايا لكل من المدربين والمتدربين. كما استفاد الباحث من تلك الدراسات في اختيار المنهج الملائم لهذه الدراسة.

إجراءات الدراسة:

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي في وصف وتحليل البيانات المستقاة من إجابات أفراد عينة الدراسة للاستبانة.

مجتمع الدراسة:

مجتمع الدراسة هو عينة الدراسة حيث يتكون من جميع المتدربين الذين التحقوا ببرنامج الإدارة المدرسية وبرنامج الإشراف التربوي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي ١٤٢٦/ ١٤٢٧ هـ ، حيث بلغ عددهم (٥٦) متدرباً (٢٦ مدير مدرسة، و٣٠ مشرفاً تربوياً) وزعت عليهم الاستبانة. وقد تمكن الباحث من تسلم(٥١) استبانة بعد تعبئتها من قبل أفراد المجتمع. وهي العينة التي اعتمد عليها الباحث في التحليل الإحصائي

المستخدم للإجابة عن أسئلة الدراسة وفرضياتها، ويمثل هذا الرقم (٩١٪) من الاستبانات الموزعة. وفيما يأتي وصف لعينة الدراسة:

يوضح الجدول رقم (١) أن مجموع عدد أفراد مجتمع الدراسة الذين أجابوا على الاستبانة بلغ (٥١) متدرباً، بينهم (١٤) متدرباً أعمارهم أقل من ٣٥ سنة، بنسبة ٢٧,٥٪، بينما بلغ عدد المتدربين الذين تتجاوز أعمارهم ٣٥ سنة (٣٧) متدرباً، بنسبة ٧٢,٥٪.

جدول رقم (١) يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب العمر

الرقم	العمر	العدد	النسبة (٪)
١	أقل من ٣٥ سنة	١٤	٢٧,٥
٢	٣٥ سنة فأكثر	٣٧	٧٢,٥
	المجموع	٥١	١٠٠

وإذا ألقينا نظرة على الجدول رقم (٢) الخاص بتوزيع مجتمع الدراسة حسب طبيعة العمل الحالي، نجد أن (٢٦) متدرباً يعملون في الإشراف التربوي، بنسبة ٥١٪، بينما نجد أن مديري المدارس بلغ عددهم ٢٤ متدرباً بنسبة ٤٧٪، في حين نجد أن (١) من أفراد مجتمع الدراسة لم يحدد طبيعة عمله الحالي بنسبة ٢٪.

جدول رقم (٢) يبين توزيع عينة الدراسة حسب طبيعة العمل الحالي

الرقم	طبيعة العمل الحالي	العدد	النسبة (٪)
١	مشرف تربوي	٢٦	٥١
٢	مدير مدرسة	٢٤	٤٧
٣	لم يحدد	١	٢
	المجموع	٥١	١٠٠

وعندما ننظر إلي الجدول رقم (٣) الذي يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب سنوات الخبرة في المجال التعليمي، نجد أن عدد المتدربين الذين لديهم خبرة في المجال التعليمي أقل من ١٠ سنوات بلغ (١٢) متدرباً بنسبة ٢٣.٥٪، بينما بلغ عدد المتدربين الذين تبلغ خبراتهم في المجال التعليمي ١٠ سنوات فأكثر (٣٩) متدرباً، وهؤلاء يمثلون أكثر من ثلاثة أرباع مجتمع الدراسة، بنسبة ٧٦.٥٪.

جدول رقم (٣) يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب سنوات الخبرة في المجال التعليمي

الرقم	الخبرة في المجال التعليمي	العدد	النسبة (٪)
١	أقل من ١٠ سنوات	١٢	٢٣.٥
٢	١٠ سنوات فأكثر	٣٩	٧٦.٥
	المجموع	٥١	١٠٠

وإذا انتقلنا إلى الجدول رقم (٤) الذي يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت، نجد أن من لديهم خبرات متفاوتة من المتدربين في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت بلغ عددهم (٤٣) متدرباً، بنسبة ٨٤.٣٪، بينما نجد أن المتدربين الذين ليست لديهم خبرة على الإطلاق في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت بلغ عددهم (٨) متدربين بنسبة ١٥.٧٪.

الجدول رقم (٤) يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت

الرقم	الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت	العدد	النسبة (٪)
١	لدي خبرة	٤٣	٨٤,٣
٢	ليس لدي خبرة	٨	١٥,٧
	المجموع	٥١	١٠٠

أداة الدراسة وصدقها:

قام الباحث ببناء استبانة لهذه الدراسة موجهةً إلى جميع المتدربين الذين التحقوا ببرنامجي التدريب الخاصين بمديري المدارس والمشرفين التربويين اللذين تم تنفيذهما في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ. وقد أفاد الباحث عند إعداد هذه الاستبانة من العديد من الدراسات العلمية، والبحوث المحكمة، التي تطرقت لاستخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التعليم والتدريب، وقد استخدم الباحث مقياس ليكرت (Likert) الخماسي للإجابة على فقرات الاستبانة.

وللتأكد من صدق الأداة قام الباحث بعرض الاستبانة في صيغتها الأولية على سبعة من أعضاء هيئة التدريس بقسم التربية في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، لتحكيمها والتأكد من مناسبة فقرات الاستبانة للغرض الذي وضعت من أجله. وقد تمت استعادة (٦) استبانات محكمة بعد أن قام المحكمون بفحص محتوياتها، والنظر في فقراتها. وبناءً على ملحوظات المحكمين تم حذف بعض الفقرات المكررة، وتعديل صياغة بعض الفقرات

الأخرى، وبعد ذلك قام الباحث بصياغة الاستبانة بشكلها النهائي. وقد تضمنت الاستبانة قسمين رئيسين، هما على النحو الآتي:

- القسم الأول يتعلق بمعلومات شخصية عن أفراد مجتمع الدراسة، حيث اشتمل على أربع فقرات هي: العمر، طبيعة العمل الحالي، سنوات الخبرة في المجال التعليمي، الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت.
- والقسم الثاني يتضمن وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين حول دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد، وينقسم إلى ثلاثة محاور هي على النحو الآتي:

○ المحور الأول يتعلق بمدى إلمام مديري المدارس والمشرفين التربويين بدمج التقنية الحديثة بالتدريب عن بعد، ويشتمل على سبع فقرات طلب فيها من أفراد مجتمع الدراسة الاختيار من بين خمسة بدائل (لا أوافق على الإطلاق، غير موافق، غير متأكد، أوافق، أوافق بشدة) بحيث لا تسمح للمستجيب اختيار أكثر من بديل، فعلى سبيل المثال طلب من أفراد مجتمع الدراسة اختيار أحد الخيارات السابقة لهذه العبارة (تسهم برامج التدريب الإلكتروني عن بعد في فهم المعلمين للتطورات التي تحدث في مجال تخصصاتهم بشكل أفضل).

○ المحور الثاني يركز في أهمية استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد، حيث اشتمل على سبع فقرات طلب فيها من أفراد مجتمع الدراسة الاختيار من بين البدائل الخمسة التي ذكرت سابقاً، بشرط اختيار بديل واحد فقط، فعلى سبيل المثال، طلب من المتدربين اختيار أحد الخيارات السابقة لهذه العبارة (لغرف المحادثة أهمية كبيرة في نقل الندوات والمحاضرات صوتياً من مكان إلى أماكن أخرى عدة).

○ المحور الثالث مزايا استخدام البريد الإلكتروني، وغرف المحادثة في التدريب عن بعد، وقد اشتمل هذا المحور على عشر فقرات طلب فيها أيضاً من أفراد مجتمع الدراسة الاختيار من بين البدائل الخمسة لمقياس ليكرت (Likert)، فعلى سبيل المثال، طلب من المستجيبين اختيار أحد خيارات مقياس ليكرت لهذه العبارة (يوفر البريد الإلكتروني وغرف المحادثة للمتدرب مرونة في الوقت والمكان في عملية التدريب).

• وضع سؤال مفتوح في آخر الاستبانة يتعلق بأهم المقترحات التي يراها أفراد مجتمع الدراسة مناسبة حول دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد.

وبعد توزيع الاستبانة على أفراد مجتمع الدراسة، وإعادتها إلى الباحث تم ترميز فقراتها بمساعدة أحد المتخصصين في مجال الإحصاء، والذي قام أيضاً بتحليل تلك نتائج بعد تفريغها في برنامج SPSS، والتأكد من صحتها. ولقد تم قياس صدق الاتساق الداخلي للاستبانة، وقياس ثباتها باستخدام معامل الفاكرونباك (Alpha -Chronbach)، وكذلك حساب التكرارات، والنسب المئوية، والمتوسطات الحسابية، واختبار مان وتني (Mann-Whitney (U .

صدق الاتساق الداخلي لأداة الدراسة :

تم حساب معامل الارتباط بيرسون (Pearson) باستخدام برنامج SPSS بين كل فقرة من فقرات أداة الاستبانة الخاصة بوجهات نظر المتدربين والدرجة الكلية للأداة، وكانت جميع الفقرات دالة إحصائياً عند مستوى ٠,٠٥، ومستوى٠,٠١؛ مما يعطي دلالة بالتماسك والاتساق الداخلي بين فقرات

الاستبانة. والجدول رقم (٥) يوضح أن جميع معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات الأداة والدرجة الكلية دالة إحصائياً.

جدول رقم (٥) يوضح صدق الاتساق الداخلي لآراء مديري المدارس والمشرفين التربويين لدور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد

الإلمام بدمج التقنية الحديثة بالتدريب عن بعد		أهمية استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد		مزايا استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد	
العبارة	معامل الارتباط	العبارة	معامل الارتباط	العبارة	معامل الارتباط
يعد مجال التدريب عن بعد باستخدام التقنية الحديثة من مجالات التدريب الجيدة.	٥٠١٤ ** ,.	يعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة من أكثر وسائل الاتصال عن بعد استخداماً.	٦٩٦٥** ,.	يساعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة المتدرب على المشاركة بشكل أكبر في التدريب الإلكتروني.	٦٦٥٩** ,.
يحتوي التدريب عن بعد في الوقت الحاضر على بعض أفضل وسائل الاتصال والتقنية المتطورة.	٦٦٩٨ ** ,.	لغرف المحادثة أهمية كبيرة في نقل الندوات والمحاضرات صوتياً من مكان إلى أماكن أخرى عدة.	٦٠١٨** ,.	يساعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة المتدرب على مناقشة القضايا المطروحة بتعمق أكثر.	٧٦٧٦** ,.
أثبتت البرامج المخصصة للتدريب عن بعد أنها من أكثر البرامج فاعلية عند استعمال أدوات التعليم الإلكتروني.	٣٥٣٨ * ,.	يعزز البريد الإلكتروني وغرف المحادثة الاتصال في مجالات التعليم عن بعد بشكل كبير.	٧٢٧٤** ,.	في الغالب يكون هناك تفاعل إيجابي بين المتدربين عند استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة.	٦٦٣٨** ,.
تسهم برامج التدريب الإلكتروني عن بعد في فهم المعلمين للتطورات التي تحدث في مجال تخصصاتهم بشكل أفضل.	٥٨٤٧** ,.	يؤدي البريد الإلكتروني وغرف المحادثة تدريباً مباشراً وغير مباشر مما يؤدي إلى تحقيق الأهداف التدريبية.	٦٠٠٩** ,.	يساعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة على توضيح وشرح المعلومات الغامضة من خلال توجيه الاستفسار للمدرب مباشرة أو إلى المتدربين أنفسهم.	٧٣٧٨** ,.
تحديث المهارات والتبادل السّريع للأفكار ميزة	٦٧٩٧** ,.	أثبتت تجارب بعض الدول بأن استخدام البريد	٦٥٣٣** ,.	تدريب المعلم بوساطة البريد الإلكتروني وغرف المحادثة	٥٨١٤** ,.

عظيمة للتدريب الإلكتروني عن بعد.		الإلكتروني وغرف المحادثة في العملية التعليمية تقلل من تكلفة التعليم والتدريب اقتصادياً.		يقلل من الجهد ويوفر الوقت.	
من الضروري تعميم استخدام أدوات التعليم الإلكتروني وخاصة البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في الأوساط التعليمية في المملكة للاستفادة منها.	٥١١٠**,.	يمكن أن يكون البريد الإلكتروني وغرف المحادثة أدوات تدريبية مفيدة لجميع التخصصات.	٤٢١٥**,.	يمنح التدريب الإلكتروني فرصاً تدريبية أكثر للمعلمين مقارنة بالتدريب التقليدي.	٦٥٩٦**,.
من الضروري عمل برامج تدريبية عن طريق الإنترنت لتمكين المعلمين من الالتحاق بها.	٦٩٧١**,.	يوفر البريد الإلكتروني وغرف المحادثة للمتدرب مرونة في الوقت والمكان في عملية التدريب.	٦٨١٣**,.	استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة تساعد المتدرب على التزود بخبرات تعليمية أفضل.	٨٠٣٢**,.
-	-	-	-	استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة يحقق تفاعلاً بدرجة أكبر بين المتدرّب والمدرب.	٨٢٢١**,.
-	-	-	-	يساعد التدريب من خلال الإنترنت المتدرّبين في تحديث معارفهم وتطوير قدراتهم العلمية والعملية.	٧٣٣٦**,.
-	-	-	-	يعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة من أهم الأدوات لتعزيز التعليم التعاوني بين المتدربين أنفسهم.	٦٦٢٨**,.

(**) دالة إحصائياً عند مستوى أقل من ٠,٠١.

(*) دالة إحصائياً عند مستوى أقل من ٠,٠٥.

ثبات أداة الدراسة:

وللتأكد من ثبات الاستبانة تم قياس معامل الثبات (ألفاكرونباك) (Alpha - Chronbach)، وقد أظهرت النتائج كما هو موضح في الجدول رقم (٦) ثبات الفقرات الخاصة بمدى إلمام أفراد مجتمع الدراسة بدمج التقنية الحديثة بالتدريب عن بعد بنسبة ٦٩٪، وثبات الفقرات الخاصة بأهمية استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد بنسبة ٧٦٪، وثبات الفقرات المتعلقة بمزايا استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد بنسبة تجاوزت ٨٩٪. كما أظهرت النتائج أيضا الثبات الكلي للاستبانة حيث بلغت النسبة ٩١٪، وهذه نسبة عالية تؤكد ثبات الاستبانة ويعتمد عليها في قياس ما أعدت لقياسه.

جدول رقم (٦) يوضح معامل ثبات ألفا كرونباك

المحور	معامل الثبات (٪)
الإلمام بدمج التقنية الحديثة بالتدريب عن بعد	٦٩
أهمية استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد	٧٦
مزايا استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد	٨٩,٧
الثبات الكلي	٩١

الأساليب الإحصائية:

استخدم الباحث مقياس ليكرت (Likert) الخماسي للإجابة على فقرات الاستبانة. ولقد تم تفريغ البيانات وتحليلها باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS). حيث تم استخدام الأساليب الإحصائية الآتية في هذه الدراسة:

١- التكرارات والنسب المئوية لوصف عينة الدراسة والتعرف على مدى تأثير متغيرات الدراسة في إجاباتهم.

٢- المتوسطات الحسابية لتحديد وزن كل استجابة؛ مما يسهل مقارنة الاستجابات مع بعضها.

٣- اختبار مان وتني Mann-Whitney (U) للتأكد من أن هناك فروقاً إحصائية بين استجابات المتدربين حسب متغير العمر، طبيعة العمل الحالي، سنوات الخبرة في المجال التعليمي، الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت.

٤- معامل ارتباط بيرسون (Pearson) لتحديد العلاقة الارتباطية بين كل فقرة من فقرات أداة الاستبانة الخاصة بوجهات نظر المتدربين والدرجة الكلية للأداة.

٥- معامل ألفا كرونباك (Alpha - Chronbach) لتحديد مستوى ثبات أداة الدراسة.

تحليل النتائج ومناقشتها:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين لدور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد. وفي هذا الجزء من البحث ستتم الإجابة على أسئلة الدراسة على النحو الآتي:

السؤال الأول: ما مدى إلمام مديري المدارس والمشرفين التربويين بدمج التقنية الحديثة بالتدريب عن بعد؟

يوضح الجدول رقم (٧) التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية لوجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين لمدى إلمامهم بدمج التقنية في

التدريب عن بعد، حيث اشتمل هذا القسم على (٧) فقرات. حيث بلغ المتوسط الحسابي للفقرة " من الضروري عمل برامج تدريبية عن طريق الإنترنت لتمكين المعلمين من الالتحاق بها" (٤.٥). وهذه النتيجة لا تتفق مع إحدى نتائج الدراسة التي أجرها بارتون (٢٠٠٠) Barton، والتي تطالب عند الرغبة في تطبيق التعليم الإلكتروني التركيز في أعضاء هيئة التدريس، وتدريبهم على استخدام هذا النظام وأدواته قبل أن يبدأ الطلاب باستخدامه. أما الفقرة " من الضروري تعميم استخدام أدوات التعليم الإلكتروني وخاصة البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في الأوساط التعليمية في المملكة للاستفادة منها"، فقد بلغ متوسطها الحسابي (٤.٤١). وهذا ما أكدته أيضاً دراسة بارتون (٢٠٠٠) Barton في أن استخدام التعليم الإلكتروني سيتم بشكل فاعل إذا أصبح جميع أعضاء هيئة التدريس والطلاب لديهم الاستعداد والخلفية الكاملة في استخدام النظام المتعلق بالتعليم الإلكتروني مثل استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة وغيرهما.

أما الفقرة " تحديث المهارات والتبادل السّريع للأفكار ميزة عظيمة للتدريب الإلكتروني عن بعد" كان متوسطها الحسابي (٤.٢٧). وهذه النتيجة تتفق مع ما توصل إليه فري وآخرون (٢٠٠٠) Ferry, et. al, وقد أظهرت النتائج أن بعض أفراد العينة استخدموا البريد الإلكتروني في التواصل فيما بينهم وتبادل الخبرات والمعارف. أما الفقرة التي احتلت المرتبة الرابعة فهي" يعد مجال التدريب عن بعد باستخدام التقنية الحديثة من مجالات التدريب الجيدة" بمتوسط حسابي قدره (٤.١٨). يليها الفقرة " تسهم برامج التدريب الإلكتروني عن بعد في فهم المعلمين للتطورات التي تحدث في مجال تخصصاتهم بشكل أفضل" فقد بلغ متوسطها الحسابي (٤.٠٤).

وهذه النتائج في مجملها تعد مؤشراً إيجابياً لمدى إدراك أفراد مجتمع الدراسة بدمج التقنية الحديثة في العملية التدريبية، وخاصة مطالبتهم بإقامة برامج تدريبية خاصة باستخدام التقنية بشكل عام للعاملين في الحقل التعليمي وتعميم استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة وغيرها سواء استخدم في مجال التدريب الإلكتروني أو استخدمت هذه الأدوات في مجالات أخرى نظراً لإدراكهم لأهميتها. والواقع في وزارة التربية والتعليم يعطي صورة موافقة لآراء أفراد مجتمع الدراسة. حيث تسعى الوزارة بنشر ثقافة استخدام التقنية الحديثة بين المعلمين والطلاب ودمجها ضمن العملية التعليمية من خلال إقرار مواد تتعلق بالحاسب الآلي ضمن الجدول الدراسي في مراحل التعليم العام، وكذلك إقامة معامل للحاسب الآلي في المدارس التابعة لها وإيصال خدمة الإنترنت لجميع المدارس.

أما الفقرات التي سجلت متوسطات حسابية أقل من ٤ فقد كانت على النحو الآتي: "يحتوي التدريب عن بعد في الوقت الحاضر على بعض أفضل وسائل الاتصال والتقنية المتطورة" بمتوسط حسابي بلغ (٣.٧١). بينما حصلت الفقرة "أثبتت البرامج المخصصة للتدريب عن بعد أنها من أكثر البرامج فاعلية عند استعمال أدوات التعليم الإلكتروني." على متوسط حسابي قدره (٣.٤٩). وهذا لا ينسجم مع ما توصل إليه كوكس وآخرون (٢٠٠٤) Cox, et. al, إلى أن الطلاب مستمتعين بطريقة التدريس من خلال غرف المحادثة، حيث يقومون بالتحدث وكتابة إجاباتهم بوساطة تلك الغرف بكل ثقة، حيث يشعرون بأنهم يتفاعلون من خلالها أكثر من تفاعلهم بها أثناء مشاركتهم بالمناقشات في التعليم التقليدي.

عندما ننظر في الفقرات السابقة نجد أن استجابات أفراد مجتمع الدراسة منخفضة مقارنة باستجاباتهم للفقرات الخمس الأولى، وخاصة فيما يتعلق بما إذا كان التدريب عن بعد يحتوي على أفضل وسائل الاتصال المتوفرة في الوقت الحاضر، وهل استعمال البريد الإلكتروني وغرف المحادثة وغيرهما من الأدوات في عملية التدريب تعد فاعلة، وهذا مؤشر يدل أن هناك عدداً ليس بالقليل من أفراد مجتمع الدراسة ليس لديهم فكرة واضحة عن ماهية برامج التدريب عن بعد وما الأدوات المستخدمة فيه، ولعل السبب يعود في ذلك إلى أن المستجيبين لم يسبق لهم الالتحاق ببرامج تدريبية عن طريق الإنترنت، ولم يخوضوا تجربة استخدام أدوات التدريب والتعليم الإلكتروني في برامج تدريبية أو تعليمية.

جدول رقم (٧) التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية وترتيبها لمدى إلمام مجتمع الدراسة على دمج التقنية في التدريب عن بعد

رقم العبارة	العبارة		لا أوافق على الإطلاق	لا أوافق	غير متأكد	أوافق	أوافق بشدة	المتوسط الحسابي
١	من الضروري عمل برامج تدريبية عن طريق الإنترنت لتمكين المعلمين من الالتحاق بها.	ت	١	-	-	٢١	٢٨	٤.٥٠
		٪	٢	-	-	٤٢	٥٦	
٢	من الضروري تعميم استخدام أدوات التعليم الإلكتروني وخاصة البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في الأوساط التعليمية في المملكة للاستفادة منها.	ت	-	-	-	٣٠	٢١	٤.٤١
		٪	-	-	-	٥٨.٨	٤١.٢	
٣	تحديث المهارات والتبادل السريع للأفكار ميزة عظيمة للتدريب الإلكتروني عن بعد.	ت	١	١	٥	٢٠	٢٤	٤.٢٧
		٪	٢	٢	٩.٨	٣٩.٢	٤٧.١	

٤	يعد مجال التدريب عن بعد باستخدام التقنية الحديثة من مجالات التدريب الجيدة.	ت	١	٢	١	٣٠	١٧	٤.١٨
		٪	٢	٣.٩	٢	٥٨.٨	٣٣.٣	
٥	تسهم برامج التدريب الإلكتروني عن بعد في فهم المعلمين للتطورات التي تحدث في مجال تخصصاتهم بشكل أفضل.	ت	-	٣	٥	٣٠	١٣	٤.٠٤
		٪	-	٥.٩	٩.٨	٥٨.٨	٢٥.٥	
٦	يحتوي التدريب عن بعد في الوقت الحاضر على بعض أفضل وسائل الاتصال والتقنية المتطورة.	ت	١	٣	١٣	٢٧	٧	٣.٧١
		٪	٢	٥.٩	٢٥.٥	٥٢.٩	١٣.٧	
٧	أثبتت البرامج المخصصة للتدريب عن بعد أنها من أكثر البرامج فاعلية عند استعمال أدوات التعليم الإلكتروني.	ت	-	٢	٢٤	٢٣	٢	٣.٤٩
		٪	-	٣.٩	٤٧.١	٤٥.١	٣.٩	

السؤال الثاني: ما الأهمية في استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين؟

اشتمل المحور الخاص بأهمية استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد على (٧) فقرات، انظر الجدول رقم (٨). وقد جاءت الفقرة "يوفر البريد الإلكتروني وغرف المحادثة للمتدرب مرونة في الوقت والمكان في عملية التدريب" في المرتبة الأولى حيث بلغ متوسطها الحسابي (٤.٥٥). وتعكس هذه النتيجة مدى إدراك مجتمع الدراسة لما لأدوات التدريب الإلكتروني من أهمية وسهولة في الاستخدام تجعلها في متناول اليد لجميع المستخدمين لها في أي وقت وفي أي مكان. وهذا ما تؤكده الدراسة التي قام بها كومبس ورود (٢٠٠١) Coombs & Rodd، حيث توصلت إلى أن الطلاب يرون أن أفضل ميزة لهذا النوع من التعليم هو أنه يعطي الطالب الفرصة في التعليم والتدرب في المكان الذي يختاره والوقت الذي يناسبه.

أما الفقرة التي حصلت على متوسط حسابي بلغ (٤.٢٧) هي " لغرف المحادثة أهمية كبيرة في نقل الندوات والمحاضرات صوتياً من مكان إلى أماكن أخرى عدة" وهذه الإجابة تعد طبيعية لما لغرف المحادثة من انتشار واسع في الاستخدام على مستوى العالم بشكل عام، وعلى المستوى المحلي بشكل خاصة. كما أن سهولة الاستخدام جعلت منها أداة فاعلة في نقل ما يمكن نقله من محاضرات وندوات، وغيرها. كما أن قدرة المستخدمين على المشاركة والنقاش في تلك المحاضرات دور مهم في إدراك أهمية هذه الأداة. وهذا ما يشعر به أفراد مجتمع هذه الدراسة والذي يتضح من خلال معايشة الباحث لبعض أفراد مجتمع الدراسة لفصل دراسي كامل حيث أفاد العديد منهم باستخدام غرف المحادثة وحضر بعض المحاضرات التي تنقل من المقر الرئيس للوزارة إلى إدارات التعليم في المناطق المختلفة لبعض المسؤولين العاملين في مجال التعليم وعرفوا ايجابياتها الكبيرة.

وتأتي في المرتبة الثالثة الفقرة "يعزز البريد الإلكتروني وغرف المحادثة الاتصال في مجالات التعليم عن بعد بشكل كبير" بمتوسط حسابي قدره (٤.٢٤). وهذا ما أكدته إحدى نتائج دراسة جريجسبي (٢٠٠١) Grigsby بأن الطلاب يتواصلون بشكل أكبر فيما بينهم وأن الكثير منهم يستمتعون بفكرة العمل التعاوني الجماعي مع الطلاب في مدارس أخرى في مدن أخرى من خلال غرف المحادثة. ويؤيد ذلك كريتز وآخرون (٢٠٠٠) Kreutz, et. al, حيث توصلت دراستهم إلى أن غرف المحادثة مكنت المتدربين من الاتصال ببعضهم مباشرة سواء عن طريق الكتابة أو عن طريق المحادثة الصوتية، كما أنهم عملوا مع بعضهم البعض كفريق عمل في مجموعات صغيرة لمناقشة عناصر الدرس وحل الواجبات المعطاة لهم.

وجاء في المرتبة الرابعة " يمكن أن يكون البريد الإلكتروني وغرف المحادثة أدوات تدريبية مفيدة لجميع التخصصات"، بمتوسط حسابي قدره (٤,١٤). ويليها في المرتبة الخامسة الفقرة "يعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة من أكثر وسائل الاتصال عن بعد استخداماً". حيث يبلغ متوسطها الحسابي (٣,٩٨). وهذه حقيقة واقعة لكون البريد الإلكتروني وغرف المحادثة من الأدوات الرئيسة التي برزت مع ظهور وتطور الإنترنت. وقد كان انتشار استخدامها على المستوى العالمي من الأسباب التي شجعت الكثير من القائمين على التعليم والتدريب عن بعد في الدول المتقدمة من تبني ما أطلق عليه بالتعليم والتدريب الإلكتروني. وهذا ما يؤكده تيدمان (٢٠٠٢) Tiedemann بخصوص البريد الإلكتروني حيث يرى بأنه من أكثر أدوات التدريب عن بعد استخداماً وأكثرها دعماً للتفاعل بين المدرب والمتدرب، كما يرى بأنه من الأدوات التي تعد رئيسة وضرورية في التدريب عن بعد. وتضيف شيري (٢٠٠١) Sherry أن استخدام البريد الإلكتروني سوف يستمر في التزايد بسبب السرعة والسرية التي يتميز بها في تبادل الرسائل الإلكترونية في التدريب عن بعد؛ مما جعله مقبولا بشكل كبير في الكثير من الجامعات ومراكز التدريب العليا.

أما الفقرة "أثبتت تجارب بعض الدول بان استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في العملية التعليمية تقلل من تكلفة التعليم والتدريب اقتصادياً" فقد كان متوسطها الحسابي (٣,٩٤). وهذا ما يؤكده العديد من الباحثين مثل سالم (٢٠٠٤) حيث يرى أن تكلفة إرسال رسائل بالبريد الإلكتروني مجانية إذا كان لدى المستخدم اتصالا بالإنترنت. كما يرى أنه من خلال غرف المحادثة يمكن نقل البرنامج التدريبي

من إحدى الجامعات والمعاهد العليا إلى المتدربين وهم في منازلهم أو مقار أعمالهم، مما يوفر لهم ولجهاتهم التي يعملون بها الوقت والجهد والتكلفة المادية.

وأخيراً جاءت الفقرة "يؤدي البريد الإلكتروني وغرف المحادثة تدريباً مباشراً وغير مباشر مما يؤدي إلى تحقيق الأهداف التدريبية" بمتوسط حسابي يبلغ (٣.٨٢). يرى الكثير من المهتمين في هذا المجال أن الشبكة العنكبوتية استطاعت بشكل أو بآخر أن توفر كلا النوعين من التدريب المباشر وغير المباشر، حيث إنه من السهولة بمكان يمكن تخزين المعلومات والرجوع إليها في الوقت الذي يناسب المتدرب. ويشير كل من مكنرني وروبرتس (٢٠٠٤) McInnerney & Roberts إلى أن كلا الأسلوبين المباشر وغير المباشر مطلوبان بشكل كبير لإنجاح عملية التدريب الإلكتروني. ويوضحان بأن استخدام أسلوب التدريب عن بعد غير المباشر يؤدي إلى أن يكون المتلقي دائماً سلبياً غير متفاعل. وللتغلب على هذه المشكلة فلابد من استخدام أسلوب التدريب عن بعد المباشر.

جدول رقم (٨) التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية وترتيبها لمدى موافقة أفراد العينة على أهمية استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد

رقم العبارة	العبارة		لا أوافق على الإطلاق	لا أوافق	غير متأكد	أوافق	أوافق بشدة	المتوسط الحسابي
١	يوفر البريد الإلكتروني وغرف المحادثة للمتدرب مرونة في الوقت والمكان في عملية التدريب.	ت	١	-	٢	١٥	٣٣	٤.٥٥
		٪	٢	-	٣.٩	٢٩.٤	٦٤.٧	
٢	لغرف المحادثة أهمية كبيرة في نقل الندوات والمحاضرات صوتياً من مكان إلى أماكن أخرى عدة.	ت	-	٤	٤	١٧	٢٦	٤.٢٧
		٪	-	٧.٨	٧.٨	٣٣.٣	٥١	
٣	يعزز البريد الإلكتروني وغرف المحادثة الاتصال في مجالات التعليم عن بعد بشكل كبير.	ت	-	١	٧	٢٢	٢١	٤.٢٤
		٪	-	٢	١٣.٧	٤٣.١	٤١.٢	
٤	يمكن أن يكون البريد الإلكتروني وغرف المحادثة أدوات تدريبية مفيدة لجميع التخصصات.	ت	-	٣	٤	٢٧	١٧	٤.١٤
		٪	-	٥.٩	٧.٨	٥٢.٩	٣٣.٣	
٥	يعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة من أكثر وسائل الاتصال عن بعد استخداماً.	ت	١	٥	١٠	١٣	٢٢	٣.٩٨
		٪	٢	٩.٨	١٩.٦	٢٥.٥	٤٣.١	
٦	أثبتت تجارب بعض الدول بأن استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في العملية التعليمية تقلل من تكلفة التعليم والتدريب اقتصادياً.	ت	-	١	١٨	١٥	١٧	٣.٩٤
		٪	-	٢	٣٥.٣	٢٩.٤	٣٣.٣	

٧	يؤدي البريد الإلكتروني وغرف المحادثة تدريباً مباشراً وغير مباشر مما يؤدي إلى تحقيق الأهداف التدريبية.	ت	-	٢	١٢	٢٨	٧	٣,٨٢
			-	٤,١	٢٤,٥	٥٧,١	١٤,٣	

السؤال الثالث: ما مزايا استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين؟

يوضح الجدول رقم (٩) التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية وترتيبها لمدى موافقة أفراد العينة على مزايا استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد، وتحتوي على (١٠) فقرات. وقد جاءت الفقرة " تدريب المعلمين بوساطة البريد الإلكتروني وغرف المحادثة يقلل من الجهد ويوفر الوقت" في المرتبة الأولى حيث بلغ متوسطها الحسابي (٤,٢٩). وتعكس هذه النتيجة مدى إدراك مجتمع الدراسة بالفارق بين التدريب التقليدي والتدريب الإلكتروني، وهذا يعود إلى الصعوبات التي يواجهونها عند التحاقهم ببرامج التدريب التقليدي مثل السفر إلى مدينة أخرى، وكذلك تعطل جهة العمل التي يعملون بها عندما يتركون أعمالهم للالتحاق بمثل تلك البرامج. وعليه فهم يعتقدون بأن استخدام أدوات التدريب الإلكتروني سوف يوفر لهم الجهد والوقت. أما الفقرة التي حصلت على متوسط حسابي بلغ (٤,٢٧) هي " يساعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة المتدرب على المشاركة بشكل أكبر في التدريب الإلكتروني" وهذا النتيجة تؤيدها إحدى النتائج التي توصلت إليه دراسة كوكس وآخرين (٢٠٠٤) Cox, et. al, والتي توصلت إلى أن الطلاب الذين يشاركون في النقاش مستمتعين بطريقة التدريس من خلال غرف المحادثة، حيث يقومون بالتحدث وكتابة إجاباتهم بوساطة تلك الغرف بكل ثقة، وهذا أدى إلى زيادة

مشاركتهم، كما أنهم في الوقت نفسه يشعرون بأنهم يتفاعلون من خلالها أكثر من تفاعلهم بها أثناء مشاركتهم بالمناقشات في التعليم التقليدي.

وجاء في المرتبة الثالثة "يساعد التّدريب من خلال الإنترنت المتدرّبين في تحديث معارفهم وتطوير قدراتهم العلمية والعملية"، بمتوسط حسابي قدره (٤.١٢). ويؤكد ذلك دراسة كومبس ورود (٢٠٠١) Coombs & Rodd والتي توصلت إلى أن مشاركة أعضاء هيئة التدريس والطلاب في التعليم الإلكتروني أدى إلى اكتسابهم خبرات إيجابية ومعارف جديدة.

ويليها في المرتبة الرابعة الفقرة "يمنح التدريب الإلكتروني فرص تدريبية أكثر للمعلمين مقارنة بالتدريب التقليدي". حيث يبلغ متوسطها الحسابي (٤.٠٨). أما الفقرة "يساعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة المتدرب على مناقشة القضايا المطروحة بتعمق أكثر" بمتوسط حسابي بلغ (٤.٠٤). وتأتي بالمرتبة السادسة الفقرة "استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة تساعد المتدرب على التزود بخبرات تعليمية أفضل"، بمتوسط حسابي قدره (٣.٩٢). يليها الفقرة "يساعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة على توضيح وشرح المعلومات الغامضة من خلال توجيه الاستفسار للمدرب مباشرة أو إلى المتدربين أنفسهم" فبلغ متوسطها الحسابي (٣.٨٨). يلحظ من خلال استجابات مجتمع الدراسة على الفقرات السابقة إدراكهم بأن الالتحاق ببرامج التدريب الإلكتروني أسهل من الالتحاق ببرامج التدريب التقليدي، لكون برامج التدريب الإلكتروني متوافرة ويمتناول الجميع، وكذلك يمكن للمتدرب الالتحاق بها في الوقت الذي يراه مناسباً والمكان الذي يحدده، إذا ما قورنت بكثرة العقبات التي تعترض الالتحاق ببرامج التدريب التقليدي، وخاصة أن هناك قوائم انتظار للمعلمين والعاملين في قطاع التعليم

للالتحاق ببرامج التدريب التقليدي، والتي عادة ما تكون قليلة. أما من ناحية قدرة المتدربين في مناقشة الموضوعات بشكل أكثر عمقاً في التدريب الإلكتروني وكذلك اكتسابهم خبرات تعليمية أفضل، فهذا يعود إلى زيادة ثقة المتدربين في استخدام أدوات التدريب الإلكتروني واستمتاعهم بالعمل الجماعي عندما يعملون مع بعضهم البعض من خلال تلك البرامج، وخاصة إذا علمنا أن معظم من يلتحق ببرامج التدريب الإلكتروني التحقوا بدوافع ذاتية، بمعنى أنهم يعرفون ما يريدون، ولهذا السبب تجد أنهم متحمسون لمناقشة القضايا التي تتعلق بمجال عملهم واكتساب معارف ومهارات جديدة. وتتفق هذه النتائج مع ما توصل إليه فري وآخرون (٢٠٠٠) Ferry et al إلى أن المتدربين استخدموا البريد الإلكتروني في التواصل فيما بينهم وتبادل الخبرات والمعارف، وكذلك طرح الأسئلة على الآخرين سواء من المتدربين أو أعضاء هيئة التدريس والاستفادة من إجاباتهم وخبراتهم.

أما الفقرات الثلاث الأخيرة فقد كانت متوسطاتها الحسابية تتراوح بين (٣.٥٥ – ٣.٨٢) فالفقرة التي احتلت المرتبة الثامنة بمتوسط حسابي بلغ (٣.٨٢)، هي "في الغالب يكون هناك تفاعل إيجابي بين المتدربين عند استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة." وهذه النتيجة تتوافق مع ما توصلت إليه دراسة وقنر وآخرين (١٩٩٩) Wegner, et. al, حيث أظهرت النتائج إلى أن استخدام نظام التعليم عبر الإنترنت أظهر تأثيراً إيجابياً على الاتصال بين الطلاب من خلال البريد الإلكتروني. أما الفقرة التي احتلت المرتبة التاسعة فهي "يعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة من أهم الأدوات لتعزيز التعليم التعاوني بين المتدربين أنفسهم" حيث حصلت على متوسط حسابي قدره (٣.٧٢). وهذه النتيجة لا تنسجم مع ما

توصلت إليه دراسة راجونادن وبوردلى (٢٠٠٠) Ragoonaden & Bordeleau بأن حل الواجبات من خلال التعليم التعاوني ليس دائماً ناجحاً، حيث اشتكى العديد من الطلاب من قلة التفاعل والتعاون بين الطلاب المنتشرين في المناطق المختلفة، حيث وجد أن بعض الطلاب الذين يعتمدون على أنفسهم في حل الواجبات وكتابة الأبحاث والتقارير يفضلون العمل لوحدهم لاعتقادهم أن العمل الجماعي سوف يحد أو يبطئ من إنجاز تلك الواجبات.

وأخيراً الفقرة التي احتلت المرتبة الأخيرة "استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة يحقق تفاعلاً بدرجة أكبر بين المتدرّب والمدرب" بلغ متوسطها الحسابي (٣,٥٥). وهذه النتيجة جاءت متفقة مع ما توصلت إليه دراسة راجونادن وبوردلى (٢٠٠٠) Bordeleau & Ragoonaden حيث أوضحت أن معظم الطلاب الذين يدرسون عن بعد استمتعوا بالتواصل مع بعضهم البعض، وكذلك بالتواصل مع عضو هيئة التدريس ومساعدي عضو هيئة التدريس من خلال البريد الإلكتروني وغرف المحادثة.

جدول رقم (٩) التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية وترتيبها لمدى موافقة أفراد العينة على مزايا استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد

رقم العبارة	العبارة		لا أوافق على الإطلاق	لا أوافق	غير متأكد	أوافق	أوافق بشدة	المتوسط الحسابي
١	تدريب المعلمين بوساطة البريد الإلكتروني وغرف المحادثة يقلل من الجهد ويوفر الوقت.	ت	١	-	٣	٢٦	٢١	٤.٢٩
		٪	٢	-	٥.٩	٥١	٤١.٢	
٢	يساعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة المتدرب على المشاركة بشكل أكبر في التدريب الإلكتروني.	ت	-	٢	٥	٢١	٢٣	٤.٢٧
		٪	-	٣.٩	٩.٨	٤١.٢	٤٥.١	
٣	يساعد التّدريب من خلال الإنترنت المتدربين في تحديث معارفهم وتطوير قدراتهم العلمية والعملية.	ت	١	-	٧	٢٧	١٦	٤.١٢
		٪	٢	-	١٣.٧	٥٢.٩	٣١.٤	
٤	يمنح التدريب الإلكتروني فرصاً تدريبية أكثر للمعلمين مقارنة بالتدريب التقليدي.	ت	١	٣	٦	٢٢	١٩	٤.٠٨
		٪	٢	٥.٩	١١.٨	٤٣.١	٣٧.٣	
٥	يساعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة المتدرب على مناقشة القضايا المطروحة بتعمق أكثر.	ت	-	٥	٨	١٨	٢٠	٤.٠٤
		٪	-	٩.٨	١٥.٧	٣٥.٣	٣٩.٢	
٦	استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة تساعد المتدرب على التزود بخبرات تعليمية أفضل.	ت	١	٣	٩	٢٤	١٤	٣.٩٢
		٪	٢	٥.٩	١٧.٦	٤٧.١	٢٧٠٥	

٧	يساعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة على توضيح وشرح المعلومات الغامضة من خلال توجيه الاستفسار للمدرب مباشرة أو إلى المتدربين أنفسهم.	ت	١	٤	٨	٢٥	١٣	٣.٨٨
		٪	٢	٧.٨	١٥.٧	٤٩	٢٥.٥	
٨	في الغالب يكون هناك تفاعل إيجابي بين المتدربين عند استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة.	ت	-	٤	٩	٣٠	٨	٣.٨٢
		٪	-	٧.٨	١٧.٦	٥٨.٨	١٥.٧	
٩	يعد البريد الإلكتروني وغرف المحادثة من أهم الأدوات لتعزيز التعليم التعاوني بين المتدربين أنفسهم.	ت	٢	٣	١٠	٢٧	٨	٣.٧٢
		٪	٤	٦	٢٠	٥٤	١٦	
١٠	استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة يحقق تفاعلاً بدرجة أكبر بين المتدرب والمدرب .	ت	٢	٧	١٥	١٥	١٢	٣.٥٥
			٣.٩	١٣.٧	٢٩.٤	٢٩.٤	٢٣.٥	

السؤال الرابع: ما المقترحات المناسبة التي يراها مديرو المدارس والمشرفون التربويون حول دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد؟

قدم بعض أفراد مجتمع الدراسة وعددهم (٢٧) متدرباً، ونسبتهم (٥٣٪) العديد من الاقتراحات التي يرون أهميتها حول دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد، وقد تضمنت هذه الاقتراحات العبارة الآتية:

- إقامة دورات تدريبية للمعلمين على استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة قبل البدء في تطبيق التدريب الإلكتروني.
- ربط المدارس والمؤسسات التعليمية بالإنترنت، وترك مجال أوسع للمعلمين والإداريين في استخدامها.

- تثقيف أفراد المجتمع حول أهمية دور التعليم الإلكتروني والتدريب، وتعريفهم بأدواتها المختلفة، مثل: البريد الإلكتروني وغرف المحادثة وغيرهما.
- تقديم عروض خاصة بأجهزة الحاسب الآلي والاشتراك بالإنترنت للمعلمين لترغيبهم في هذا النوع من التدريب.
- حث وزارة التربية والتعليم بالتفاعل مع هذا التطور الهائل في وسائل التدريب الجديدة، وإنشاء مواقع ومنتديات وغرف محادثة متخصصة في التدريب تابعة للوزارة.
- دعم مراكز التدريب التربوي التابعة لوزارة التربية والتعليم بشبكة اتصالات متقدمة وأدوات مساعدة لتكون نواة لمراكز التدريب عن طريق الإنترنت.
- الاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في مجال التدريب عن بعد.
- إنشاء شركات خاصة للتدريب عن بعد ذات إمكانات عالية تقوم على تطوير وتصميم البرمجيات التي تستخدم وسائل الاتصال الحديثة.

الفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين حول استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير العمر.

أوضحت نتائج الدراسة أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين يعود لمتغير العمر نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد. ولكي تكون الصورة أكثر وضوحاً فقد تم إجراء اختبار مان وتني Mann-Whitney (U) لمقارنة وجهات

نظر أفراد مجتمع الدراسة حسب متغير العمر (أقل من ٣٥ سنة / ٣٥ سنة فأكثر) نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد، وقد كان مستوى الدلالة لجميع المحاور أكبر من ٠.٠٥ (انظر الجدول رقم ١٠)، وهذا يعني أن مستوى الدلالة لجميع المحاور غير دالة إحصائياً. ومن ناحية أخرى عندما ننظر لمستوى الدلالة للدرجة الكلية لهذه المحاور نجد أنها أيضاً غير دالة إحصائياً. وهذه النتيجة في مجملها تبين أن متغير العمر ليس له أثر على وجهات نظر أفراد مجتمع الدراسة. وهذا يدل على عدم رفض الفرضية الأولى التي تنص على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين، نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير العمر.

جدول رقم (١٠) اختبار مان وتني لدلالة الفروق بين مجموعتين مستقلتين في محاور الدراسة باختلاف العمر

المحاور	المجموعات	العدد	متوسط الرتب	قيمة يو(U)	مستوى الدلالة
الإلمام بدمج التقنية الحديثة بالتدريب عن بعد	أقل من ٣٥ سنة	١٤	٢٩.٦٤	٢٠٨	٠.٢٧٨ غير دالة
	٣٥ سنة فأكثر	٣٧	٢٤.٦٢		
أهمية استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد	أقل من ٣٥ سنة	١٤	٢٣.٧١	٢٢٧	٠.٤٩٨ غير دالة
	٣٥ سنة فأكثر	٣٧	٢٦.٨٦		
مزايا استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد	أقل من ٣٥ سنة	١٤	٢٢.١٤	٢٠٥	٠.٢٥٤ غير دالة
	٣٥ سنة فأكثر	٣٧	٢٧.٤٦		
الدرجة الكلية	أقل من ٣٥ سنة	١٤	٢٤.٢١	٢٣٤	٠.٥٩٧ غير دالة
	٣٥ سنة فأكثر	٣٧	٢٦.٦٨		

الفرضية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير طبيعة العمل الحالي.

ولتفحص صحة الفرضية الثانية، قام الباحث باستخدام اختبار مان وتني Mann-Whitney(U) ويلخص الجدول رقم (١١) استجابات أفراد مجتمع الدراسة في التحليل طبقاً لمتغير طبيعة العمل (مدير مدرسة/ مشرف تربوي)، حول دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد.

نستنتج من الجدول رقم (١١) أن التحليل الإحصائي لم يظهر فروقاً ذات دلالة إحصائية في وجهات نظر المستجيبين من حيث متغير طبيعة العمل الحالي في جميع المحاور الثلاثة، وكذلك في الدرجة الكلية للمحاور. وهذه النتيجة توضح أن متغير طبيعة العمل الحالي لمجتمع الدراسة ليس له أثر على وجهات نظرهم حيال دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد. وهذا يدل على عدم رفض الفرضية الثانية التي تنص على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير طبيعة العمل الحالي.

جدول رقم (١١) اختبار مان وتني لدلالة الفروق بين مجموعتين مستقلتين في محاور الدراسة باختلاف طبيعة العمل

المحاور	المجموعات	العدد	متوسط الرتب	قيمة يو(U)	مستوى الدلالة
الإلمام بدمج التقنية الحديثة بالتدريب عن بعد	مدير مدرسة	٢٤	٢٤.١٠	٢٧٨.٥	٠.٥١٢ غير دالة
	مشرف تربوي	٢٦	٢٦.٧٩		
أهمية استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد	مدير مدرسة	٢٤	٢٣.٩٦	٢٧٥	٠.٤٧١ غير دالة
	مشرف تربوي	٢٦	٢٦.٩٢		
مزايا استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد	مدير مدرسة	٢٤	٢٧.٢٩	٢٦٩	٠.٤٠٣ غير دالة
	مشرف تربوي	٢٦	٢٣.٨٥		
الدرجة الكلية	مدير مدرسة	٢٤	٢٥.٧١	٣٠٧	٠.٩٢٣ غير دالة
	مشرف تربوي	٢٦	٢٥.٣١		

الفرضية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير سنوات الخبرة في مجال العمل.

للإجابة على هذه الفرضية تم أجراء اختبار مان وتني (U) Mann-Whitneyوذلك لمعرفة دلالة الفروق من الناحية الإحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير سنوات الخبرة في مجال العمل. ويلخص الجدول رقم (١٢) استجابات أفراد مجتمع الدراسة في التحليل طبقاً لمتغير سنوات الخبرة في مجال العمل (أقل من ١٠ سنوات / ١٠ سنوات فأكثر)، حول دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد.

نستنتج من الجدول رقم (١٢) أن التحليل الإحصائي لم يظهر فروقاً ذات دلالة إحصائية في وجهات نظر المستجيبين من حيث متغير سنوات الخبرة في مجال العمل في جميع المحاور الثلاثة وكذلك في الدرجة الكلية للمحاور. وهذه النتيجة توضح أن متغير سنوات الخبرة في مجال العمل لمجتمع الدراسة ليس له أثر على وجهات نظرهم حيال دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد. وهذا يدل على عدم رفض الفرضية الثالثة التي تنص على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين، نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير سنوات الخبرة في مجال العمل.

جدول رقم (١٢) اختبار مان وتني لدلالة الفروق بين مجموعتين مستقلتين في محاور الدراسة باختلاف سنوات الخبرة في المجال التعليمي

المحاور	المجموعات	العدد	متوسط الرتب	قيمة يو(U)	مستوى الدلالة
الإلمام بدمج التقنية الحديثة بالتدريب عن بعد	أقل من ١٠ سنوات	١٢	٢٥	٢٢٢	٠.٧٨٨ غير دالة
	١٠ سنوات فأكثر	٣٩	٢٦.٣١		
أهمية استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد	أقل من ١٠ سنوات	١٢	٢٦.٩٢	٢٢٣	٠.٨٠٦ غير دالة
	١٠ سنوات فأكثر	٣٩	٢٥.٧٢		
مزايا استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد	أقل من ١٠ سنوات	١٢	٢٣.٢١	٢٠٠٥	٠.٤٥٦ غير دالة
	١٠ سنوات فأكثر	٣٩	٢٦.٨٦		
الدرجة الكلية	أقل من ١٠ سنوات	١٢	٢٤.٢٥	٢١٣	٠.٦٤١ غير دالة
	١٠ سنوات فأكثر	٣٩	٢٦.٥٤		

الفرضية الرابعة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت.

للإجابة على الفرضية الرابعة تم إجراء اختبار مان وتني (U) Mann-Whitney ، وذلك لمعرفة دلالة الفروق من الناحية الإحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت. ويلخص الجدول رقم (١٣) استجابات أفراد مجتمع الدراسة في التحليل طبقاً لمتغير الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت (لدي خبرة / ليس لدي خبرة)، حول دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد.

نستنتج من الجدول رقم (١٣) أن التحليل الإحصائي لم يظهر فروقاً ذات دلالة إحصائية في وجهات نظر المستجيبين من حيث متغير الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت في جميع المحاور الثلاثة وكذلك في الدرجة الكلية للمحاور. وهذه النتيجة توضح أن متغير الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت لمجتمع الدراسة ليس له أثر على وجهات نظرهم حيال دور البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد. وهذا يدل على عدم رفض الفرضية الرابعة التي تنص على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهات نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين نحو استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في تدريب المعلمين عن بعد يعود لمتغير الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت.

جدول رقم (١٣) اختبار مان وتني لدلالة الفروق بين مجموعتين مستقلتين في محاور الدراسة باختلاف الخبرة في استخدام الحاسب الآلي والإنترنت

المحاور	المجموعات	العدد	متوسط الرتب	قيمة يو(U)	مستوى الدلالة
الإلمام بدمج التقنية الحديثة بالتدريب عن بعد	ليس لدي خبرة	٨	١٩.٩٤	١٢٣.٥	٠.٢٠٦
	لدي خبرة	٤٣	٢٧.١٣		غير دالة
أهمية استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد	ليس لدي خبرة	٨	٢٥.٣٨	١٦٧	٠.٨٩٧
	لدي خبرة	٤٣	٢٦.١٢		غير دالة
مزايا استخدام البريد الإلكتروني وغرف المحادثة في التدريب عن بعد	ليس لدي خبرة	٨	٢٢.٣١	١٤٢.٥	٠.٤٤٤
	لدي خبرة	٤٣	٢٦.٦٩		غير دالة
الدرجة الكلية	ليس لدي خبرة	٨	٢٢.٦٩	١٤٥.٥	٠.٤٩٢
	لدي خبرة	٤٣	٢٦.٦٢		غير دالة

* * *

التوصيات :

بناءً على نتائج الدراسة يوصي الباحث بما يأتي :

- ضرورة إقامة دورات تدريبية للمعلمين على استخدام الحاسب الآلي والإنترنت من قبل خبراء متخصصين، بهدف توعيتهم بأهمية هذه التقنيات، وإكسابهم المهارات والخبرات التي يحتاجون إليها، وكذلك إقامة دورات تدريبية خاصة على استخدام أدوات التدريب الإلكتروني، مثل: البريد الإلكتروني وغرف المحادثة وغيرهما قبل البدء في تطبيق التدريب الإلكتروني.
- حث وزارة التربية والتعليم بالتفاعل مع هذا التطور الهائل في وسائل التدريب الجديدة، ودعم مراكز التدريب التربوي التابعة للوزارة بخبراء متخصصين في هذا المجال، وكذلك دعم تلك المراكز بشبكة اتصالات متقدمة تكون نواة لمراكز التدريب عن طريق الإنترنت.
- أن يتم تأمين قاعات دراسية مزودة بأجهزة الحاسب الآلي والإنترنت في المدارس التابعة لوزارة التربية والتعليم لكي يتمكن الجميع من الاستفادة منها في عملية التدريب عن بعد.
- ضرورة الاعتراف بالشهادات التي تصدرها الجهات التي تتولى التدريب عن بعد من قبل وزارة التربية والتعليم، ووزارة التعليم العالي لكي يتقبل أفراد المجتمع فكرة ومفهوم التعليم الإلكتروني والتدريب، كما يشجع المنتسبون للمجال التربوي وغيرهم من الالتحاق بمثل تلك البرامج.
- تشجيع المعلمين على الحضور والمشاركة في الندوات وورش العمل ذات العلاقة بالتدريب الإلكتروني التي تقيمها وزارة التربية والتعليم من خلال تفريغهم عدة أيام في الفصل الدراسي الواحد.

فهرس المصادر والمراجع :

أولاً : المراجع العربية :

١- **الحميدي، عبد الرحمن**، (١٩٩٧). التعليم المستمر بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

٢- **الغراب، إيمان**، (٢٠٠٣). التعليم الإلكتروني مدخل إلى التدريب غير التقليدي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة.

٣- **الموسى، عبدالله**، (١٤٢٥). استخدام الحاسب الآلي في التعليم، الطبعة الثالثة، مكتبة تربية الغد، الرياض.

٤- **الموسى، عبدالله، المبارك، أحمد**، (١٤٢٥). التعليم الإلكتروني الأسس والتطبيقات، الطبعة الأولى، مطابع الحميضي، الرياض.

٥- **توفيق، عبدالرحمن**، (٢٠٠١). التدريب عن بعد تنمية الموارد البشرية باستخدام الكمبيوتر والإنترنت، القاهرة، مركز الخبرات المهنية للإدارة.

٦- **جايس، ز، هولز، أ**، (٢٠٠٤). منهاج أكاديمية سيسكو للشبكات: أساسيات تصميم مواقع الوب الدليل المتمم، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم، بيروت ، لبنان، (مترجم).

٧- **سالم، أحمد**،(٢٠٠٤). تكنولوجيا التعليم والتعليم الإلكتروني، الطبعة الأولى، مطابع الحميضي، الرياض.

ثانياً: المراجع الأجنبية :

١- Barton, R, Selinger, M, (٢٠٠٠). The TRICOM Project: an evaluation of the Communications Technology in Initial Teacher Education: *Educational Technology & Society,* Vol. ٣, No ٣.

٢- Coombs, S, Rodd, J, (٢٠٠١). Using the Internet to Deliver Higher Education: A Cautionary Tale About Achieving Good Practice: *Computer in the Schools*, Vol. ١٧, No. ٣/٤, pp. ٦٧-٩٠.

٣- Cox, G, Carr, T, Hall, M, (٢٠٠٤). Evaluating the Use of Synchronous Communication in Two Blended Courses: *Journal of Computer Assisted Learning*, Vol. ٢٠, Issue ٣, P ١٨٣.

٤- Duggleby, J, (٢٠٠٠). *How to be an Online Tutor*: Hampshire, England, Gower Publishing Limited.

٥- Ferry, B, Kiggins, J, Hoban, G, Lockyer, L, (٢٠٠٠). Using computer-mediated communication to form a knowledge-building community with beginning teachers: *Educational Technology & Society Journal*, Vol. ٣, No ٣.

٦- Frank, J, Toland, J, (٢٠٠٢). Email as a Learning Technology in the South Pacific: An Evaluation: *Educational Technology & Society,* Vol. ٣, No ٥.

٧- Freeman, M, Grimes, L, Holliday, J, (٢٠٠٠). Increasing Access to Learning With Hybrid Audio-Data Collaboration: *Educational Technology & Society,* Vol. ٣, No ٣.

٨- Grigsby, A, (٢٠٠١). Let's Chat: Chat Rooms in the Elementary School: *Educational Technology & Society,* Vol. ٣, No ٤.

٩- Kreutz, R, Kiesow, S, Spitzer, K, (٢٠٠٠). NetChat: Communication and Collaboration Via WWW: *Educational Technology & Society Journal*, Vol. ٣, No ٣.

١٠- Martine C, Freeman, V, (١٩٩٩) Combining Technologies to Deliver Distance Education: *Educational Technology & Society,* Vol. ٣, No ٢.

١١- McInnerney, J, Roberts, T, (٢٠٠٤). Online Learning: Social Interaction and the Creation of Sense of Community: *Educational Technology & Society,* Vol. ٧, No ٣.

١٢- Pilkington ,R, Bennett, C, Vaughan, S, (٢٠٠٠). An Evaluation of Computer Mediated Communication to Support Group

Discussion in Continuing Education: *Educational Technology & Society*, Vol. ٣, No ٣.

١٣- Ragoonaden, K, Bordeleau, P, (٢٠٠٠). Collaborative Learning via the Internet: *Educational Technology & Society,* Vol. ٣, No ٣.

١٤- Sherry, L, (٢٠٠١). Internet and World Wide Web Usage in an Institution of Higher Learning: *Computer in the Schools*, Vol.١٧, No ٣/٤.

١٥- Sugges, S, Cissell, W, McIntyre, C, Ward, M, (٢٠٠٢). Adoption of Communication Technologies in a Texas Health Setting: *Educational Technology & Society,* Vol. ٢, No ٥.

١٦- Tiedemann, D, (٢٠٠٢). Distance Learning Development and Delivery Applications: *Educational Technology & Society,* Vol. ١, No ٥.

١٧- Wegner, S, Holloway, K, Wegner, S, (١٩٩٩). The Effects of a Computer-Based Instructional Management System on Student Communications in a Distance Learning Environment: Educational Technology & Society, Vol. ٤, No ٢.

* * *

References

1- Allwood, J., L. G. Andersson, and ö. Dahl. Logic in Linguistics, Cambridge: Cambridge University Press, 1995.
2- Dayal, V. "ANY as Inherently Modal", Linguistics and Philosophy 21: 433-476 1998.
3- Fauconnier, G. "Pragmatic Scales and Logical Structure", Linguistic Inquiry, 1975, 6 (3).
4- Heim, I. "A Note on Negative Polarity and Downward Entailingness", In Jones and P. sells (eds.), proceeding of NELS 14, GLSA, Linguistic Department, University of Massachusetts, Amherst, 1984.
5- Kadmon, N. and F. Landman. "ANY", Linguistics and Philosophy 1993, 16.
6- Krifka, M. "The Semantics and Pragmatics of Polarity Items", Linguistic Analysis 25: 1-49, 1995.
7- Ladefoged, P. A Course in Phonetics, NewYork: Harcourt Brace Jovanovich College Publishers. 1993.
8- Levin, B. and M. Rappaport, Argument Realization, Cambridge: Cambridge University Press. 2006.
9- Ladusaw, W. Polarity Sensitivity as Inherent Scope Relations, Ph.D. dissertation, University of Texas, Austin, 1979. Reproduced by IULC, 1980
10- Linebarger, M. "Negative Polarity and Grammatical Representation", Linguistics and Philosophy 10 (3), 1987.
11- Pustejovsky, J. "The Syntax of Event Structure", Cognition, 41: 47-81, 1991.
12- Tenny, C. Grammaticalizing Aspect and Affectedness", Ph.D. Dissertation, MIT. 1987.
13- Vendler, Z. Linguistics in Philosophy, Ithaca: Cornell University Press. 1967.

* * *

the previous accounts. This analysis can be drawn from the aspectual structure of the verb phrase. The proposed analysis consists of three components: the delimited event of the verb, the semantic effect of any, and the affected NP argument of the verb. Any whether it is used as FC or PS is licensed if the verb has an endpoint. Thus the NP argument is assigned an affectee semantic role because it is influenced by the endpoint result. The widening effect of any is the result of the verb's delimited event which is extended to the whole class of the NP, used with any.

* * *

Hence any is licensed. Therefore, Sami is influenced by event and assigned an affectee role. As for those books that one reads and does not understand as the example (12) above indicates, the event is considered to be a non-delimited event; it is ungrammatical because any is not licensed. Therefore, no result can be produced from such event and no affectee role is assigned.

Next, let us consider PS any:

(22) lam ʔamlik ʔayya baṭaṭisin.
not have-I-jussive any potatoes-genitive
I do not have any potatoes.

The event of ʔamlikculminates in a specific endpoint, by which the person has no potatoes completely. The telicity of the event can be proven by point adverbials like at (specific time point) (Pustejovsky, 1991: p. 50):

(23) lamʔamlik ʔayya baṭaṭisin fii as-Saadisat-i massaʔan.
I do not have any potatoes at six o'clock in the afternoon.

The adverbial indicates that the event reached its final endpoint by six and hence there were no potatoes at all. There is a scale that measures the progress of the event that starts with having some potatoes and then there is a gradual consumption that ultimately uses up all the available quantity of potatoes. As a consequence, the person becomes affected by the absolute lacking of potatoes as the widening effect of any is produced.

In conclusion, the PI any, whether it is FC or PS, is licensed only if it is part of a verb culminating in a specific point. The licensing of any leads to the widening result by which the semantic NP argument of the verb becomes affected.

4. Conclusion

In this paper, I attempted to achieve two goals: first, I examine Arabic FC and PS any based on the analyses Ladusaw's (1980), Kadmon and Landman's (1993), and Linebarger's (1987). I have shown that there are problems with these accounts. Secondly, I proposed an analysis of Arabic any that avoids the problems of

(20)ʔiða qaraʔta sami ʔayya kitaabin hammin, fasayattasiʔu ʔufuquh.

if read Sami any book-genitive, will-be-broadend mind-his-acc

If you read any book, your mind will be broadened.

The verb qaraʔta involves a teliçevent since the event has a definite endpoint. There are tests that are usually used in the literature to prove a delimited verb. One of these tests is the use of durative adverbials like in an hour (Tenny, 1987: p. 21-22):

(21) qaraʔta sami alħarba wa asslim fii ʕaʃriin saʕatin/ *liʕaʃriin saʕatin.

Sami read War and Peace in twenty hours/ for twenty hours.

According to the native speakers I asked, the first durative adverbial in twenty hours is possible while for twenty hours is not. This suggests that the event of the reading finishes in twenty hours. The second adverbial for twenty hours involves an ongoing event or iterative with no definite endpoint. Another evidence for the telicity of the event of reading is the possibility of using a comparative adverb like tamaaman "completely". This adverb indicates that the event reached its final end.

The use of these adverbials suggests to us that the event of the verb progresses in a measurable scale of points until the event reaches its final endpoint. This is consistent with Dayal's observation that any is used with events that are bounded (i.e. delimited) temporally and that it is associated with scalar properties (1998: p. 453, 471). For example, the scale has measurable points that the event passes by:

initial stage ⟶ halfway through the action⟶ endpoint

In example (20), the endpoint of the reading event leads to the widening effect of any. The effect of broadening the mind can be extended to the whole class of books that one can benefit from.

in a scale till the apple is consumed. The scale represents "a specified degree of changes" that the telic or delimited event (Levin & Rappaport, 2006: p. 96). The changes lead to the final result that is reached by the endpoint of the action.

2. "ANY" EFFECT

Kadmon and Landman's proposed that any is licensed once its basic semantic effect, i.e. widening, is established. The widening of any is to extend the interpretation of the noun phrase from a set of particular individuals to a wide generalization (Kadmon and Landman, 1993: p. 359-362). Dayal (1988: p.441 and 459) preserves this widening effect spirit into her licensing principle "contextual Vagueness". I argue that such widening effect can only be possible if the event of the verb reaches an endpoint which is a result that can generalized.

3. ARGUMENT

As the event reaches it endpoint, the widening effect of any is established. As result of the any widening, the NP, the semantic argument of verb, becomes affected by result of the action of the verb and it is assigned the affectee semantic role. For instance, the verb ate in a sentence like Ali ate the food has a definite endpoint. When the eating event reaches its end, Ali becomes influenced by the result of the action. On the other hand, a non-delimited event has no affectee semantic role to assign. For instance, a sentence like they see the picture involves a verb that is atelic; thus, the NP they cannot be affected by the action of the verb.

Now let us see how such analysis applies to FC any in conditionals sentences and to PS any.

3.2 FC and PS any Licensing

Let us first examine FC any in conditionals:

Aspect refers to the temporal properties of the verb's event structure[1]. Verbs vary in their event structure. For example the event may involve a definite endpoint as in he built a hospital where "build" is an event that reaches its end by establishing the hospital. The event can be ongoing in time as in he loves his father where the event of loving has no endpoint. It is important however not to confuse tense with aspect (Tenny, 1987: p. 14-15). Tense refers to time as determined by the context in which the sentence is said, while aspect focuses on the internal time of the event.

Below I propose an aspectual analysis of PI licensing. This analysis is based on the following model:

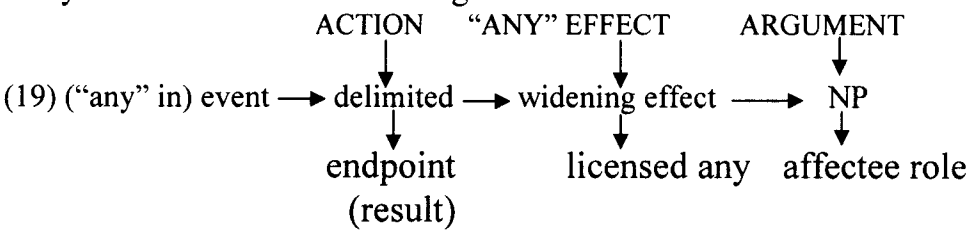

This model consists of three semantic components: the action or the event, the NP argument, and "any" effect. I explain each of these components below and I discuss the examples of PIs in 3.2:

1. ACTION

I argue that the PI "any" is used with verbs that involve delimited events. These verbs are associated with events that have an endpoint. In the next section, tests will be provided to prove the delimitedness of the verbs used with "any". The delimited[2] action or event of the verb may be thought of as a measurable scale of points that the event passes by until it reaches its final endpoint (Levin & Rappaport, 2006: p. 95-96). For example, the verb ate in Ahmad ate an apple involves an event that progresses

(1) The event specifies the time period a verb takes. See Vendler (1967) for more details.

(2) An event that has a final point is also called *telic* and *atelic* for an event with no endpoint.

If you read an important book that you understand, your mind will be broadened.

Kadmon and Landman's analysis is interesting but it has three problems (Krifka, 1995: p.5-6):
First, any picks up the widening effect if only it is stressed. For instance, if one says I don't have any potatoes where any is unstressed, there is no widening effect as the interpretation becomes there are some potatoes but not enough to use for cooking.

Second, the concept of reduced tolerance to exceptions is untenable. For example, Krifika indicates that any prime numbers in a sentence like this sequence doesn't contain any prime numbers does not have the widening effect that Kadmon and Landman argue for.
A third more serious problem is that Kadmon and Landman's analysis of any does not stem from a theoretical principle. At best, it might function as a semantic descriptive generalization. In section 3, I propose an analysis of any that subscribes to the general semantic basis of the verb.

3. Aspectuality and PI Licensing

I argue that PI licensing is directly linked to the verb phrase semantics. More specifically, it is dependent upon the aspectual structure of the verb. This should not come as a surprise because after all "any NP" is a semantic argument of a verb; hence, it is semantically influenced by the verb. Below, I explain the aspectual analysis of PI and show how such analysis accounts for PS and FC any.

3.1Aspectual analysis

interpretation of books that broaden one's mind changes when any is used:

(17) ʔiða qaraʔta ʔayya kitaabin, fasayattasiʕu ʔufuquk.

if read-you any book-genitive, will-be-broadend mind-your-acc

If you read any book, your mind will be broadened.

ʔayya in(17) widens the interpretation of the books that broaden the mind so that it is no longer restricted to books of important content as indicated by the narrow interpretation of (16). We notice that the widening of *ʔayya* affects the pragmatic restriction of the conditional in a way that makes it more general and hence it creates a stronger statement or what Kadmon and Landman call a reduced tolerance to exceptions. Thus books of some substantial content can also broaden one's mind. As a result, ʔayyạ in (17) is licensed since it widens the interpretation of the NP kitaabin so that it creates a strong statement in which a wide interpretation entails a narrow interpretation and both interpretations are controlled by the same pragmatic restriction as illustrated below:

(18) .

Wide interpretation:

ʔiða qaraʔta ʔayya kitaabin hammin aw lais hammin, fasayattasiʕu ʔufuquk .

If you read a book, whether important or not, your mind will be broadened.

Pragmatic restriction:

If you read a book whether it is important or not so that you understand, your mind will be broadened.

Narrow interpretation:

ʔiða qaraʔta ʔayya kitaabin hammin, fasayattasiʕu ʔufuquk.

If you read any important book, your mind will be broadened.

Pragmatic restriction:

from that of Ladusaw's in relating the grammaticality of the NPI to the validity of strengthening inferences. However, Heim's analysis of delimited DE differs from Ladusaw' DE analysis. More specifically, Heim's analysis does not assume all strengthening inferences to be valid, but only those inferences that are based on the context (Heim, 1984: p. 102). In other words, the premise and the conclusion of the conditional are interpreted against the same pragmatic restriction. For example, the pragmatic restriction on (13) restricts the antecedent and the conclusion to books that one understands. Thus if one reads a book and understands it, his mind will be broadened. However, (14) is not compatible with the same pragmatic restriction (Fauconnier, 1975) as (11); thus, (14) does not follow from (13) making (14) unacceptable. Therefore relating DE to the semantics of the conditional explains why certain inferences are valid while others are not.

Now let us see how Kadmon and Landman's analysis work in the conditional sentence. Kadmon and Landman base their analysis of NPI any in the conditional sentence on the semantics of the NPI and the semantics of the conditional. As was shown above, the premise and the conclusion of the conditional sentence should be controlled by the same pragmatic restriction.

Let us consider this example:

(16) ʔiða qaraʔta kitaabin, fasayattasiʔu ʔufuquk.

if read-you book-acc, will-be-broadend mind-your-acc

If you read a book, your mind will be broadened.

From the first insight, books that can broaden one's mind are those of substantial and important content[1]. The semantic

(1) Even though, people will not totally agree on defining the sense of importance as it is a relative and subjective issue, there is, however, a general assumption that well-known books in various fields of knowledge, i.e. *A Briefer History of Time by S. Hawking,* make up the possible list of books that can broaden the mind.

(13) ʔiða qaraʔta ʔayya kitaabin, fasayattasiʔu ʔufuquk.
if read-you any book-gen, will-be-broadend mind-your-acc

If you read any book, your mind will be broadened.

ʔayya kitaabin is licensed byʔiða which is a DE according to Ladusaw. Similarly, Ladusaw's theory predicts that *ʔayya kitaabin* is also licensed by *ʔiða* in a strengthened antecedent. Consider again this example:

(14) *ʔiða qaraʔta ʔayya kitaabin wa lam tafhamhu, fasayattasiʔu ʔufuquk .
if read-you any book-gen and not understand-you, will-be-broadend mind-your-acc
*If you read any book and you didn't understand it, your mind will be broadened.
If ʔayya kitaabin is licensed in (14), then the sentence should be good which is untrue.

Thus, Ladusaw's analysis makes the wrong prediction by turning a bad sentence into an acceptable one.

Heim argues that it is not DE that licenses PI in the antecedent of the conditional (Heim, 1984: 98-102). She instead suggests limited DE to license PI. For instance in (11), the PI is actually licensed by the limited DE reflected in the validity of the strengthening inference of the following sentence:

(15) ʔiða qaraʔta alħarba wa asslim, fasayattasiʔu ʔufuquk
If you read War and Peace, your mind will be broadened.

The NPI ʔayya kitaabin in (13) is licensed as result of the validity of strengthening inference of (15). To illustrate, if any book, that is beneficial, can broaden one's mind, then War and Peace, the famous novel, will certainly broadens the mind leading to the licensing of the PI in (13). Heim's analysis does not differ

the truth-value of the conditional completely changes in the natural languages such as Arabic and English, as it is evidential in (11b). If the conditional behaves similarly in logic and natural languages, we would expect (11b) to be true. But it is not the case. As for (11d), the conditional is false in both logic natural languages.

The truth of the conditional is preserved as the antecedent is strengthened in logic. So p→ q logically entails p∧ r→ q regardless of the truth-value of r [1]. When the implication p∧ r→ q is translated in a natural language, the truth-value differs from logic:

(12) *ʔiða ˌqaraʔta ʔayya kitaabin wa lam tafhamhu, fasayattasiʕu ʔufuquk.
if read-you any book-gen and not understand-you, will-be-broadend mind-your-acc
*If you read any book and you didn't understand it, your mind will be broadened.

In formal logic, (12) is true since the statement p, reading any book, is true and the consequent q is true (Allwood et al, 1995: p. 37). However (12) is false in Arabic as well as in English as indicated by the asterisks. Had the treatment of the conditional been similar in logic and a natural language, we would expect (12) to be grammatically correct. Therefore the treatment of the conditional in a natural language should not be equal to the treatment of the material implication in formal logic.

Let us now examine how the PI in Arabic conditionals is licensed. Different analyses have been proposed in the literature: Ladusaw (1980), as discussed in section (1.2) above, argues that DE is the only operator that can license PI in a sentence such as:

(1) The strengthening of the antecedent of a conditional is to have two statements, represented as *p* and *r*, leading to *q*. The conditional *p∧ r→ q* reads as if the statements *p and r* then *q*.

represented as q. Logically, the truth value of the material implication of the sentence p→ q is true if p is false irrespective of the truth-value of q. The sentence becomes false only if p is true and q is false p (Allwood et al, 1995: p.37, 110).

However when the conditional if...then is used in a natural language, Arabic for that matter, the truth-values change from those in logic. Consider the following examples:

(11) a. ʔiða qaraʔta kitaaban, fasayattasiʕu ʔufuquk.
if read-you a book-acc, will-be-broadend mind-your-acc
If you read a book, your mind will be broadened.

b. *ʔiða lam taqraʔ kitaaban, fasayattasiʕu ʔufuquk.
if not read-you-jussive a book-acc, will-be-broadend mind-your-acc
*If you didn't read a book, your mind will be broadened.

c. ʔiða lam taqraʔ kitaaban, falan yatasiʕa ʔufuquk.
if not read-you a book-acc, will-not-be-broadend mind-your-acc
If you didn't read a book, your mind will not be broadened.

d. ʔiða qaraʔta kitaaban, falan yatasiʕa ʔufuquk.
if read-you a book-acc, will-not-be-broadend mind-your-acc
*If you read a book, your mind would not be broadened.

The example (11b) shows the asymmetric behavior of the conditional in logic and in a natural language. Basic to logic, this sentence should be true because p, i.e. not reading the book, is false regardless of the truth-value of q or the consequent of the condition - that is, the broadening of the mind. On the other hand,

not have-I- jussive any potatoes-genitive
I do not have any potatoes.

Suppose that someone invites twenty people for dinner and he plans to offer them potatoes. He asks his wife if there are enough potatoes. The wife may say the sentence (9a) implying that she does not have large enough quantities of potatoes to make French fries for twenty people. The husband may suggest that a small quantity of potatoes would be enough for the dinner. But she even excludes small quantities of potatoes. She does not have any potatoes at all as indicated by (9b). In (9b), any is licensed because it creates a stronger statement for the wide interpretation entails the narrow interpretation:

(10) **Wide interpretation:** I don't have potatoes in large or small quantities.

Narrow interpretation: I don't have potatoes in large quantities.

The statement in (9b) is strong since everything that falls under the wide interpretation falls under the narrow interpretation. The narrow interpretation is simply a statement before widening is applied.

Now we are in a position to examine how FC "any" in conditionals and PS "any".

2. Conditional:

The truth of the conditional differs in formal logic and natural languages.

The conditional sentence in logic stands for a material implication that is only truth-functional (Allwood et al, 1995: 37). In other words, the implication is always true if the antecedent is false irrespective of the truth-value of the consequent. In propositional logic, the material implication is interpreted as if ...then consisting of an antecedent, represented as p, and a consequent,

(7) a. Nobody ate any fruit.
b. Nobody ate bananas.

any fruit is licensed since it is in the scope of nobody. nobody is DE because of the validity of (7b). (7a) entails (7b) because the predicate ate any fruit in (7a) is replaced by a more informative predicate which is ate bananas. This predicate is stronger since everything that falls under the former predicate falls under the latter predicate. In other words, any fruit implies that all kinds of fruits are not eaten and bananas are only one example of such fruit. Consequently, the PI any fruit is licensed by the DE "nobody".

Here is another example:

(8) a. *Everybody ate any fruit.
b. Everybody ate bananas.

everybody is not DE since (8a) does not entail (8b). Therefore, any fruit is not licensed because it does not occur in the scope of DE.

1.3 Kadmon and Landman (1993)

Kadmon and Landman argue that although delimited DE accounts successfully for the distribution of "any", yet it neither relates to the semantics of any nor does it provide a rationale for its distribution. They suggest that "any" is licensed as long as the widening it induces creates a stronger statement. As a result, the wide interpretation entails the narrow interpretation. Kadmon and Landman (1993: p. 359) believe that any contributes reduced tolerance of exception to the following NP. Consider this example:

(9) a. lam ʔamliK bat̲at̲isan.
not have-I-jussive potatoes-acc
I do not have potatoes.

b. lam ʔamliK ʔayya bat̲at̲isan.

(3) ʔalyyun ma ʔakala ayya ʃai.
Ali-nominative not ate anything
Ali did not eat anything.

(4) ma ʔata ʔaħadun.
not came somebody-nominative
Nobody came.

ayya ʃai and *ʔaħad* are directly licensed according to Linbarger's analysis since these PIs occur in the immediate scope of the negation (i.e. ma).

However, Linbarger's analysis suffers from a fundamental problem of over-licensing. Let us examine the following Arabic example:

(5) *ħatta ʔalyyan ʔakala ayya ʃai.
even Ali-accusative ate anything
*Even Ali ate anything.

This sentence suggests that Ali was the most likely person not to eat anything. According to Linebarger, the PI ayya ʃai is indirectly licensed by (6) serving as NI for (5):

(6) Ali ate something but he was the most likely person not to eat anything.

According to Linebarger's analysis, (6) guarantees the truth of (5); hence the example in Arabic, as well as its counterpart in English in (5), should be correct as predicted by Linbarger's theory. Nonetheless, the falsehood of (5) indicates that there is a problem with Linebagrer's analysis.

1.2. Ladusaw's analysis (1980)

Ladusaw proposes that PIs are licensed if they are in the scope of a downward entailing operator (DE) which reverses the direction of entailment:

O is a DE operator if A → B then O (B) → O (A)

Consider the following examples:

	ع	ʕ
glottal	أ	ʔ

1. Basic Analyses

There are many analyses of PIs. In this section, three important analyses are explained.

1.1 Linebarger's analysis (1987)

Linebarger distinguishes between direct and indirect licensing of PIs. She argues that indirect licensing is a pragmatic process, whereas direct licensing is in the scope of negation. Her proposal includes the conditions for direct and indirect licensing:

i. Direct PI licensing:

PIs are directly licensed if they occur in the immediate scope of negation. This is the polarity sensitive (PS) any.

Consider the following example:

(1) I am surprised that we do not have any sugar.

The PS any is directly licensed by negation not in which any occurs in its immediate scope.

ii. Indirect PI licensing:

Indirect licensing is when the PI implicates a sentence that preserves the truth of the original sentence. This indirect licensing is considered to be "negative implicature (NI)".

Consider these examples:

(2) a. I am surprised that we have any sugar.

b. I expected that we do not have any sugar.

According to Linebarger, any in (2a) is licensed through NI. (2a) implies (2b) and any sugar in (2b) is licensed by being in the immediate scope of negation. Hence the PI in (2a) is licensed since (2b) ensures the truth of (2a). The PI in (2a) is referred to as a Free Choice (FC) any.

PIs in Modern Standard Arabic include: ayya ʃai 'any thing' and ʔaħad 'somebody'. Consider the following examples:

Introduction

Polarity Items (PIs) has been the focus of rigorous research. I compare some of the influential analyses like Ladusaw's (1980), Linebarger's (1987), and Kadmon and Landman's (1993). More specifically, I show the shortcomings of these analyses and provide an analysis. In the first section, I show that these analyses have problems in accounting for Free choice (FC) any in Arabic conditional sentences and Polarity sensitive (PS) any. Then, I propose a semantic analysis that explains and the behavior of any by directly attributing its licensing to the verb's telicity.

0. The International Phonetic Alphabet (IPA)

It is standard in modern linguistics to use the IPA to represent all the distinctive sounds of different languages (Ladefoged, 1993: 275-280). IPA uses a set of symbols and diacritics along with ordinary Roman letters. Following this basic linguistic tradition, I display the Arabic consonants in the IPA symbols in the following table:

Table of IPA symbols

Place of Articulation	Pronunciation	IPA symbol
denta	ث	θ
	ذ	ð
alveolar	ط	t̪
	ض	d
	ص	s̪
postalveolar	ش	ʃ
velar	خ	x
	غ	ɣ
uvular	ق	q
pharyngeal	ح	ħ

Arabic " ANY "
"أيّ" في العربية

Dr. Abullah Saad Al- Dobaian
Assistant Professor, Dept, of English and Literature, College of Arts,King Saud univerity

Abstract :

There are many analyses that attempt to account for Polarity Items (PI) *any*. Among such analyses are Ladusaw's (1980), Kadmon and Landman's (1993), and Linebarger's (1987). In this paper, I illustrate the problems of these analyses and I provide a unified analysis of *any* in its different contexts and usages. This suggested analysis is based on the semantic structure of the verb.

ملخص البحث :

هناك تحليلات نظرية للأدوات الاستقطابية (أيّ) . ومن ضمن تلك التحليلات: Ladusaw (١٩٨٠) ، Landman Kadmon and (١٩٩٣) ، و Linebarger (١٩٨٧) .

في هذا البحث ، يشير الباحث إلى المشكلات التي تكشف تلك التحليلات الآنفة الذكر ومن ثم يعطي تحليلاً موحداً للأداة الاستقطابية (أيّ) في سياقاتها واستخداماتها المتعددة . ويعتمد هذا التحليل على البنية الدلالية للفعل.

IN THE NAME OF ALLAH,

THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

JOURNAL OF

AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD

ISLAMIC UNIVERSITY

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY
DEANERY OF ACADEMIC RESEARCH

VOLUME 4. JUL. 2007

السعر : ١٠ ريالات

PRICE : 10 SR

JOURNAL OF

AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD ISLAMIC UNIVERSITY

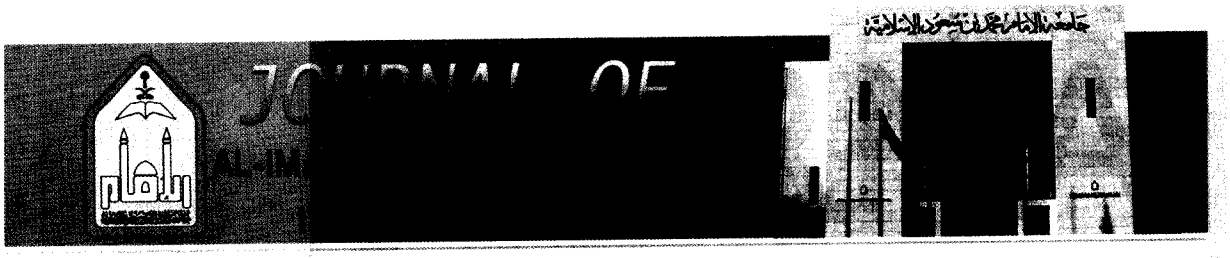

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
IINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY
:ANERY OF ACADEMIC RESEARCH

VOLUME 4. JUL. 2007

السعر : ١٠ ريالات

PRICE : 10 SR